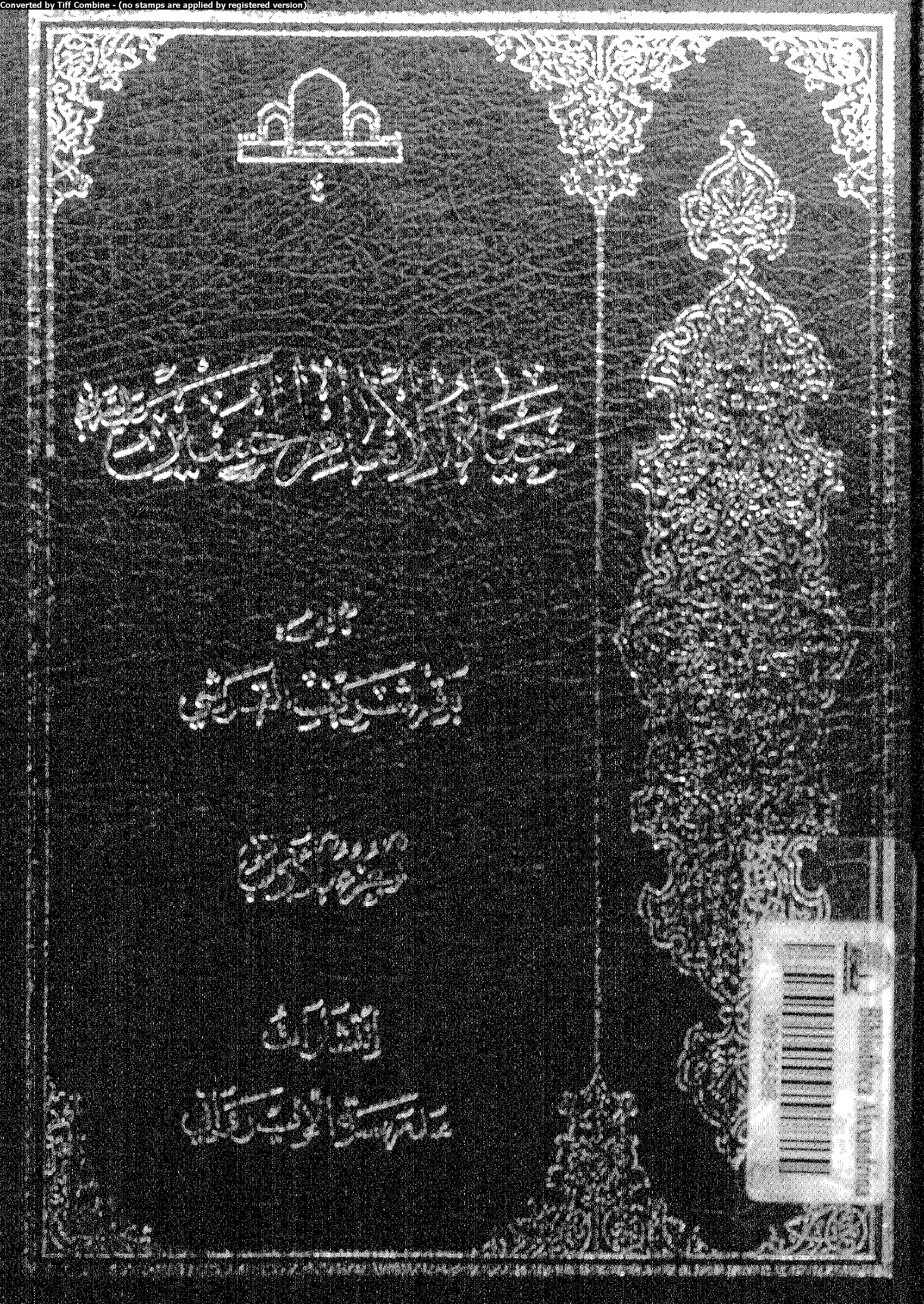





Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



# حياة

# الإمام الحسين بن علي عليه السلام



باقر شريف القرشي

# حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

دراسة وتحليل

الجزء الأول

الطبعة الاولى:
١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م

الطبعة الثانية:
١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م

الطبعة الثالثة:
١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

الطبعة الرابعة:
١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م

| | |
|---|---|
| الكتاب: | حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام -ج ١ |
| المؤلف: | باقر شريف القرشي |
| الناشر: | مدرسة العلمية الايرواني |
| المطبعة: | باقري |
| الفلم والالواح الحساسة (الزنک): | ليتوگرافي تيزهوش/قم |
| الكمية: | ٢٠٠٠ نسخة |
| التوزيع: | مؤسسة الامام المجتبى |
| السعر: | |

بسم الله الرحمن الرحيم

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ* إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

القرآن الكريم

# الإهداء

إليك ... يا مفجر العلم والإيمان في الأرض .

إليك ... يا رائد النور والوعي ومحرر الانسانية .

إليك ... يا رسول الله (ص) .

إلى مقامك العظيم أرفع هذا البحث المتواضع عن حياة ريحانتك وولدك الثاني الامام الحسين (ع) الذي غذيته من كمال النبوة ، ووهبته حبك واخلاصك ، وقلدته وسامك المشرق بقولك : « حسين مني وأنا من حسين » فكان المجدد لدينك ، والمنقذ لأمتك ، فاستشهد في سبيل أهدافك ومبادئك ... فلا أحد أولى به منك ، فتقبل هذه البضاعة المزجاة وامنحني الرضا والقبول وحسبي ذلك ذخراً يوم ألقى الله .

# بين يديك يا أنشودة الأحرار

تمثلت يومك يوم الطفوف ، وأنت ترفع الضحايا من أهل بيتك وأصحابك قرابين خالصة لوجه الله إيماناً منك بأن الاسلام لا يمكن أن ينتصر في كفاحه ضد قوى البغي والإلحاد إلا بالتضحية الفذة التي لا يقوى على ادائها سواك .

لقد استطعت أيها الفاتح العظيم أن تملي إرادتك على صفحات هذا الكون وتعالج المشاكل الرهيبة التي مُني بها عصرك بالحلول المطلوبة ، لكن ذلك قام بدمك القاني المعطر بشذى الرسالة ووحي السماء فدمرت أولئك الأقزام من حكام بني أمية الذين اغتالوا الاصلاح الاجتماعي ، ودفعوا الناس إلى السراب السياسي ، وتاجروا بمقومات الأمة ومقدراتها ، وقذفوا بها في متاهات سحيقة لا حد لها من الإنحطاط والجهل والتأخر ، حتى توارت فكرة النور التي أوقد سناها الرسول ( ص ) وحلت محلها الوثنية القرشية فعقد لهـا في كل جامع ومنتدى من بلاد المسلمين صنم يقذف بشواظ من نار لاذابة هدي العقيدة ، وتدمير المثل العليا ، وتجريد الأمة من عناصرها الخلاقة وأفكارها الأصيلة ، حتى توارت بوارق النهضة الفكرية والاجتماعية وكادت تنطوي رسالة الاسلام بقيمها ومُثلها ومكوناتها .

وانبعث صوتك - أيها الفاتح العظيم - فاستوعب صداه جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وهو ينادي بفجر جديد ويوم جديد ليستأنف فيه الانسان المسلم رسالته ، ويبدأ تأريخه ، ويبني كرامته ، ويعدل سلوكه ، وينفض عنه غبار الذل ، وعار العبودية ، وينطلق في ميادين التحرر ليساهم في بناء الحضارة ويدخل موكب التاريخ .

لقد تحدى أبو الأحرار بثورته الكبرى الطبيعة البشرية التي هي أسيرة الغرائز والعواطف ، فقد تحرر منها ، ولم يعد لها أي حكم أو سلطان عليه ، وقد مكنته قواه الروحية في ذاتية مذهلة أن يشق طريقه الخالد ليحقق المعجز ، ويقول كلمة الله بايمان لا حد لابعاده .

إنه الإيمان الذي هيمن على جميع مناحي تفكيره ومقومات ذاتياته فهوّن عليه أهوال تلك الكوارث التي تذوب منها القلوب ، ويقف الفكر أمامها هائماً وهو حسير . . . فقد رأى أصحابه الذين هم من أصدق وأنبل وأوفى من عرفهم التاريخ الانساني يتسابقون إلى الموت بين يديه . . رأى الكواكب من أهل بيته وأبنائه ، وهم في غضارة العمر وريعان الشباب تتناهب أشلاءهم السيوف والرماح .

رأى حرم الرسالة ومخدرات النبوة تعج من ألم الرزايا وتستغيث به من أليم العطش والظمأ القاتل وهو لا يجد سبيلا لانقاذهن فوقف السبط أمام هذه الخطوب التي تذهل كل كائن حي ، فقال كلمته الخالدة التي نمت عن

عمق الإيمان وروعة التصميم : « هوّن ما نزل بي أنه بعين الله . . . » .

أجل بعين الله رزاياك ، وفي سبيل الاسلام ما عانيته من أهوال تلك الكوارث والخطوب .

سيدي أبا الأحرار .

لقد عوضك الله عما قاسيته من ضروب المحن ، وصنوف البلاء أنواع الكرامة ، فمنحك في الدار الآخرة الفردوس الأعلى ، وأنزلك به منزلاً كريماً تتبوأ بـه حيثما شئت وجعلك سيد شباب أهل الجنة ، والشفيع المطاع .

وأما في هذه الدار الفانية فقد جعل ذكرك فيها ندياً خالداً ، والدنيا بأسرها خاضعة لك ، فأنت حديث الدهر مهما تطاولت لياليه أياماً وصرن لياليا .

وأما خصومك فقد تمزقوا كل ممزق ، ودفنهم التاريخ في مجاهل سحيقة من الخزي والعار ولعنة الناس .

لقد بقيت أنت وحدك ملء فم الدنيا ورهن الخلود وأنشودة الأحرار في كل جيل وعلماً يهتدي بك المصلحون في تحقيق ما ينفع الناس .

# المقدمة

— ١ —

الإمام الحسين عليه السلام من أبرز من خلدتهم الانسانية في جميع مراحل تاريخها . ومن أروع من ظهر على صفحات التاريخ من العظماء والمصلحين الذين ساهموا في بناء الفكر الانساني ، وتكوين الحضارة الاجتماعية، وبلورة القضايا المصيرية لجميع شعوب الأرض .

إن الإمام أبا الأحرار من ألمع القادة المصلحين الذين حققوا المعجز على مسرح الحياة ، وقادوا المسيرة الانسانية نحو أهدافها وآمالها ، ودفعوا بها إلى ايجاد مجتمع متوازن تتحقق فيه الفرص المتكافئة التي ينعم فيها الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم . . . لقد كان الامام من أكثر المصلحين جهاداً ، وبذلاً وتضحية ، فقد انطلق الى ساحات الجهاد مع كوكبة من أهل بيته وأصحابه مضحياً بنفسه وبهم ، ليقيم في ربوع هذا الشرق حكم القرآن وعدالة السماء الهادفة الى تقويض الظلم ، وتدمير الجور ، وإزالة الاستبداد، واقامة حكم عادل يجد فيه الانسان أمنه وكرامته ورخاءه حسب ما تقتضيه عدالة الله في الأرض . . . ومن ثمّ كانت حياة الامام في جميع العصور والأجيال رمزاً للعدل ، ورمزاً لجميع القيم الانسانية .

إن أغلب حياة المصلحين الذين وهبوا حياتهم لأممهم وشعوبهم تبقى مشعة تعطى ثمارها ونتاجها للناس ، ولكن في فترة خاصة ومحدودة من الزمن لم تلبث أن تتلاشى كما يتلاشى الضوء في الفضاء .

أما حياة الامام الحسين ( ع ) فقد شقت أجواء التاريخ وهي تحمل النور والهدى لجميع الناس ، كما تحمل شارات الموت والدمار للمخربين والظالمين في جميع الأجيال . . . لقد تفاعلت حياة الامام الحسين مع أرواح الناس وامتزجت بعواطفهم ومشاعرهم ، وهي ندية عاطرة تتدفق بالعزة والكرامة وتدفع المجتمع إلى ساحات النضال لتحقيق أهدافه وتقرير مصيره .

إنها مدرسة الأجيال الكبرى التي تفيض بالخير والعطاء على الناس جميعاً متفقين ومختلفين ، فهي تغذيهم بالوفاء والصبر ، وتدفعهم إلى الإيمان بالله ، وتعمل على توجيههم الوجهة الصالحة المتسمة بالكرامة وحسن السلوك كما تعمل على تهذيب الضمائر ، وتكوين العواطف ، وتنمية الوعي ، فهي أجدر بالبقاء من كل كائن حي بل أحق بالخلود من هذا الكوكب الذي يعيش فيه الانسان ، لأنها أطار لأسمى معاني الكرامة الانسانية .

إن حياة ريحانة الرسول ومثله ستبقى حية وخالدة إلى الأبد لأنهـا استهدفت القضايا المصيرية لجميع الشعوب ، فان الامام لم ينشد في ثورته الخالدة أي مطمع سياسي أو نفع مادي ، وإنما استهدف المصلحة الاجتماعية وعنى بأمر الناس جميعاً ليوفر لهم العدل السياسي والعدل الاجتماعي ، وقد أعلن سلام الله عليه أهدافه المشرقة بقوله :

« إني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا ظالماً ، ولا مفسداً ، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر . . . » .

من أجل هذه المبادىء العليا خُلدت قصة الحسين واستوعبت جميع لغات الأرض ، وأخذ الناس يقيمون لها الذكرى مقتبسين منها الإيمان بالله، ومقتبسين منها العبر والعظات التي تنفعهم في جميع ميادين حياتهم . . . إنها

من دون شك ستظل تساير الركب الانساني وهي ترفع شعار العدل ، وشعار الحق ، وشعار الكرامـــة ، وتضيء الطريق ، وتوضح القصد أمام كل مصلح يعمل من أجل صالح الانسان .

— ٢ —

وليس في تاريخ الاسلام من هو أكـــثر عائدة ولطفاً وفضلاً على الاسلام من الامام الحسين (ع) فهو المنقذ والمجدد لهذا الدين العظيم ، الذي أجهزت عليه السياسة الأموية ، وتركته جريحاً على مفترق الطرق تتحداه عوامل الانحلال والانهيار من الداخل والخارج ، ولم يعد أي مفهوم من مفاهيمه الحية ماثلاً في واقع الحياة العامة للمسلمين ، قد جمدت طاقاته ، وأخمد نوره وانتهكت سننه ، ولم يبق منه سوى شبح خافت ، وظل متهافت قد أعلنت السلطة في منتدياتها العامة والخاصة أنه لا دين ، ولا اسلام ، ولا وحي ، ولا كتاب ، يقول يزيد بن معاوية :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

ويقول الوليد بن يزيد :

تلعب بالخلافـــة هـــاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب (١)

واذا استعرضنا ما أثر عنهم في هـــذا المجال فلا نجد إلا الكفر والالحاد والمروق من الدين ، وقليلا نجـــد منهـــم من يؤمن بالله واليوم الآخر أو يرجو وقاراً للاسلام . انه — من دون شك — لم يدخل أي بصيص من نور الاسلام في قلوبهم ومشاعرهم ، وإنما ظلت نفوسهم مترعة بروح الجاهلية ونزعاتها ، لم تتغير فيهم أي ظاهرة من ظواهر الكفر بعد ارغامهم

(١) مروج الذهب ٣ / ١٤٩

على الاسلام ، فكانوا يحملون الحقد والعداء للرسول ( ص ) ويكفرون بجميع ما جاء به من هدى ورحمة للناس .

رأى الامام السبط الغزو الجاهلي الذي اجتاح العالم الاسلامي ، وما منيت به العقيدة الاسلامية من أخطار هائلة تنذر بالردة الرجعية والانقلاب الشامل وتخلي المسلمين عن عقيدتهم ودينهم ، فان السلطة الأموية كانت جاهدة في مسيرتها ، وجادة في سياستها على استئصال جذور هـذا الدين وإزالة ركائزه وقواعده ، وقد تخدر المسلمون بشكل فظيع نتيجة أوبئـة الخوف المفزعة التي انتشرت فيهم ، وما طعمتهم به السياسة الأموية من روح الخيانة والغدر ، فلا صوت يصدع بالاصلاح ، ولا طبل يدق للحرب ، ولا وازع ، ولا رادع ولا زاجر لما كانت تصنعه الطغمة الحاكمـة من المخططات الرهيبة الهادفة الى استعباد المسلمين وإرغامهم على ما يكرهون.

رأى الامام أنه المسؤول الوحيد أمام الله ، وأمام أجيال الأمـة إن وقف موقفاً سلبياً تجاه هذه الأوضاع المنكرة ولم يغير ولم يبدل ، ولم يفجر ثورته الحمراء التي تعصف بالاستبداد وتهدم صروح الظلم والطغيان وتقود الجماهير إلى ميادين الحق والعدل . . . وقد أدلى الامام عليه السلام بذلك في خطابه الرائع الذي ألقاه على الحر وأصحابه من شرطة ابن زياد قائلاً :

« أيها الناس ، إن رسول الله ( ص ) قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً عهده ، مخالفاً لسنة رسول الله ( ص ) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ، ألا ان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتولوا عن طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله . . . » (١) .

---

(١) تاريخ الطبري .

إن هذه العوامل الخطيرة هي التي حفزت الامام على الثورة والخروج على النظام القائم الذي استباح كل ما خالف كتاب الله وسنة نبيه .

لقد أمعنت السلطة الأموية في اضطهاد الناس وارهاقهم ، واعتبرت القطاعات الشعبية بستاناً لها تتحكم في مصائرها ومقدراتها ، وتستنزف ثرواتها فتنفقها على ما يثير الشهوات ، ويفسد الأخلاق من أجل ذلك ثار الامام لينقذ الأمة ، ويعيد لها كرامتها وأصالتها .

— ٣ —

وأهم فترة في تاريخ الاسلام السياسي هي الفترة التي عاشها الأمام الحسين ( ع ) فقد حفلت بأحداث رهيبة تغيرت بها مجرى الحياة الاسلامية وامتحن المسلمون بها امتحاناً عسيراً ، وارهقوا ارهاقاً شديداً ، قد أخلدت لهم الفتن والمصاعب ، وجرت لهم الخطوب والكوارث وألقتهم في شر عظيم

ومن أفجع تلك الأحداث وأخلدها كارثة كربلاء التي هي أخطر كارثة في التاريخ الانساني ، وهي لا تزال قائمة في قلوب المسلمين وعواطفهم تثير في نفوسهم الحزن واللوعة . . . ولم تكن هذه الحادثة الخطيرة وليدة المصادفة أو المفاجأة وإنما جاءت نتيجة حتمية لتلك الأحداث المفزعة التي أخمدت الوعي الاسلامي ، وأماتت الشعور بالمسؤولية وجعلت المسلمين أشباحاً مبهمة ، وأعصاباً رخوة خالية من الحياة والاحساس ، قد سادت فيهم روح التخاذل والانهزامية ، ولم تعد فيهم أي روح من روح الاسلام وهديه ، وأوضح شاهد على ذلك أن ابن بنت رسول الله ( ص ) وريحانته يقتل في وضح النهار ، ويرفع رأسه على أطراف الرماح يطاف به في الأقطار والأمصار ، ومعه عائلة رسول الله ( ص ) سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت

وجوههن يتصفحها القريب والبعيد ، فلم يثر ذلك حفيظة المسلمين فيهبوا إلى الانتفاضة على حكم يزيد للثأر لابن بنت نبيهم ورحم الله دعبل الخزاعي إذ يقول :

رأس ابن بنت محمد ووصيه  يا للرجال على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع  لاجازع من ذا ولامتخشع (١)

إن كارثة كربلاء لم تأت إلا بعد تخدير الأمة ، وتغيير سلوكها ، واصابتها بكثير من الأوبئة الأخلاقية والسلوكية الناشئة من عدم تقريرها لمصيرها في أدق الفترات الحاسمة من تاريخها أمثال مؤتمر السقيفة والشورى وصفين .

وعلى أي حال فان الأحداث التاريخية التي عاشها الامام الحسين ( ع ) يجب أن تخضع للدراسة العلمية المتسمة بالعمق والتحليل ، والتجرد من العواطف وسائر التقاليد المذهبية التي أوجبت خفاء الحق ، وتضليل الرأي العام في كثير من مناحي حياته العقائدية ، فان التاريخ الاسلامي لم يدرس دراسة موضوعية وشاملة ، وإنما عرض له أكثر البحاث بصورة تقليدية ، وهي لا تجدي المجتمع ، ولا تفيده ، كما لا تلقى الأضواء على واقع تلك الأحداث التي جرت للمجتمع كثيراً من الخطوب والمشاكل ، وأوقفت مسيرته نحو التطور حسب ما يريده الاسلام .

إن الذي لا مجال للشك فيه هو أن في تلك الأحداث كثيراً من المنعطفات التاريخية الخطيرة التي تعمد بعض المؤرخين على إهمالها ، وعدم الكشف عنها ، كما أن التاريخ قد خلط بكثير من الموضوعات التي تعمد بعض الرواة الى افتعالها تدعيماً لسياسة السلطات الحاكمة في تلك العصور .

---

(١) ديوان دعبل بن علي الخزاعي : ( ص١٠٧ ) .

وهي مما توجب على الباحث التعمق والتدقيق فيها حتى يخلص الى الحق مهما استطاع اليه سبيلا .

ونحن لا نجد ُبداً من عرض بعض تلك الأحداث وتحليلها لأنها من وسائل الكشف عن حياة الامام الحسين ( ع ) كما أنها في نفس الوقت من وسائل الوقوف على الحياة الفكرية والاجتماعية في ذلك العصر الذي تعد دراسة شؤونه من البحوث المنهجية التي تكشف عن أبعاد الشخصية وتحليلها حسب الدراسات الحديثة .

أني أعتقد أنه لا يمكننا أن نلم إلماماً واضحاً بقصة الامام الحسين ( ع ) وما جرى فيها من الأحداث المفزعة من دون أن نكون قد درسنا الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في ذلك العصر فان لها تأثيراً ايجابياً مباشراً في حدوث هذه النكبة .

إن التاريخ الاسلامي في حاجة لأن يتحرر من التقديس ويكون كغيره من البحوث خاضعاً للنقد والتحليل والشك والرفض كما تخضع المادة لتجارب العلماء حتى يستقيم ويزدهر ، ويؤتي ثمراً ممتعاً .

إن السلطات السياسية في تلك العصور أخذت على المؤرخين أن يضعوا التاريخ تحت تصرفهم فلا يكتبون إلا ما فيه تأييد للسلطة السياسية ، وبذلك فقد حفل التاريخ بكثير من الموضوعات التي تكلف أصحابها على وضعها وجعلها جزءاً من تاريخ الاسلام ، وقد شوهت واقعه ، وحادت بكثير من بحوثه عن الواقع .

إن الأقلام التي تناولت كتابـــة التاريخ الاسلامي في عصوره الأولى لم تكن نزيهة ولا بريئة على الاطلاق فكانت تخيم عليها النزعة المذهبية أو التزلف الى السلطة الحاكمة، فلابد إذن أن يخضع لمجاهر الفحص وأضواء الدراسة والنقد .

## — ٤ —

لا أحسب أن هناك خدمة للأمة أو عائدة عليها بخير تضارع نشر فضائل أئمة أهل البيت ( ع ) ، واذاعة سيرتهم ومآثرهم فانهـــا تفيض بالخير والهدى على الناس جميعاً ففيها الدروس الحية ، والعظات البالغة التي تبعث على الاستقامة والتوازن في السلوك ، وهي من أثمن ما يملكه المسلمون من طاقات ندية حافلة بالقيم الكريمة والمثل العليا التي هي السر في أصالة هذا الدين وخلوده .

وحياة الامام الحسين ( ع ) من أروع حياة الأئمة الطاهرين ، فقد تخطت حدود الزمان والمكان ، وتمثلت فيها العبقرية الانسانية التي تثير في نفس كل انسان أسمى صور الاكبار والتقدير ، فقد تجسد في سيرته ومقتله أروع موضوع في تاريخ الاسلام كله ، فلم يعرف المسلمون ولا غيرهم من القيم الانسانية مثل ما ظهر من الامام على صعيد كربلاء ، فقد ظهر منه من الصمود ، والإيمـــان بالله ، والرضا بقضائه والتسليم لأمره ما لم يشاهده الناس في جميع مراحل تاريخهم ، وكان هذا الإيمان الذي لا حد له هو الطابع الخاص الذي امتاز به أهل بيته وأصحابه على بقية الشهداء ، فقد أخلصوا في دفاعهم لله ، وأخلصوا في نضالهم للحق ، ولم يكونوا مدفوعين بأي دافع مادي ، فالعباس ( ع ) الذي كان من أقرب الناس للامام الحسين وألصقهم به لم يندفع بتضحيته الفذة بدافع الأخوة والرحم ، وإنما أقدم على ذلك بدافع الإيمان ، والذب عن الاسلام ، وقد أعلن سلام الله عليه ذلك فيما أثر عنه من رجز ظل يهتف به وينشده شعاراً له في تلك المعركة الرهيبة بعد أن برى القوم يمينه قائلاً :

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق يقيني نجل النبي الطاهر الأمين

ومعنى ذلك بوضوح – أن تضحيته لم تكن مشفوعة بأي دافع من دوافع الحب أو العاطفة ، أو غيرها من الاعتبارات التي يؤول أمرها إلى التراب ، وإنما كانت من أجل الذب عن دين الله ، والدفاع عن امام من أئمة المسلمين فرض الله طاعته وولاءه على جميع المسلمين .

وكثير من أمثال هذه الصور الرائعة الخالدة في التاريخ الانساني ظهرت من الامام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه وهي – بحق – من أثمن الدروس عن الإيمان والوفاء والتضحية في سبيل الله ، وأن أية بادرة من بوادر يوم الطف لترفع الحسين وأهل بيته وأصحابه على جميع شهداء الحق والعدل في العالم .

لقد رفع الامام الحسين عليه السلام راية الاسلام عالية خفاقة ، وحرر إرادة الأمة العربية والاسلامية ، فقد كانت قبل واقعة كربلاء جثة هامدة لا حراك فيها ، ولا وعي ، قد كبلت بقيود الحكم الأموي ، ووضعت الحواجز والسدود في طريق حريتها وكرامتها ، فحطم الامام بثورته تلك القيود ، وحررها من جميع السلبيات التي كانت ملمة بها ، وقلب مفاهيم الخوف والخنوع التي كانت سائدة فيها إلى مباديء الثورة والنضال .

لقد عملت نهضة الامام على تكوين الحس الاجتماعي ، وخلق الشخصية الاجتماعية ، فقد انطلقت الأمة كالمارد الجبار – بعد تخديرها – وهي تنادي بحقوقها ، وتعمل جاهدة على اسقاط الحكم الأموي الذي جهد على اذلالها واستعبادها ، وهي تقدم القرابين تلو القرابين في ثورات متلاحقة حتى أطاحت بذلك الحكم ، واكتسحت مشاعر زهوه وطغيانه وجبروته .

لقد كانت ثورة أبي الأحرار عليه السلام من أعظم الثورات التحررية

في الأرض ، فقد حملت مشعل النور والفكر في الأرض وسجلت شرفاً للاسلام ، وشرفاً للانسانية ، وأعطت الدروس المشرقة عن العقيدة التي لا تضعف ، والإيمان الذي لا يقهر وستظل مصدر عز وفخر وشرف للمسلمين في جميع أجيالهم

— ٥ —

ومن أغلى أماني يعلم الله أن أحظى بالبحث عن سيد الشهداء ( ع ) وأكون من المساهمين في هذا الميدان المشرق ، وكانت هذه الفكرة تراودني في كثير من الأوقات ، وكان أخي في الله المحسن الكبير الحاج محمد رشاد عجينة حفظه الله يدفعني إلى ذلك ويحثني عليه باصرار راجياً بذلك التقرب إلى الله وإني أقول للتاريخ : إن هذا المحسن من أندر من عرفتهم في ولائه وتفانيه في حب أهل البيت ( ع ) فهو يتحرى كل خدمة لهم ، وقد قام بخدمات مشكورة في هذا المجال كان منها قيامه بالانفاق على كتابنا ( حياة الامام الحسن ( ع ) ) بجميع طبعاته ، وقيامه بطبع كتابنا ( حياة الامام موسى بن جعفر ( ع ) ) أجزل الله له المزيد من الأجر ووفقه لكل مسعى نبيل . . وقد رغب سيادته أن تكون نفقات طبع هذا الكتاب من المبرات التي أوصى بها المغفور له والده الحاج محمد جواد عجينة رحمه الله ، آملاً منه تعالى أن يتولى جزاءه بالخير والإحسان ، ويثيبه على ذلك ، كما أن من الحق عليّ أن أسجل بكل تقدير ما قام به سماحة الحجة المجاهد السيد محمد كلانتر حفظه الله من التشجيع لي في تأليف هذا المجهود شاكراً له ألطافه ، وأخص بالشكر سماحة الحجة الأخ الزكي الشيخ هادي القرشي على ما أبداه من لطف في مراجعة بعض المصادر التي تخص البحث .

وإني في ختام هذا التقديم أعلن بكل ثقة وايمان أني لا أجد عملاً جديراً برضاء الله ، وجديراً ببلوغ مغفرتـــه ورضوانه سوى التعلق بسيد الشهداء (ع) فقذفت نفسي بسفينته التي وسعت الكثيرين من المقصرين أمثالي ، واني تمسكت بأهداب ولائه ، فأنا به ألوذ ، وبحبل ولائه أتمسك يوم ألقى ربي .

اللهم لا تخيب سعي ، ولا تقطع رجائي ، ولا تضيع أملي انك ولي ذلك والقادر عليه .

النجف الأشرف
رجب ٣ / ١٣٩٤ هـ
تموز ٢١ / ١٩٧٤ م

المؤلف

# غَرْسُ الرِّسَالَة



ألا بُورك هذا الغرس الذي امتدّ على هامة الزمن وعياً وأشراقاً وهو يضيء للناس حياتهم الفكرية والاجتماعية، ويهديهم إلى سواء السبيل .

## الأم :

إنه الغرس الطيب من سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) التي طهرها الله بفضله، وجعلها تهدي من ضلال، وتجمع من فرقة ... انها فاطمة الزهراء التي تحمل قبساً من روح أبيها وفيضاً من نوره، وأشعة من هديه، فكانت موضع عنايته واهتمامه، وقد أحاطها بهالة من الإكبار والتقدير، ففرض ولاءها على المسلمين ليكون ذلك جزءاً من عقيدتهم ودينهم، وقد أذاع فضلها وعظيم مكانتها في الاسلام لتكون قدوة لنساء أمته، لقد أشاد (ص) بقيمها ومثلها في منتدياته العامة والخاصة، وعلى منبره ايحفظه المسلمون فقد قال فيما أجمع عليه رواة الاسلام :

١ – « إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك . . . » (١) .

٢ – « إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها، وينصبني ما أنصبها . . . » (٢) .

---

(١) مستدرك الصحيحين ٣ / ١٥٣، تهذيب التهذيب ١٢ / ٤٤١ كنز العمال ٧ / ١١١، أسد الغابة ٥ / ٥٢٢، ميزان الاعتدال ٢ / ٧٢، ذخائر العقبى ص٣٩ .

(٢) صحيح الترمذي ٢ / ٣١٩، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٥، وفي صحيح الترمذي، قال (ص) : « فانما ابنتي – يعني فاطمة – بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها »، وفي كنز العمال ٦ / ٢١٩، قال (ص) : « انما فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها ويغضبني مايغضبها » .

٣ — « فاطمة سيدة نساء العالمين . . . » (١) .

إلى غير ذلك من الأخبار التي تحدثت عن معالم شخصية الزهراء (ع) وأنها قدوة الاسلام، والمثل الأعلى لنساء هذه الأمة التي تضيء لهن الطريق في حسن السلوك والعفة وانجاب أجيال مهذبة . . . فما أعظم بركتها وأكثر عائدتها على الاسلام ، ويكفي في عظم شأنها أنه سميت على اسمها الدولة الفاطمية العظيمة ، كما أن الجامع الأزهر اشتق من اسمها (٢) . بل يكفي في عظمة الدولة الفاطمية أن تبركت باسم الزهراء .

وعلى أي حال فان الرسول الأعظم (ص) استشف من وراء الغيب أن بضعته الطاهرة هي التي تتفرع منها الثمرة الطيبة من أئمة أهل البيت عليهم السلام خلفاء الرسول ، ودعاة الحق في الأرض الذين يتحملون اعباء رسالة الاسلام ، ويعانون في سبيل الاصلاح الاجتماعي كل جهد وضيق فلذا أولاها النبي اهتمامه ، وجعل ذريتها موضع رعايته وعنايته :

## الأب :

إنه ثمرة علي رائد الحق والعدالة في الأرض ، أخو النبي (ص) وباب مدينة علمه ، ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى ، وأول من آمن بالله وصدق رسوله ، والقائد الأعلى في مركز القيادة الاسلامية بعد الرسول محمد (ص) تحمل اعباء الجهاد المقدس منذ فجر الدعوة

---

(١) أسد الغابة ٥ / ٥٢٢ ، وفي مسند أحمد بن حنبل ٦ / ١١٢ ، قال : « فاطمة سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين » وفي صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق « أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين » .

(٢) نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ( ص٤٨ ) .

الاسلامية ، فخاض الأهوال ، والتحم التحاماً رهيباً مـــع قوى الشرك والالحاد حتى قام هذا الدين وهو عبل الذراع بجهاده وجهوده ، قد حباه الله بكل مكرمة وخصه بكل فضيلة ، وأنه أبو الأئمة الطاهرين الذين فجروا ينابيع الحكمة والنور في الأرض .

## الوليد الأول :

وأفرعت دوحة النبوة وشجرة الامامة الذريـــة الطاهرة التي تشكل الامتداد الرسالي بعد النبي ( ص ) فكان الوليد الأول أبا محمد الزكي ، وقد امتلأت نفس النبي ( ص ) سروراً به ، فأخذ يتعاهده ، ويغذيه بمثله ومكرمات نفسه التي طبق شذاها العالم بأسره (١) .

ولم تمض إلا أيام يسيرة حددها بعض المؤرخين باثنين وخمسين يوماً (٢) حتى علقت سيدة النساء بحمل جديد ظل يتطلع اليه الرسول ( ص ) وسائر المسلمين بفارغ الصبر ، وكلهم رجاء وأمل في أن يشفع الله ذلك الكوكب بكوكب آخر ليضيئا في سماء الأمة الاسلامية ، ويكونا امتداداً لحياة المنقذ العظيم .

## رؤيا أُم الفضل :

ورأت السيدة أم الفضل بنت الحارث (٣) في منامها رؤيا غريبة

(١) ذكرنا عرضاً مفصلاً لولادة الامام الزكي أبي محمد (ع) في كتابنا حياة الامام الحسن ١ / ٤٩ ـ ٥٦ .

(٢) المعارف لابن قتيبة ( ص١٥٨ ) .

(٣) أم الفضل : هي لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب =

لم تهتد إلى تأويلها ، فهرعت إلى رسول الله (ص) قائلةً له :

« إني رأيت حلماً منكراً كأن قطعة من جسدك قطعت ، ووضعت في حجري ؟ . . » .

فأزاح النبي (ص) مخاوفها ، وبشرها بخير قائلاً :

« خيراً رأيت ، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك .. »

ومضت الأيام سريعة فوضعت سيدة النساء فاطمة ولدها الحسين فكان في حجر أم الفضل ، كما أخبر النبي (ص) (١) .

وظل الرسول (ص) يترقب بزوغ نجم الوليد الجديد الذي تزدهر به حياة بضعته التي هي أعز الباقين والباقيات عنده من أبنائه وبناته .

---

= وهي أول امرأة أسلمت بمكة بعد السيدة خديجة بنت خويلد ، وكانت أثيرة عند النبي (ص) فكان يزورها ، ويقيل في بيتها ، روت عنه أحاديث كثيرة ، ولدت للعباس الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله وقثم وعبدالرحمان وأم حبيب ، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي .

| | |
|---|---|
| ما ولدت نجيبة من فحل | بجبل نعلمه أو سهل |
| كستة من بطن أم الفضل | أكرم بها من كهلة وكهل |
| عم النبي المصطفى ذي الفضل | وخاتم الرسل وخير الرسل |

ترجمت في كل من الطبقات الكبرى ٨ / ٢٧٨ ، والاصابة ٤ / ٤٦٤ والاستيعاب .

(١) مستدرك الصحيحين ٣ / ١٢٧ ، وفي مسند الفردوسي ، قالت أم الفضل : رأيت كأن في بيتي طرفا من رسول الله (ص) فجزعت من ذلك ، فأتيته ، فذكرت له ذلك ، فقال (ص) : هو ذلك ، فولدت فاطمة حسيناً ، فأرضعته حتى فطمته ، وفي تاريخ الخميس ١ / ٤١٨ ان هذه الرؤيا كانت قبل ولادة الامام الحسن (ع) .

## الوليد المبارك :

ووضعت سيدة نساء العالمين وليدها العظيم الذي لم تضع مثله سيدة من بنات حواء لا في عصر النبوة ، ولا فيما بعده ، أعظم بركة ولا أكثر عائدة على الانسانية منه ، فلم يكن أطيب ، ولا أزكى ولا أنور منه .

لقد أشرقت الدنيا به ، وسعدت به الانسانية في جميع أجيالها ، واعتز به المسلمون ، وعمدوا إلى احياء هذه الذكرى ، افتخاراً بها في كل عام، فتقيم وزارة الأوقاف في مصر احتفالاً رسمياً داخل المسجد الحسيني اعتزازاً بهذه الذكرى العظيمة كما تقام في أكثر مناطق العالم الاسلامي .

وتردد في آفاق يثرب صدى هذا النبأ المفرح فهرعت أمهات المؤمنين وسائر السيدات من نساء المسلمين إلى دار سيدة النساء ، وهن يهنئنها بمولودها الجديد ، ويشاركنها في أفراحها ومسراتها .

## وجوم النبي (ص) وبكاؤه :

ولما بُشر الرسول الأعظم بسبطه المبارك خف مسرعاً إلى بيت بضعته فاطمة ( ع ) وهو مثقل الخطا قد ساد عليه الوجوم والحزن ، فنادى بصوت خافت حزين النبرات .

« يا أسماء هلمي ابني » .

فناولته أسماء ، فاحتضنه النبي ، وجعل يوسعه تقبيلاً ، وقد انفجر بالبكاء فذهلت أسماء ، وانبرت تقول :

« فداك أبي وأمي مم بكاؤك ؟ ! ! » .

فاجابها النبي ( ص ) وقد غامت عيناه بالدموع .

« من ابني هذا » .

وملكت الحيرة إهابها فلم تدرك معنى هذه الظاهرة ومغزاها فانطلقت تقول :

« إنه ولد الساعة » .

فاجابها الرسول بصوت متقطع النبرات حزناً وأسى قائلاً :

« تقتله الفئة الباغية من بعدي لا أنالهم الله شفاعتي . . » .

ثم نهض وهو مثقل بالهمّ وأسر إلى أسماء قائلاً :

« لا تخبري فاطمة فانها حديثة عهد بولادة . . » (١) .

وانصرف النبي ( ص ) وهو غارق بالأسى والشجون ، فقد استشف من وراء الغيب ما سيجري على ولده من النكبات والخطوب التي تذهل كل كائن حي .

## سنة ولادته :

واستقبل سبط النبي ( ص ) دنيا الوجود في السنة الرابعة من الهجرة (٢)

---

(١) مسند الامام زيد ( ص٤٦٨ ) وفي أمالي الصدوق ( ص١٢٠ ) أن النبي ( ص ) أخذ الحسين بعد ولادته ، ثم دفعه إلى صفية بنت عبد المطلب وهو يبكي ويقول : لعن الله قوماً هم قاتلوك يا بني قالها : ثلاثاً ، قالت فداك أبي وأمي ، ومن يقتله ؟ قال تقتله الفئة الباغية من بني أمية .

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٤ / ٣١٣ ، تهذيب الاسماء ١ / ١٦٣ ، مقاتل الطالبيين ( ص٧٨ ) خطط المقريزي ٢ / ٢٨٥ ، دائرة المعارف للبستاني ٧ / ٤٨ ، جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام ( ص١١٦ ) =

وقيل في السنة الثالثة (١) واختلف الرواة في الشهر الذي ولد فيه فذهب الأكثر إلى أنه وُلد في شعبان ، وأنه في اليوم الخامس منه (٢) ولم يحدد بعضهم اليوم ، وإنما قال : وُلد لليالي خلون من شعبان (٣) وأهمل بعض المؤرخين ذلك مكتفياً بالقول أنه وُلد في شعبان (٤) وذهب بعض الأعلام إلى أنه وُلد في آخر ربيع الأول إلا أنه خلاف المشهور فلا يعنى به (٥).

## مراسيم ولادته :

وأجرى النبي (ص) بنفسه أكثر المراسيم الشرعية لوليده المبارك ، فقام (ص) بما يلي :

---

= الافادة في تاريخ الأئمة السادة ليحيى بن الحسين المتوفى سنة ( ٤٢٤ هـ ) من مصورات مكتبة الامام الحكيم ، الذرية الطاهرة من مخطوطات مكتبة الامام أمير المؤمنين العامة ، مجمع الزوائد ٩ / ١٩٤ ، أسد الغابة ٢ / ١٨ ، الارشاد ( ص١٨ ) .

(١) أصول الكافي ١ / ٤٦٣ ، خطط المقريزي ٢ / ٢٨٥ ، الاستيعاب المطبوع على هامش الاصابة ١ / ٣٧٧ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني من مخطوطات مكتبة الامام أمير المؤمنين عليه السلام تحفة الأزهار وزلال الأنهار من مخطوطات مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة ، خطط المقريزي ٢ / ١٨٥ .

(٣) امتاع الاسماع ( ص١٨٧ ) ، أسد الغابة ٢ / ١٨ ، الذرية الطاهرة .

(٤) فتح الباري في باب مناقب الحسن والحسين .

(٥) المقنعة ، التهذيب ، الدروس .

## أولا : الأذان والاقامة :

واحتضن النبي وليده العظيم فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى(١) وجاء في الخبر « أن ذلك عصمة للمولود من الشيطان الرجيم » (٢) .

إن أول صوت اخترق سمع الحسين هو صوت جده الرسول (ص) الذي هو أول من أناب إلى الله ، ودعا إليه ، وأنشودة ذلك الصوت :

« الله أكبر لا إله إلا الله . . » .

لقد غرس النبي (ص) هذه الكلمات التي تحمل جوهر الايمان وواقع الاسلام في نفس وليده ، وغذاه بها فكانت من عناصره ومقوماته ، وقد هام بها في جميع مراحل حياته ، فانطلق إلى ميادين الجهاد مضحياً بكل شيء في سبيل أن تعلو هذه الكلمات في الأرض ، وتسود قوى الخير والسلام وتتحطم معالم الردة الجاهلية التي جهدت على اطفاء نور الله .

## ثانياً : التسمية :

وسماه النبي (ص) حسيناً كما سمى أخاه حسناً (٣) ويقول المؤرخون لم تكن العرب في جاهليتها تعرف هذين الاسمين حتى تسمي أبناءها بهما،

---

(١) كشف الغمة ٢ / ٢١٦ ، تحفة الأزهار وزلال الأنهار .

(٢) روى علي (ع) أن رسول الله (ص) قال : « من وُلد له مولود فليؤذن في اذنه اليمنى ، وليقم في اليسرى فإن ذلك عصمة له من الشيطان الرجيم » وقد أمرني بذلك في الحسن والحسين ، وأن يقرأ مع الأذان والإقامة فاتحة الكتاب وآية الكرسي ، وآخر سورة الحشر ، وسورة الاخلاص والمعوذتين ، جاء ذلك في دعائم الاسلام ١ / ١٧٨

(٣) الرياض النضرة .

وإنما سماها النبي ( ص ) بهما بوحي من السماء (١) .

وقد صار هذا الاسم الشريف علماً لتلك الذات العظيمة التي فجرت الوعي والإيمان في الأرض ، واستوعب ذكرها جميع لغات العالم ، وهام الناس بحبها حتى صارت عندهم شعاراً مقدساً لجميع المثل العليا ، وشعاراً لكل تضحية تقوم على الحق والعدل .

## أقوال شاذة :

وحفلت بعض مصادر التاريخ والاخبار بصور مختلفة لتسمية الامام الحسين ( ع ) لا تخلو من التكلف والانتحال وهي :

١ - ما رواه هانىء بن هانىء عن علي ( ع ) قال : لما ولد الحسن جاء رسول الله ( ص ) فقال : أروني ابني ما سميتموه ؟ قلت : سميته حرباً ، قال : بل هو حسن ، فلما ولد الحسين قال : أروني ابني ماسميتموه ؟ قلت : سميته حرباً ، قال : بل هو حسين ، فلما ولد الثالث جاء النبي صلى الله عايه وآله فقال : أروني ابني ما سميتموه ؟ قلت : حرباً ، فقال بل هو محسن (٢) .

وهذه الرواية - فيما نحسب - لا نصيب لها من الصحة وذلك :

أ - أن سيرة أهل البيت ( ع ) قامت على الالتزام بحرفية الاسلام

---

(١) أسد الغابة ٢ / ١١ ، وفي تاريخ الخلفاء ( ص١٨٨ ) روى عمران بن سليمان قال : الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ، ماسمعت العرب بهما في الجاهلية .

(٢) نهايـــة الأرب ١٨ / ٢١٣ ، الاستيعاب المطبوع على هامش الاصابة ١ / ٣٦٨ ، تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩٦ ، مسند أحمد بن حنبل .

وعدم الشذوذ عن أي بند من أحكامه ، وقد كره الاسلام تسمية الأبناء بأسماء الجاهلية التي هي رمز للتأخر والانحطاط الفكري ، مضافاً إلى أن هذا الاسم علم لجد الأسرة الأموية التي تمثل القوى الحاقدة على الاسلام والباغية عليه ، فكيف يسمي الامام ابناءه به ؟ ! ! .

ب — إن اعراض النبي ( ص ) عن تسمية سبطه الاول به مما يوجب ردع الامام عن تسمية بقية أبنائه به .

ج — إن المحسن باتفاق المؤرخين لم يولد في حياة الرسول ( ص ) وإنما ولد بعد حياته بقليل ، وهذا مما يؤكد انتحال الرواية وعدم صحتها .

٢ — روى احمد بن حنبل بسنده عن الامام علي ( ع ) قال : لما ُولد لي الحسن سميته باسم عمي حمزة ، ولما ُولد الحسين سميته باسم أخي جعفر فدعاني رسول الله ( ص ) فقال : إن الله قد أمرني أن أغير اسم هذين فسماهما حسناً ، وحسيناً » (١) . وهذه الرواية كسابقتها في الضعف فان تسمية السبطين بهذين الاسمين وقعت عقيب ولادتها حسب ما ذهب إليه المشهور ولم يذهب أحد إلى ما ذكره أحمد .

٣ — روى الطبراني بسنده عن الامام علي ( ع ) أنه قال : لما ولد الحسين سميته باسم أخي جعفر فدعاني رسول الله ( ص ) وأمرني أن أسميه حسيناً (٢) ، وهذه الرواية تضارع الروايتين في ضعفها فان الامام أميرالمؤمنين عليه السلام لم يسبق رسول الله ( ص ) في تسمية سبطه وريحانته وهو الذي أسماه بذلك حسب ما ذهب اليه المشهور وأجمعت عليه روايات أهل البيت(ع) .

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل .
(٢) المعجم الكبير للطبراني .

ثالثاً : العقيقة :

وبعدما انطوت سبعة أيام من ولادة السبط أمـــر النبي ( ص ) أن يعق عنه بكبش ، ويوزع لحمه على الفقراء كما أمر أن تعطى القابلة فخذاً منها (١) ، وكان ذلك من جملة ما شرعه الاسلام في ميادين البر والاحسان إلى الفقراء .

رابعاً : حلق رأسه :

وأمر النبي (ص) أن يحلق رأس وليده ، ويتصدق بزنته فضة على الفقراء (٢) فكان وزنه – كما في الحديث – درهمـــاً ونصفاً (٣) وطلى رأسه بالخلوق (٤) ونهى عما كان يفعله أهل الجاهليـــة من اطلاء رأس الوليد بالدم (٥) .

---

(١) مسند الامام زيد ( ص٤٦٨ ) ، تحفة الأزهار وزلال الأنهار، وجاء في الذرية الطاهرة عن عائشة أن رسول الله (ص ) عقّ عن الحسن والحسين شاتين شاتين ، وذبح عنهما يوم السابع ، وقال : اذبحوا على اسمه فقولوا : « بسم الله اللهم لك وإليك هذه عقيقة فلان » وروى هـــذه الرواية الحاكم في المستدرك ٤ / ٢٣٧ ، وطعن بها شمس الدين الذهبي في تلخيص المستدرك ٤ / ٢٣٧ وقال : إن راويها سوار وهو ضعيف ، وذهب مشهور الفقهاء إلى استحباب ذبح شاة واحدة في العقيقة .

(٢) الرياض النضرة ، صحيح الترمذي ، نور الأبصار .

(٣) دعائم الإسلام ٢ / ١٨٥ .

(٤) الخلوق : طيب مركب من زعفران وغيره .

(٥) البحار ١٠ / ٦٨ .

## خامساً : الختان :

وأوعز النبي ( ص ) إلى أهل بيته باجراء الختان على وليده في اليوم السابع من ولادته ، وقد حث النبي ( ص ) على ختان الطفل في هذا الوقت المبكر لأنه أطيب له وأطهر (١) .

## رعاية النبي للحسين :

وتولى النبي (ص) بنفسه رعاية الحسين ، واهتم بـه اهتماماً بالغاً فمزج روحه بروحه ، ومزج عواطفه بعواطفه ، وكان — فيما يقول المؤرخون —: يضع ابهامه في فيه ، وأنه أخذه بعد ولادته فجعل لسانه في فمه ليغذيه بريق النبوة وهو يقول له :

« إيهاً حسين ، إيهاً حسين ، أبى الله إلا ما يريد هو — يعني الإمامة — فيك وفي ولدك . . » (٢) .

وفي ذلك يقول السيد الطباطبائي :

ذادوا عن الماء ظمآناً مراضعه     من جده المصطفى الساقي أصابعه
يعطيـه إبهامـه آناً وآونـة     لسانـه فاستوت منه طبائعـه
غرس سقاه رسول الله من يـده     وطاب من بعد طيب الأصل فارعه

(١) جواهر الأحكام كتاب النكاح ، وجاء فيه أن رسول الله (ص) قال : « طهروا أولادكم يوم السابع فانه أطيب وأطهر ، وأسرع لنبات اللحم ، وأن الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين يوماً . . » .

(٢) المناقب ٣ / ٥٠ .

لقد سكب الرسول (ص) في نفس وليده مُثله ومكرماتـــه ليكون صورة عنه ، وامتداداً لحياته ، وممثلاً له في نشر أهدافه وحماية مبادئه .

## تعويذ النبي للحسنين :

وبلغ من رعاية النبي (ص) لسبطيه ، وحرصه على وقايتها من كل سوء وشر أنه كان كثيراً ما كان يعوذهما فقد روى ابن عبـــاس قال : « كان النبي (ص) يعوذ الحسن والحسين قائلاً : « أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ويقول : « هكذا كان ابراهيم يعوذ ابنيه اسماعيل واسحاق » (١) ويقول عبد الرحمان بن عوف : قال لي رسول الله (ص) :

« يا عبد الرحمان : ألا أعلمك عوذة كان ابراهيم يعوذ بها ابنيه اسماعيل واسحاق ، وأنا أعوذ بها ابني : الحسن والحسين . . كفى بالله واعياً لمن دعا ، ولا مرمى وراء أمر الله لمن رمى . . » (٢) .

ودل ذلك على مدى الحنان ، والعطف الذي يكنه (ص) لهما ، وأنه كان يخشى عليهما من أن تصيبهما عيون الحساد فيقيهما منها بهذا الدعاء .

## ملامحـــه :

وبدت في ملامح الامام الحسين (ع) ملامح جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فكان يحاكيه في أوصافه ، كما كان يحاكيه في أخلاقه

---

(١) ذخائر العقبى ( ص١٣٤ ) مشكل الآثار .

(٢) ذخائر العقبى ( ص١٣٤ ) .

التي امتاز بها على سائر النبيين ، ووصفه محمد بن الضحاك فقال : « كان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله ( ص ) » (١) ، وقيل: إنه كان يشبه النبي ( ص ) ما بين سرته إلى قدميه (٢) وقال الامام علي ( ع ) :

« من سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ( ص ) ما بين عنقه وثغره فلينظر إلى الحسن ، ومن سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين عنقه إلى كعبه خلقاً ولوناً فلينظر الى الحسين ابن علي . . » (٣) .

لقد بدت على وجهه الشريف أسارير الامامة فكان من أشرق الناس وجهاً ، فكان كما يقول أبو كبير الهذلي :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

ووصفه بعض المترجمين له بقوله : « كان أبيض اللون ، فاذا جلس في موضع فيه ظلمة يهتدى اليه لبياض حسنه ونحره » (٤) ويقول آخر : « كان له جمال عظيم ، ونور يتلألأ في جبينه وخده ، يضيء حواليه في الليلة الظلماء وكان أشبه الناس برسول الله ( ص ) » (٥) ، ووصفه بعض الشهداء من

---

(١) المعجم الكبير للطبراني من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين العامة.

(٢) المنمق في أخبار قريش ( ص٥٣٥ ) ، خطط المقريزي ٢ /٢٨٥ الإفادة في تاريخ الأئمة السادة من مصورات مكتبة الامام الحكيم العامة .

(٣) المعجم الكبير للطبراني .

(٤) الإفادة في تاريخ الائمة السادة .

(٥) محاضرات الأوائل والأواخر لعلي درة الحنفي ( ص٧١ ) وفي مصابيح السنة ٢ / ٢٠٢ عن أنس قال : لم يكن أحد أشبه بالنبي ( ص ) من الحسن بن علي ، وقال في الحسين : كان أشبههم برسول الله ( ص ) وفي أنساب الأشراف ج١ ق١ : ان الحسين كان يشبه النبي ( ص ) .

أصحابه في رجز كان نشيداً له في يوم الطف يقول :

له طلعة مثل شمس الضحى ‏ ‏ ‏ له غرة مثل بــدر منير

هيبتــه :

وكانت عليــه سياء الأنبياء ، فكان في هيبته يحكي هيبة جده التي تعنو لها الجباه ، ووصف عظيم هيبته بعض الجلادين من شرطة ابن زياد بقولــه :

« لقد شغلنا نور وجهه ، وجمال هيبته عن الفكرة في قتله » .

ولم تحجب نور وجهه يوم الطف ضربات السيوف ، ولا طعنات الرماح ، فكان كالبدر في بهائه ونضارته وفي ذلك يقول الكعبي :

ومجرح ما غيرت منه القنا حسناً ‏ ‏ ‏ ولا أخلقن منه جديــدا

قد كان بدراً فاغتدى شمس الضحى ‏ ‏ ‏ مذ ألبسته يد الدماء برودا

ولما جيء برأسه الشريف إلى الطاغية ابن زياد بُهــر بنور وجهه فانطلق يقول :

« ما رأيت مثل هذا حسناً ! ! » .

فانبرى إليه أنس بن مالك منكراً عليه قائلاً :

« أما أنه كان أشبههم برسول الله ؟ » (١) .

وحينما عرض الرأس الشريف على يزيد بن معاوية ذهل من جمال هيبته وطفق يقول :

« ما رأيت وجهاً قط أحسن منه ! ! » .

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج١ / ق١ ، مخطوط بمكتبة الامام أمير المؤمنين ( ع ) العامة .

فقال له بعض من حضر :

« إنه كان يشبه رسول الله ( ص ) » (١) .

لقد أجمع الرواة أنه كان يحاكي جده الرسول ( ص ) في أوصافه وملامحه وأنه كان يضارعه في مثله وصفاته ، ولما تشرف عبد الله بن الحر الجعفي بمقابلته امتلأت نفسه اكباراً وإجلالاً له وراح يقول :

« ما رأيت أحداً قط أحسن ، ولا أملأ للعين من الحسين . . » .

لقد بدت على ملامحه سيماء الأنبياء وبهاء المتقين ، فكان يملأ عيون الناظرين إليه ، وتنحني الجباه خضوعاً وإكباراً له .

## ألقـــابه :

أما ألقابه فتدل على سمو ذاته ، وما يتمتع به من الصفات الرفيعة وهي :

١ ـ الشهيد .

٢ ـ الطيب .

٣ ـ سيد شباب أهل الجنة .

٤ ـ السبط (٢) لقوله ( ص ) : « حسين سبط من الأسباط » (٣).

٥ ـ الرشيد .

٦ ـ الوفي .

٧ ـ المبارك .

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج١ / ق١ .

(٢) تحفة الأزهار وزلال الأنهار .

(٣) دائرة المعارف للبستاني ٧ / ٤٨ .

٨ – التابع لمرضاة الله (١) .
٩ – الدليل على ذات الله .
١٠ – المطهر .
١١ – البر .
١٢ – أحد الكاظمين (٢) .

كنيتـــه :

كان يكنى بأبي عبد الله (٣) وذكر غير واحد من المؤرخين أنه لا كنية له غيرها (٤) ، وقيل : إنه يكنى بأبي علي (٥) وكنّاه الناس من بعد شهادته بأبي الشهداء وأبي الأحرار .

نقش خاتمـــه :

كان له خاتمان أحدهما من عقيق ، وقد نقش عليه « ان الله بالغ أمره »(٦) الثاني وهو الذي سلب منه يوم قتل ، وقد كتب عليه « لا إله

(١) نور الأبصار ( ص١١٤ ) ، جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام ( ص١١٦ ) .
(٢) دلائل الامامة ( ص٧٣ ) .
(٣) الارشاد ( ص١٠٣ ) .
(٤) الفصول المهمة ( ص١٧٦ ) نور الأبصار ( ص١٥٢ ) .
(٥) المناقب ٤ / ٧١٧ ، أنساب الآشراف ج١ / ق١ .
(٦) جاء في نور الأبصار أن نقش خاتمه كان « لكل أجل كتاب » .

إلا الله عدد لقاء الله » ، وقد ورد « أن من يتختم بمثله كان له حرز من الشيطان » (١) .

## استعماله الطيب :

وكان الطيب محبباً إليه فكان المسك لا يفارقه في حله وترحاله ، كما كان بخور العود في مجلسه (٢) .

## دار سكناه :

وأول دار سكنها مع أبويه كانت الدار المجاورة لبيت عائشة ولها باب من المسجد ، وتعرف بدار فاطمة (٣) .

---

(١) دلائل الامامة ( ص٧٣ ) .
(٢) ريحانة الرسول ( ص٣٨ ) .
(٣) وفاء الوفاء .

# المكونات التربوية



وتوفرت في سبط الرسول ( ص ) وريحانته الامام الحسين ( ع ) ، جميع العناصر التربوية الفذة التي لم يظفر بها غيره ، فأخذ بجوهرها ولبابها وقد أعدته لقيادة الأمة ، وتحمل رسالة الاسلام بجميع أبعادها ومكوناتها ، كما أمدته بقوى روحية لا حد لهـا من الإيمان العميق بالله ، والخلود إلى الصبر على ما انتابه من المحن والخطوب التي لا يطيقها أي كائن حي من بني الإنسان .

أما الطاقات التربوية التي ظفر بها ، وعملت على تقويمه وتزويده بأضخم الثروات الفكرية والاصلاحية فهي :

## الوراثة :

حددت الوراثة بانها مشابهة الفرع لأصله ، ولا تقتصر على المشابهة في المظاهر الشكلية وإنما تشمل الخواص الذاتية ، والمقومات الطبيعية ، كما نص على ذلك علماء الوراثة وقالوا : أن ذلك أمر بيّنٌ في جميع الكائنات الحية فبذور القطن تخرج القطن ، وبذور الزهرة تخرج الزهرة ، وهكذا غيرها ، فالفرع يحاكي أصله ويساويه في خواصه ، وأدق صفاته ، يقول ( مندل ) :

« ان كثيراً من الصفات الوراثية تنتقل بدون تجزئة أو تغير من أحد الأصلين أو منهما إلى الفرع . . » .

وأكد هذه الظاهرة « هكسلي » بقوله :

« إنه ما أثر أو خاصة لكائن عضوي إلا ويرجع إلى الوراثة أو إلى البيئة فالتكوين الوراثي يضع الحدود لما هو محتمل ، والبيئة تقرر أن هذا

الاحتمال سيتحقق ، فالتكوين الوراثي اذن ليس إلا القدرة على التفاعل مع أية بيئة بطريق خاص . . . » .

ومعنى ذلك أن جميع الآثار والخواص التي تبدو في الأجهزة الحساسة من جسم الانسان ترجع إلى العوامل الوراثية وقوانينها ، والبيئة تقرر وقوع تلك المميزات وظهورها في الخارج ، فاذن ليست البيئة إلا عاملاً مساعداً للوراثة ، حسب البحوث التجريبية التي قام بها الاختصاصيون في بحوث الوراثة .

وعلى أي حال فقد أكد علماء الوراثة بدون تردد أن الأبناء والأحفاد يرثون معظم صفات آبائهم وأجدادهم النفسية والجسمية ، وهي تنتقل اليهم بغير ارادة ولا اختيار ، وقد جاء هذا المعنى صريحاً فيما كتبه الدكتور « الكسيس كارل » عن الوراثة بقوله :

« يمتد الزمن مثلما يمتد في الفرع إلى ما وراء حدوده الجسمية . . وحدوده الزمنية ليست اكثر دقة ولا ثباتاً من حدوده الاتساعية ، فهو مرتبط بالماضي والمستقبل ، على الرغم من أن ذاته لا تمتد خارج الحاضر . . وتأتي فرديتنا كما نعلم إلى الوجود حينما يدخل الحويمن في البويضة . ولكن عناصر الذات تكون موجودة قبل هذه اللحظة ومبعثرة في أنسجة أبوينا وأجدادنا وأسلافنا البعيدين جداً لأننا مصنوعون من مواد آبائنا وأمهاتنا الخلوية . وتتوقف في الماضي على حالة عضوية لا تتحلل . . . وتحمل في انفسنا قطعاً ضئيلة لاعداد من أجسام أسلافنا ، وما صفاتنا ونقائصنا إلا امتداد لنقائصهم وصفاتهم . . » (١) .

وقد اكتشف الاسلام – قبل غيره – هذه الظاهرة : ودلل على فعالياتها ، في التكوين النفسي والتربوي للفرد ، وقد حث باصرار بالغ على

(١) النظام التربوي في الاسلام ( ص٦١ – ٦٢ ) .

أن تقوم الرابطة الزوجية على أساس وثيق من الاختبار والفحص عن سلوك الزوجين ، وسلامتها النفسية والخلقية من العيوب والنقص ، ففي الحديث « تخيروا لنطفتكم فان العرق دساس » وأشار القرآن الكريم الى ما تنقله الوراثة من أدق الصفات قال تعالى حكاية عن نبيه نوح : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً . » (١) فالآية دلت بوضوح على انتقال الكفر والإلحاد بالوراثة من الآباء الى الأبناء ، وقد حفلت موسوعات الحديث بكوكبة كبيرة من الأخبار التي أثرت عن أئمة أهل البيت ( ع ) وهي تدلل على واقع الوراثة وقوانينها وما لها من الأهمية البالغة في سلوك الانسان ، وتقويم كيانه .

على ضوء هذه الظاهرة التي لا تشذ في عطائها نجزم بأن سبط الرسول صلى الله عليه وآله قد ورث من جده الرسول ( ص ) صفاته الخلقية والنفسية ، ومكوناته الروحية التي امتاز بها على سائر النبيين ، وقد حدد كثير من الروايات مدى ما ورثه هو وأخوه الامام الحسن من الصفات الجسمية من جدهما النبي ( ص ) فقد جاء عن علي ( ع ) أنه قال : « من سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ( ص ) ما بين عنقه وشعره فلينظر الى الحسن ، ومن سره أن ينظر الى أشبه الناس برسول الله ( ص ) ما بين عنقه الى كعبه خلقاً ولوناً فلينظر الى الحسين » (٢) وفي رواية أنه كان أشبه النبي ما بين سرته الى قدمه (٣) وكما ورث هذه الظاهرة من جده فقد ورث منه مثله وسائر نزعاته وصفاته .

---

(١) سورة نوح : ٢٦ و ٢٧ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني مخطوط بخط العلامة السيد عزيز الطباطبائي اليزدي .

(٣) المنمق في أخبار قريش ( ٤٩٩ ) .

## الأسرة :

الأسرة (١) من العوامل المهمة في ايجاد عملية التطبيع الاجتماعي ، وتشكيل شخصية الطفل ، واكسابه العادات التي تبقى ملازمة له طوال حياته ، فهي البذرة الأولى في تكوين النمو الفردي ، والسلوك الاجتماعي ، وهي أكثر فعالية في ايجاد التوازن في سلوك الشخص من سائر العوامـــل التربوية الأخرى ، فمنها يتعلم الطفل اللغة ، ويكتسب القيم والتقاليد الاجتماعية.

والأسرة إنما تنشأ أطفالها نشأة سليمة متسمة بالاتزان والبعد عن الشذوذ والانحراف فيما اذا شاع في البيت الاستقرار والمودة والطمأنينة وابتعد عن ألوان العنف والكراهية ، واذا لم ترع ذلك فإن أطفالها تصاب بعقد نفسية خطيرة تسبب لهم كثيراً من المشاكل والمصاعب ، وقد ثبت في علم النفس أن أشد العقد خطورة ، وأكثرها تمهيداً للاضطرابات الشخصية هي التي تكون في مرحلة الطفولة الباكرة خاصة من صلة الطفل بأبويه (٢) .

كما أن من أهم وظائف الأسرة الإشراف على تربية الأطفال فانها مسؤولة عن عمليات التنشئة الاجتماعية التي يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة وقواعدها في صورة تؤهله في مستقبل حياته من المشاركة التفاعلية مع غيره من أعضاء المجتمع .

وأهم وظائف الأسرة عند علماء التربية هي ما يلي :

---

(١) الأسرة : عند علماء الاجتماع هي الرابطة الاجتماعية التى تتكون من زوج وزوجة وأطفالها وتشمل الجدود والأحفاد . انظر علم الاجتماع ( ص٩٢ ) .

(٢) الأمراض النفسية والعقلية ( ص ب ) .

أ ـ اعداد الأطفال بالبيئة الصالحة لتحقيق حاجاتهم البيولوجية والاجتماعية.
ب ـ اعدادهم للمشاركة في حياة المجتمع والتعرف على قيمه وعاداته.
ج ـ توفير الاستقرار والأمن والحماية لهم .
د ـ امدادهم بالوسائل التي تهيء لهم تكوين ذواتهم داخل المجتمع (١).
هـ ـ تربيتهم بالتربية الأخلاقية والوجدانية والدينية (٢) .

وعلى ضوء هذه البحوث التربوية الحديثة عن الأسرة ومدى أهميتها في تكوين الطفل ، وتقويم سلوكه نجزم بأن الامام الحسين ( ع ) كان وحيداً في خصائصه ومقوماته التي استمدها من اسرته فقد نشأ في أسرة تنتهي اليها كل مكرمة وفضيلة في الاسلام ، فما أظلت قبة السماء أسرة أسمى ولا أزكى من أسرة آل الرسول ( ص ) . . . لقد نشأ الامام الحسين ( ع ) في ظل هذه الأسرة وتغذى بطباعها وأخلاقها ، ونعرض ـ بايجاز ـ لبعض النقاط المضيئة النابضة بالتربية الفذة التي ظفر بها الحسين ( ع ) في ظل الأسرة النبوية.

## التربية النبوية :

وقام الرسول الأعظم ( ص ) بدوره بتربية سبطه وريحانته فأفاض عليه بمكرماته ومثله وغذاه بقيمه ومكوناته ليكون صورة عنه ، ويقول الرواة : إنه كان كثير الاهتمام والاعتناء بشأنه ، فكان يصحبه معه في أكثر أوقاته فيشمه عرفه وطيبه ، ويرسم له محاسن أفعاله ، ومكارم أخلاقه ، وقد علمه وهو في غضون الصبا سورة التوحيد (٣) ، ووردت إليه من تمر الصدقة

(١) النظام التربوي في الاسلام .
(٢) نظام الأسرة في الاسلام .
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣١٩ .

فتناول منها الحسين تمرة وجعلها في فيـه ، فنزعها منه الرسول . ( ص ) وقال له : لا تحل لنا الصدقة (١) ، وقد عوده وهو في سنه المبكر بذلك على الاباء ، وعدم تناول ما لا يحل له ، ومن الطبيعي أن ابعاد الطفل عن تناول الأغذية المشتبه فيها أو المحرمة لها أثرها الذاتي في سلوك الطفل وتنمية مداركه حسب ما دللت عليه البحوث الطبية الحديثة ، فان تناول الطفل للأغذية المحرمة مما يوقف فعالياته السلوكيـة ، ويغرس في نفسه النزعات الشريرة كالقسوة ، والاعتداء والهجوم المتطرف على الغير ، وقـد راعى الاسلام باهتمام بالغ هذه الجوانب فألزم بأبعاد الطفل عن تناول الغذاء المحرم (٢) وكان ابعاد النبي ( ص ) لسبطه الحسين عن تناول تمر الصدقة التي لاتحل لأهل البيت ( ع ) تطبيقاً لهذا المنهج التربوي الفذ . . . وسنذكر المزيد من ألوان تربيته له عند عرض ما أثر عنه ( ص ) في حقه (ع ) .

## تربية الامام له :

أما الامام علي (ع ) فهو المربي الأول الذي وضع أصول التربية ، ومناهج السلوك ، وقواعد الآداب ، وقد ربى ولده الامام الحسين ( ع ) بتربيته المشرقة فغذاه بالحكمة ، وغذاه بالعفة والنزاهة ، ورسم له مكارم الأخلاق والآداب ، وغرس في نفسه معنوياته المتدفقة فجعله يتطلـع إلى الفضائل حتى جعل اتجاهه السليم نحو الخير والحق ، وقد زوده بعدة وصايا حافلة بالقيم الكريمة والمثل الانسانية ومنها هذه الوصية القيمة الحافلة بالمواعظ والآداب الاجتماعية وما يحتاج اليه الناس في سلوكهم ، وهي من أروع

(١) مسند الامام أحمد ١ / ٢٠١ .

(٢) النظام التربوي في الاسلام ( ص٩٢ ــ ٩٣ )

ما جاء في الاسلام من الأسس التربوية التي تبحث على التوازن ، والاستقامة في السلوك قال عليه السلام :

« يا بني أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الرضا (١) والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل ، والرضا عن الله تعالى في الشدة والرخاء .

يا بني ما شر بعده الجنة بشر ، ولا خير بعده النار بخير ، وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية . . . اعلم يا بني أن من أبصر عيب نفسه شُغل عن غيره ، ومن رضى بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاته ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن حفر بئراً وقع فيها ، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن كابد الأمور عطب ، ومن اقتحم البحر غرق ، ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن سفه عليهم شتم ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن خالط الأنذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن مزح استخف به ، ومن اعتزل سلم ، ومن ترك الشهوات كان حراً ، ومن ترك الحسد كان له المحبة من الناس .

يا بني عز المؤمن غناه عن الناس ، والقناعة مال لا ينفذ ومن اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه ، العجب ممن خاف العقاب ورجا الثواب فلم يعمل ، الذكر نور والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، والسعيد من وعظ بغيره ، والأدب خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين .

يا بني ليس مع قطيعة الرحم نماء ، ولا مع الفجور غنى ، . . . يابني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله ، وواحد في ترك

(١) في نسخة في الرضا والغضب .

مجالسة السفهاء ، ومن تزين بمعاصي الله عز وجل في المجالس ورثه ذلاً من طلب العلم علم .

يا بني رأس العلم الرفق وآفته الخرق ، ومن كنوز الايمان الصبر على المصائب ، العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر خطأوه ، ومن كثر خطأوه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار .

يا بني لا تؤيسن مذنباً فكم من عاكف على ذنبه ختم له بالخير ، ومن مقبل على عمله مفسد له في آخر عمره صار إلى النار من تحرى القصد خفت عليه الأمور .

يا بني كثرة الزيارة تورث الملالة ، يا بني الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم ، اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله .

يا بني كم من نظرة جلبت حسرة ، وكم من كلمة جلبت نعمة ، لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعلى من التقوى ، ولا معقل أحرز من الورع ، ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية ، ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت ، ومن اقتصر على بلغة الكفاف تعجل الراحة ، وتبوأ حفظ الدعة ، الحرص مفتاح التعب ، ومطية النصب وداع الى التقحم في الذنوب ، والشر جامع لمساوىء العيوب ، وكفى أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك ، لأخيك مثل الذي عليك (١) لك ، ومن تورط في الأمور من غير نظر في الصواب فقد تعرض لمفاجأة النوائب ، التدبير قبل العمل يؤمنك الندم ، من استقبل وجوه العمل والآراء عرف مواقع الخطأ ، الصبر جُنة من الفاقة ، في خلاف النفس رشدها ، الساعات

---

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب ( عليه ) .

تنقص الأعمار ، ربك للباغين من أحكم الحاكمين ، وعالم بضمير المضمرين بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد ، في كل جرعة شرق ، وفي كل أكلة غصص ، لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى ، ما أقرب الراحة من التعب ، والبؤس من النعيم ، والموت من الحياة ، فطوبى لمن أخلص لله تعالى علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه ، وكلامه وصمته ، وبخ بخ لعالم علم فكف ، وعمل فجد وخاف التباب (١) فأعد واستعد ، إن سئل أفصح ، وان ترك سكت ، كلامه صواب ، وصمته من غير عي عن الجواب ، والويل كل الويل لمن بلى بحرمان وخذلان وعصيان ، واستحسن لنفسه مايكرهه لغيره ، من لانت كلمته وجبت محبته ، من لم يكن له حياء ولا سخاء فالموت أولى به من الحياة ، لا تتم مروؤة الرجل حتى لا يبالي أي ثوبيه لبس ، ولا أي طعاميه أكل » (٢) .

وحفلت هذه الوصية بآداب السلوك وتهذيب الأخلاق ، والدعوة إلى تقوى الله التي هي القاعدة الأولى في وقاية النفس من الإنحراف والآثام وتوجيهها الوجهة الصالحة التي تتسم بالهدى والرشاد .

## تربيـــة فاطمة له :

وعنت سيدة النساء ( ع ) بتربية وليدها الحسين ، فغمرته بالحنـــان والعطف لتكون له بذلك شخصيته الاستقلالية ، والشعور بذاتياته ، كما

---

(١) التباب : الهلاك والخسران ، ومنه قوله تعالى : « تبت يـــدا أبي لهب » .

(٢) الاعجاز والايجاز ( ص٣٣ ) .

غذته بالآداب الاسلامية ، وعودته على الاستقامة ، والاتجاه المطلق نحو الخير يقول العلائلي :

« والذي انتهى إلينا من مجموعة أخبار الحسين أن أمه عنيت ببث المثل الاسلامية الاعتقادية لتشيع في نفسه فكرة الفضيلة على أتم معانيها ، وأصح أوضاعها ، ولابدع فان النبي (ص) أشرف على توجيهه أيضاً في هذا الدور الذي يشعر الطفل فيه بالاستقلال.

فالسيدة فاطمة أنمت في نفسه فكرة الخير ، والحب المطلق والواجب ومدّدت في جوانحه وخوالجه أفكار الفضائل العليا بأن وجهت المبادىء الأدبية في طبيعته الوليدة ، من أن تكون هي نقطة دائرتها الى الله الذي هو فكرة يشترك فيها الجميع .

وبذلك يكون الطفل قد رسم بنفسه دائرة محدودة قصيرة حين أدار هذه المباديء الأدبية على شخص والدته ، وقصرها عليها وما تجاوز بها إلى سواها من الكوائن ، ورسمت له والدته دائرة غير متناهية حين جعلت فكرة الله نقطة الارتكاز ، ثم أدارت المباديء الأدبية والفضائل عليها فاتسعت نفسه لتشمل وتستغرق العالم بعواطفها المهذبة ، وتأخذه بالمثل الأعلى للخير والجمال . . . (١) .

لقد نشأ الامام الحسين (ع) في جو تلك الأسرة العظيمة التي ما عرف التاريخ الانساني لها نظيراً في إيمانها وهديها ، وقد صار (ع) بحكم نشأته فيها من أفذاذ الفكر الانساني ومن أبرز أئمة المسلمين .

---

(١) الامام الحسين ( ص٢٨٩ ) .

## البيئـــة :

وأجمع المعنيون في البحوث التربوية والنفسية على أن البيئة من أهم العوامل التي تعتمد عليها التربية في تشكيل شخصية الطفل واكسابه الغرائز والعادات ، وهي مسؤولة عن أي انحطاط أو تأخر للقيم التربوية ، كما أن استقرارها ، وعدم اضطراب الأسرة لها دخل كبير في استقامة سلوك النشيء ووداعته ، وقد بحثت مؤسسة اليونسكو في هيئة الأمم المتحدة عن المؤثرات الخارجة عن الطبيعة في نفس الطفل، وبعد دراسة مستفيضة قام بها الأختصاصيون قدموا هذا التقرير :

« مما لا شك فيه أن البيئة المستقرة سيكولوجياً ، والأسرة الموحدة التي يعيش أعضاؤها في جو من العطف المتبادل هي أول أساس يرتكز عليه تكيف الطفل من الناحية العاطفية ، وعلى هذا الأساس يستند الطفل فيما بعد في تركيز علاقاته الاجتماعية بصورة مرضية ، أما اذا شوهت شخصية الطفل بسوء معاملة الوالدين فقد يعجز عن الاندماج في المجتمع ... » (١).

ان استقرار البيئة وعدم اضطرابها من أهم الأسباب الوثيقة في تماسك شخصية الطفل وازدهار حياته ، ومناعته من القلق ، وقد ذهب علماء النفس إلى أن اضطراب البيئة وما تحويه من تعقيدات ، وما تشتمل عليه من أنواع الحرمان كل هذا يجعل الطفل يشعر بأنه يعيش في عالم متناقض مليء بالغش والخداع والخيانة والحسد وأنه مخلوق ضعيف لا حول له ، ولا قوة تجاه

---

(١) أثر الأسرة والمجتمع في الأحداث الذين هم دون الثالثة عشرة مؤسسة اليونسكو ( ص٣٥ ) .

هذا العالم العنيف (١) . . . وقد عنى الاسلام بصورة ايجابية في شؤون البيئة فأرصد لاصلاحها وتطورها جميع أجهزته وطاقاته ، وكان يهدف قبل كل شيء أن تسود فيها القيم العليا من الحق والعدل والمساواة ، وأن تتلاشى فيها عوامل الانحطاط والتأخر من الجور والظلم والغبن ، وأن تكون آمنة مستقرة خالية من الفتن والاضطراب حتى تمد الأمة بخيرة الرجال وأكثرهم كفاءة ، وانطلاقاً في ميادين البر والخير والاصلاح .

وقد انتجت البيئة الاسلامية العظماء والأفذاذ والعباقرة المصلحين الذين هم من خيرة ما أنتجته الانسانية في جميع مراحل تاريخها كسيدنا الامام أمير المؤمنين ( ع ) وعمار بن ياسر ، وأبي ذر وأمثالهم من بناة العدل الاجتماعي في الاسلام .

لقد نشأ الامام الحسين ( ع ) في جو تلك البيئة الاسلامية الواعية التي فجرت النور وصنعت حضارة الانسان ، وقادت شعوب الأرض لتحقيق قضاياها المصيرية ، وأبادت القوى التي تعمل على تأخير الانسان ، وانحطاطه تلك البيئة العظيمة التي هبت الى ينابيع العدل تعب منها فتروي وتروي الأجيال الظامئة .

وقد شاهد الامام الحسين وهو في غضون الصبا ما حققته البيئة الاسلامية من الانتصارات الرائعة في اقامة دولة الاسلام ، وتركيز أسسها ، وأهدافها وبث مبادئها الهادفة إلى نشر المودة والدعة والأمن بين الناس .

هذه بعض المكونات التربوية التي توفرت للامام الحسين ( ع ) وقد أعدته ليكون المثل الأعلى لجده الرسول ( ص ) في الدعوة الى الحق ، والصلابة في العدل .

---

(١) التكيف النفسي ( ص٢٢ ) .

# في ظلال القرآن والسنة



وعنى الاسلام كتاباً وسنةً بشأن الامام الحسين ( ع ) وأولاه المزيد من العناية والاهتمام لأنه من مراكز القيادة العليا في الاسلام التي تطل على هذا الكون فتشرق على معالمه ، وتصلح من شأن الانسان ، وتدفعه الى السلوك النير ، والمنهج السليم .

لقد قابل الاسلام بكل تكريم واحتفاء الامام الحسين كما عنى به مع أبويه وأخيه ، فرفع ذكرهم وحث باصرار على اتباع سلوكهم ، والاقتداء بهم ، وضمن للأمة أن لا تزيغ عن طريق الهدى اذا لم تتقدم عليهم في مجالات الحكم والتشريع وغيرهما ، ونشير - بإيجاز - الى بعض ما أثر في الكتاب والسنة في حقهم :

## في ظلال القرآن :

أما كتاب الله العظيم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - فقد أعلن فضل الامام الحسين في اطار أهل البيت (ع) وله في كتاب الله غنى عن مدح المادحين ووصف الواصفين ، وهذه بعض الآيات الناطقة في فضلهم .

### آيـــة التطهير :

قال تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (١) ولابد لنا من وقفة قصيرة للبحث عن هذه الآية .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٢ .

## أ ـ من هم أهل البيت ؟

وأجمع المفسرون وثقاة الرواة (١) أن أهل البيت هم الخمسة أصحاب الكساء وهم : سيد الكائنات الرسول (ص) وصنوه الجاري مجرى نفسه أمير المؤمنين (ع) وبضعته الطاهرة عديلة مريم بنت عمران سيدة النساء فاطمة الزهراء التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها ، وريحانتاه من الدنيا سبطاه الشهيدان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ولم يشاركهم أحد من الصحابة وغيرهم في هذه الآية ، ويدل على هذا الاختصاص ما يلي :

اولاً ـ إن أم سلمة قالت : نزلت هذه الآية في بيتي ، وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا » يكرر ذلك ، وأم سلمة تسمع وترى فقالت : وأنا معكم يا رسول الله ، ورفعت الكساء لتدخل فجذبه منها ، وقال لها : « انك على خير »

---

(١) تفسير الفخر ٦ / ٧٨٣ ، النيسابوري في تفسير سورة الأحزاب صحيح مسلم ٢ / ٣٣١ ، ما نزل من القرآن في أهل البيت (ص٤١) ، من المخطوطات المصورة في مكتبة الامام الحكيم نقلت من الخزانة المستنصرية سنة ( ٦٦٦ هـ ) تأليف الحسين بن الحكم الخنزي ، الخصائص الكبرى ٢ / ٢٦٤ ، الرياض النضرة ٢ / ١٨٨ ، خصائص النسائي ، تفسير ابن جرير ٢٢ / ٥ ، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ١٠٧ ، سنن البيهقي ٢ / ١٥٠ مشكل الآثار ١ / ٣٣٤ . وقد أورد جلال الدين السيوطي في ( الدر المنثور ) عشرين رواية من طرق مختلفة في اختصاص الآية بأهل البيت ، وأورد ابن جرير في تفسيره خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة في قصر الآية عليهم بالخصوص .

وتواترت الصحاح بذلك (١) ، وهي حسب رواية أم سلمة تدل - بوضوح- على الحصر بهم ، وامتيازهم عن غيرهم بهذه المأثرة المشرقة .

ثانياً - إن الرسول ( ص ) قد سلك كل مسلك في اعلان اختصاص الآية بهم ، فقد روى ابن عباس قال : « شهدت رسول الله ( ص ) سبعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » الصلاة رحمكم الله ، كل يوم خمس مرات » (٢) ، وروى أنس بن مالك أن النبي (ص ) كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٣) وروى أبو برزة قال : صليت مع رسول الله ( ص ) سبعة أشهر فاذا خرج من بيته أتى باب فاطمة (ع ) فقال : السلام عليكم « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٤) .

وقد أكد النبي ( ص ) اختصاص الآية بأهل بيته ونفاها عن غيرهم ارشاداً للأمة وإلزاماً لها باتباعهم وتسليم قيادتها لهم .

ثالثاً - احتجاج العترة الطاهرة على اختصاص الآية بهم ، فقد قال الامام الحسن الزكي ( ع ) في بعض خطبه :

« وأنا من أهل البيت الذي كان جبرئيل ينزل إلينا ، ويصعد من

---

(١) مستدرك الحاكم ٢ / ٤١٦ ، أسد الغابة ٥ / ٥٢١ .

(٢) الدر المنثور ٥ / ١٩٩ .

(٣) مجمع الزوائد ٩ / ١٦٩ ، أنساب الأشراف ج١ ق١ ص١٥٧ .

(٤) ذخائر العقبى ( ص٢٤ ) .

عندنا ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » (١)

وتواترت الأخبار من طرق العترة الطاهرة معلنة اختصاص الآية بالخمسة من أصحاب الكساء وعدم تناولها لغيرهم من اسرة النبي .

ب – خروج نساء النبي :

وليس لنساء النبي ( ص ) أي نصيب في هذه الآية فقد خرجن عنها موضوعاً أو حكماً – كما يقول علماء الأصول – وللتدليل على ذلك نذكر ما يلي :

١ – إن الأهل – في اللغة – موضوع لعشيرة الرجل وذوي قرباه(٢) ولا يشمل الزوجة ، وأكد هذا المعنى زيد بن أرقم حينما سئل عن أهل بيت النبي (ص) هل يشمل زوجاته ؟ فأنكر ذلك ، وقال :

« لا – وأيم الله – إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، . أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده » (٣) .

٢ – إنا لو سلمنا أن الأهل يشمل الزوجة ويطلق عليها فلابد من تخصيصه بالأخبار المتقدمة فانها توجب التخصيص من دون شك ، فقد بلغت حد التواتر اللفظي أو المعنوي .

ج – مزاعم عكرمة ومقاتل :

وهناك جماعة من صنائع بني أمية ودعاة الخوارج حاولوا صرف الآية عن العترة الطاهرة ، واختصاصها بنساء النبي (ص) متمسكين بسياق الآية ومن الذاهبين إلى ذلك عكرمة ، ومقاتل بن سليمان ، وكان عكرمة من

---

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ١٧٢ .

(٢) القاموس المحيط ١ / ٣٣١ ، أقرب الموارد .

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٨٦ ، صحيح مسلم ٢ / ٢٣٨ .

أشد الناس تحاملاً على أصحاب الكساء ، وكان ينادي بذلك في السوق(١) وبلغ من اصراره وعناده أنه كان يقول : « من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي » (٢) ، ومن الطبيعي أن نداءه في السوق ، وعرضه للمباهلة انما يدل على بغضه الشديد للعترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم ، ولابد لنا من النظر في شؤون عكرمة ومقاتل حتى يتبين اندفاعها لما زعماه .

## عكرمة في الميزان :

عكرمة البربري هو أبو عبد الله المدني أصله من البربر كان مولى للحصين ابن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة من قبل الامام أمير المؤمنين (ع) وبقي رقاً حتى توفي ابن عباس فباعه علي بن عبد الله ثم استرده (٣) وقد جرح في عقيدته واتهم في سلوكه ، فقد ذكر المترجمون له ما يلي :

١ - إنه كان من الخوارج (٤) وقد وقف على باب المسجد فقال ما فيه إلا كافر (٥) لأن الخوارج ذهبوا الى كفر المسلمين ، أما موقفهم من الامام أمير المؤمنين فمعروف بالنصب والعداء .

٢ - إنه عرف بالكذب ، وعدم الحريجة منه ، وقد اشتهر بهذه الظاهرة فعن ابن المسيب أنه قال لمولاه برد : « لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس » (٦) ، وعن عثمان بن مرة أنه قال للمقاسم : إن

---

(١) أسباب النزول للواحدي ( ص٢٦٨ )

(٢) الدر المنثور ٥ / ١٩٨ .

(٣) تهذيب التهذيب ٧ / ٢٦٣ .

(٤) ميزان الاعتدال ٣ / ٩٥ ، طبقات القراء ١ / ١٥ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٢١٦ .

(٥) ميزان الاعتدال ٣ / ٩٥ .

(٦) ميزان الاعتدال ٣ / ٩٦ .

عكرمة حدثنا عن ابن عباس كذا ، فقال القاسم : يا بن أخي إن عكرمة كذاب يحدث غدوة حديثاً يخالفه عشيا (١) .

ومع اتهامه بالكذب لا يمكن التعويل على أي رواية من رواياته فان اقتراف الكذب من أظهر الأسباب التي توجب القدح في الراوى .

٣ ــ إنه كان فاسقاً يسمع الغناء ، ويلعب بالنرد ، ويتهاون في الصلاة وكان خفيف العقل (٢) .

٤ ــ ان المسلمين قد نبذوه وجفوه ، وقد توفي هو وكثير عزة في يوم واحد فشهد الناس جنازة كثير ولم يشهدوا جنازته (٣) .

ومع هذه الطعون التي احتفت به كيف يمكن الاعتماد على روايته والوثوق بها وقد اعتمد عليه البخاري وتجنبه مسلم (٤) قال البخاري : ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة (٥) ومن الغريب أن البخاري يعتمد في رواياته على عكرمة وأمثاله من المطعونين في دينهم ، ويتحرج من رواية العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم .

مقاتل بن سليمان :

أما مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني ، فهو كصاحبه عكرمة كان متهماً في دينه ، وذكر المترجمون له ما يلي :

١ ــ إنه كان كذاباً ، قال النسائي : كان مقاتل يكذب (٦) وكذلك

---

(١) معجم الأدباء .

(٢) تهذيب التهذيب ٧ / ٢٦٣ .

(٣) تهذيب التهذيب ٧ / ٢٧١ .

(٤) ميزان الاعتدال ٣ / ٩٣ .

(٥) تهذيب التهذيب ٧ / ٢٧١ .

(٦) ميزان الاعتدال ٤ / ١٧٣ .

قال وكيع : وقال اسحاق بن ابراهيم الحنظلي : أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم نظير - يعني في البدعة والكذب - : جهم ومقاتل ، وعمر بن صبيح ، وقال خارجة بن مصعب : كان جهم ومقاتل عندنا فاسقين فاجرين(١) ومع اتهامه بالكذب لا يصح الاعتماد على روايته ، ويسقط حديثه عن الاستدلال به .

٢ - إنه كان متهماً في دينه ، وكان يقول بالتشبيه ، قال ابن حبان : كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان مشبهاً يشبه الرب سبحانه بالمخلوقين وكان يكذب في الحديث (٢) وقد استحل بعض الأخيار دمه يقول خارجة : لم استحل دم يهودي ولا ذمي ، ولو قدرت على مقاتل بن سليمان في موضع لا يرانا فيه أحد لقتلته(٣).

٣ - عرف مقاتل بالنصب والعداء لأمير المؤمنين ( ع ) وكان دأبه صرف فضائل الامام ( ع ) وقد أثر عن الامام أنه كان يقول : « سلوني قبل أن تفقدوني » فأراد مقاتل أن يجاريه في ذلك فكان يقول : « سلوني عما دون العرش » فقام إليه رجل فقال له : إخبرني عن النملة أين أمعاؤها فسكت ولم يطق جواباً (٤) وقال مرة : سلوني عما دون العرش فقام إليه رجل فقال له : إخبرنى من حلق رأس آدم حين حج ؟ فحار ولم يطق جواباً (٥) .

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٨١ .
(٢) تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٨٤ ، ميزان الاعتدال ٤ / ١٧٥ .
(٣) تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٨١ .
(٤) تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٨٣ .
(٥) وفيات الأعيان .

وهذه البوادر تدل على فساد آرائه ، وعدم التعويل على أي حديث من أحاديثه .

## وهن استدلالها :

واستدل عكرمة ومقاتل بسياق الآية على أنها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله ولا تشمل أهل بيته ، وقد عرض الامام شرف الدين بصورة موضوعية الى ابطال ذلك ، قال رحمه الله : ولنا في رده وجوه :

« الأول » : إنه اجتهاد في مقابل النصوص الصريحة ، والأحاديث المتواترة الصحيحة .

« الثاني » : إنها لو كانت خاصة في النساء — كما يزعم هؤلاء — لكان الخطاب في الآية بما يصلح للاناث ، ولقال عز من قائل : عنكن ويطهركن ، كما في غيرها في آياتهن ، فتذكير ضمير الخطاب فيهـا دون غيرها من آيات النساء كاف في رد تضليلهم .

« الثالث » : إن الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض وهو تخلل الجملة الأجنبية بين الكلام المتناسق ، كقوله تعالى في حكاية خطاب العزيز لزوجته إذ يقول لها : « إنه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك » فقوله : « يوسف أعرض عن هذا » مستطرد بين خطابيه معها — كما ترى — ومثله قوله تعالى : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون » فقوله : « وكذلك يفعلون » مستطرد من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس ، ونحوه قوله عز من قائل : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . وإنـه لقرآن

كريم » تقديره أفلا أقسم بمواقع النجوم . إنه لقرآن كريم ، وما بينهما استطراد على استطراد وهذا كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب وغيرهم من البلغاء .

وآية التطهير من هذا القبيل جاءت مستطردة بين آيات النساء ، فتبين بسبب استطرادها أن خطاب الله لهن بتلـك الأوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن إلا لعناية الله تعالى بأهل البيت « أعني الخمسة » لئلا ينالهم « ولو من جهتهن » لوم أو ينسب إليهم « ولو بواسطة » هناة أو يكون عليهم للمنافقين « ولو بسببهن » سبيل ولولا هذا الاستطراد ما حصلت النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم ، وكمل اعجازه الباهر كما لا يخفى (١) .

ورأي الامام شرف الدين رأي وثيق فقد قطع به تأويل المتأولين ، ودحض به أوهام المعاندين ، وتمت به الحجة على المناوئين .

دلالتها على العصمة :

ودلت الآية بوضوح على عصمة الخمسة من أهل البيت ( ع ) فقد أذهب تعالى عنهم الرجس – أي المعاصي – وطهرهم منها تطهيرا وهذا هو واقع العصمة وحقيقتها .

وقد تصدرت الآية للدلالة على ذلك بكلمة « إنما » التي هي من أقوى أدوات الحصر ، ويضاف اليه دخول اللام في الكلام الخبري ، وتكرار لفظ الطهارة ، وكل ذلك يدل – بحسب الصناعة – على الحصر والاختصاص وارادة الله في ذلك إرادة تكوينية يستحيل فيها تخلف المراد عن الإرادة « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » .

ويقول الامام شرف الدين : إنها دلت بالالتزام على إمامة أميرالمؤمنين

(١) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء ( ع ) ( ص١٩٦ – ١٩٧ ) .

عليه السلام لأنه ادعى الخلافة لنفسه ، وادعاها له الحسنان وفاطمة ، ولايكونون كاذبين ، لأن الكذب من الرجس الذي أذهبه الله عنهم ، وطهرهم منـــه تطهيرا (١) .

## آيــة المودّة :

وفرض الله على المسلمين مودة أهل البيت (ع) قال تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ان الله غفور شكور » (٢) .

ذهب جمهور المسلمين إلى أن المراد بالقربى هم علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين وان اقتراف الحسنة إنما هي في مودتهم ومحبتهم ، وفيما يلي بعض ما أثر في ذلك :

١ — روى ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية قالوا : يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودتهم ؟ قال (ص) : « علي وفاطمة وابناهما » (٣) .

٢ — روى جابر بن عبد الله قال : جاء اعرابي الى النبي (ص) فقال : يا محمد اعرض علي الاسلام ، فقال (ص) : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال الاعرابي : تسألني عليه أجراً ؟

(١) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (ع) (ص٢٠١) .

(٢) سورة آل حم الشورى : آية ٢٣ .

(٣) مجمــع الزوائد ٧ / ١٠٣ ، ذخائر العقبى (ص ٢٥) ، نور الابصار (ص١٠١) ، الدر المنثور .

قال ( ص ) لا إلا المودة في القربى .

الاعرابي : قرباي أم قرباك ؟

الرسول ( ص ) : قرباي .

الاعرابي : هات أبايعك . فعلى من لا يحبك ، ولا يحب قرباك لعنة الله .

قال ( ص ) : ( آمين ) (١) .

٣ — روى ابن عباس قال : لما نزل قوله تعالى : « قل لا اسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » ، قال قوم في نفوسهم : ما يريد إلا أن يحثنا على قرابته من بعده فأخبر جبرئيل النبي ( ص ) انهم اتهموه ، فأنزل « أم يقولون افترى على الله كذبا » ، فقال القوم : يا رسول الله انك صادق فنزل « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده » (٢) .

٤ — احتجاج العترة الطاهرة بأنها نزلت فيهم فقد خطب سبط الرسول صلى الله عليه وآله الأول وريحانته الامام الحسن (ع ) فقال في جملة خطابه :

« وأنا من أهل البيت الذين أفترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت » (٣) .

واحتج بها سيد الساجدين والعابدين الامام علي بن الحسين ( ع ) لما جيء به أسيراً الى الطاغية يزيد وأقيم على درج دمشق انبرى اليه رجل من أهل الشام فقال له :

« الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم ، وقطع قرني الفتنة » .

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ٢٠١ .

(٢) الصواعق المحرقة ( ص١٠٢ ) .

(٣) حياة الامام الحسن ١ / ٦٨ .

فنظر اليه الامام فرأه مغفلاً قد خدعته الدعايات المضللة وحادت به عن الطريق القويم فقال له :

« اقرأت القرآن ؟ » .

« نعم » .

« اقرأت آل حم ؟ » .

« قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم » .

« ما قرأت ( لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى )؟ » .

فذهل الرجل ومشت الرعدة باوصاله وسارع يقول :

« وانكم لأنتم هم ؟ » .

« نعم » (١) :

وقال الامام أمير المؤمنين ( ع ) : فينا آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » (٢)

كلمة الفخر الرازي .

وعلق الفخر الرازي على هـذه الآية مشيداً بآل النبي ( ص ) قال ما نصه :

« واذا ثبت هذا — يعني اختصاص الآية بآل البيت ( ع ) — وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم قال ويدل عليه وجوه :

« الأول » : قوله تعالى : « إلا المودة في القربى » ووجه الاستدلال به ما سبق وهو ما ذكره من قبل أن آل محمد ( ص ) هم الذين يؤول أمرهم اليه فكل من كان أمرهم اليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ، ولاشك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بهم وبين رسول الله ( ص )

(١) تفسير الطبري ٢٥ / ١٦ .

(٢) كنز العمال ١ / ٢١٨ ، الصواعق المحرقة ( ص١٠١ )

أشد التعلقات ، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر ، فوجب أن يكونوا هم الآل .

« الثاني » : لا شك أن النبي ( ص ) كان يحب فاطمة ( ع ) قال ( ص ) : « فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها » وثبت بالنقل المتواتر عن محمد ( ص ) أنه كان يحب علياً والحسن والحسين عليهم السلام ، واذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله تعالى : « واتبعوه لعلكم تهتدون » ولقوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » ولقوله : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله » ولقوله سبحانه : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » .

« الثالث » : إن الدعاء للآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمداً وآل محمد » واجب . . . (١) .

ان مودة أهل البيت ( ع ) من أهم الواجبات الاسلامية ، ومن أقدس الفروض الدينية يقول الامام محمد بن ادريس الشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر انكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له (٢)

وقال ابن العربي :

رأيت ولائي آل طه فريضة ... على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى ... بتبليغه إلا المودة في القربى

ويقول شاعر الاسلام الكميت :

وجدنا لكم في آل حم آية ... تأولها منا تقي ومعرب

إن في مودة آل البيت ( ع ) أداءاً لأجر الرسالة ، وصلة للرسول

---

(١) تفسير الرازي في ذيل تفسير آية المودة في سورة الشورى .

(٢) الصواعق المحرقة ( ص٨٨ ) .

الأعظم (ص) وشكراً له على ما لاقاه من عظيم العناء والجهد في سبيل انقاذ المسلمين من الشرك، وتحرير عقولهم من الخرافات، وقد جعل تعالى حق نبيه العظيم على هذه الأمة أن توالي عترته، وتكن لها المودة والولاء .

## آية المباهلة :

من آيات الله البينات التي أعلنت فضل أهل البيت عليهم السلام آية المباهلة قال تعالى : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (١) .

واتفق المفسرون ورواة الحديث أنها نزلت في أهل البيت (٢) .

وان أبناءنا اشارة الى ( الحسنين ) ونساءنا اشارة الى ( فاطمة ) ، وأنفسنا الى علي . . نزلت الآية الكريمة في واقعة تاريخية بالغة الخطورة جرت بين قوى الاسلام وبين القوى الممثلة للنصارى ، وموجز هذه الحادثة أن وفداً من نصارى نجران قدموا على رسول الله (ص) ليناظروه في الاسلام ، وبعد حديث دار بينهم وبين النبي (ص) اتفقوا على الابتهال أمام الله ليجعل لعنته ، وعذابه على الكاذبين والحائدين عن الحق ، وعينوا

(١) سورة آل عمران : آية ٦٠ .

(٢) تفسير الرازي ٢ / ٦٩٩ ، تفسير البيضاوي ( ص٧٦ ) تفسير الكشاف ١ / ٤٩ ، تفسير روح البيان١ / ٤٥٧ ، تفسير الجلالين ١ /٣٥ ، صحيح الترمذي ٢ / ١٦٦ ، سنن البيهقي ٧ / ٦٣ ، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٨٥ ، مصابيح السنة للبغوي ٢ / ٢٠١ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٩٣ .

وقتاً خاصاً لذلك ، وانصرف وفد النصارى على موعد للعودة للمباهلـــة حتى يستبين أمر الله ويظهر الحق ويزهق الباطل ، وقـــد هامت نفوسهم بتيارات من الهواجس والأحاسيس ، لا يعلمون أن النبي ( ص ) بمن يباهلهم ؟

وفي اليوم الذي اتفقا عليه خرج النبي ( ص ) وقد اختار للمباهلة أفضل الناس وأكرمهم عند الله ، وهم باب مدينة علمه وأبو سبطيه الامام أمير المؤمنين ( ع ) وبضعته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

وأقبل ( ص ) وقد احتضن الحسين ، وأمسك بيده الأخرى الحسن وسارت خلفه الزهراء مغشاة بمـــلأة من نور الله ، يسير خلفها الامام أمير المؤمنين ( ع ) وهو باد الجلال . .

وخرج السيد والعاقب بولديها وعليها الحلي والحلل ، ومعهم نصارى نجران وفرسان بني الحرث على خيولهم وهم على أحسن هيأة واستعداد ، واحتشدت الجماهير وقد اشرأبت الأعناق تراقب الحادث الخطير ، وساد الوجوم وصار الكلام همساً ، ولما رأت النصارى هيأة الرسول مع أهل بيته ، وهي تملأ العيون ، وتعنو لها الجباه امتلأت نفوسهم رعباً وهلعاً من هيبة الرسول وروعة طلعته ، وجثا النبي صلى الله عليه وآله للمباهلة بخضوع فتقدم اليه السيد والعاقب وقد سرت الرعدة في نفوسهم قائلين :

« يا أبا القاسم بمن تباهلنا ؟ » .

فاجابهم ( ص ) بكلمات تمثلت فيها روعة الإيمان والخشية من الله قائلاً :

« أباهلكم بخير أهل الأرض ، وأكرمهم الى الله ، وأشار الى علي وفاطمة والحسنين » .

وانبريا يسألان بتعجب قائلين :

« لم لا تباهلنا بأهل الكرامة ، والكبر وأهل الشارة ممن آمن بك واتبعك ؟ ! ! » .

فانطلق الرسول ( ص ) يؤكد لهم أن أهل بيته أفضل الخلق عند الله قائلاً :

« أجل أباهلكم بهؤلاء خير أهل الأرض وأفضل الخلق » .

فذهلوا ، وعرفوا أن الرسول (ص) على حق ، وقفلوا راجعين الى الأسقف زعيمهم يستشيرونه في الأمر قائلين له :

« يا أبا حارثة ماذا ترى في الأمر ؟ » .

« أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله »

ولا يكتفي بذلك ، وانما دعم قوله بالبرهان ، واليمين قائلاً :

« أفلا تنظرون محمداً رافعاً يديه ، ينظر ما تجيئان به ، وحق المسيح — إن نطق فوه بكلمة — لا نرجع الى أهل ، ولا الى مال ! ! ! » .

وجعل ينهاهم عن المباهلة ويهتف فيهم قائلاً :

« ألا ترون الشمس قد تغير لونها ، والأفق تنجع فيه السحب الداكنة والريح تهب هائجة سوداء ، حمراء ، وهذه الجبال يتصاعد منها الدخان ، لقد أطل علينا العذاب ، انظروا الى الطير وهي تقيء حواصلها والى الشجر كيف تتساقط أوراقها ، والى هذه الأرض كيف ترجف تحت أقدامنا !!! » .

لقد غمرتهم تلك الوجوه العظيمة ، رأوا بالعيان ما لها من مزيد الفضل والكرامة عند الله ، ويتدارك النصارى الأمر فأسرعوا الى النبي صلى الله عليه وآله قائلين :

« يا أبا القاسم . إقلنا اقال الله عثرتك » .

ويخضعون لما شرطه النبي ( ص ) عليهم ، وأعلن بعد ذلك أنهم لو استجابوا للمباهلة لهلكت النصارى قائلاً :

« والذي نفسي بيده ان العذاب تدلى على أهل نجران ، ولو لاعنوا لمُسخوا قردة وخنازير ، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ، ولاستأصل الله نجران وأهله ، حتى الطير على الشجر ، وما حـال الحول على النصارى كلهم . . . » (١) .

وأوضحت هذه الحادثة الخطيرة مدى أهمية أهل البيت ( ع ) وأنهم لا مثيل لهم في المجتمع الاسلامي الحافل آنذاك بالمجاهدين والمكافحين في سبيل الاسلام ولو أن النبي ( ص ) وجد من هو خير منهم ورعا وتقوى لاختارهم للمباهلة ، بل لو كان هنـاك من يساويهم في الفضل لامتنع أن يقدم أهل بيته عليهم لقبح الترجيح بلا مرجح – كما يقول علماء الأصول– كما أنه (ص ) لم ينتدب للمباهلة أحداً من عشيرته الأقربين فلم يدع صنو أبيه وعمه العباس بن عبد المطلب ، ولم يدع أحداً من ابناء الهاشميين ليضمه الى سبطيه وكذلك لم يدع واحدة من امهات المؤمنين وهن كن في حجراته بل لم يدع شقيقة أبيه صفية ولا غيرها ليضمها الى بضعته سيدة نساء العالمين ولم يدع غيرها من عقائل الشرف وخفرات عمرو العلى وشيبة الحمد ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثـة وغيرهم من المهـاجرين والأنصـار ، وجميع أسرته كانوا بمرأى منه ومسمع ، والغرض من ذلك التدليـل على فضل أهل بيته وعظيم شأنهم عند الله « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

يقول الامام شرف الدين رحمه الله : « وأنت تعلم أن مباهلته ( ص ) بهم والتماسه منهم التأمين على دعائه بمجرده لفضل عظيم ، وانتخابه إياهم لهذه المهمة العظيمة ، واختصاصهم بهذا الشأن الكبير ، وايثارهم فيه على من سواهم من أهل السوابق ، فضل على فضل لم يسبقهم اليه سابق ولن

---

(١) نور الأبصار ( ص١٠٠ )

يلحقهم فيه لاحق ، ونزول القرآن العزيز آمراً بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث ، يزيد فضل المباهلة ظهوراً ، ويضيف إلى شرف اختصاصهم بها شرفاً ، والى نوره نوراً » (١) .

كما دلت الآية – بوضوح – على أن الامام أمير المؤمنين هو نفس رسول الله ( ص ) ورسول الله أفضل من جميع خلق الله فعلي كذلك بمقتضى المساواة بينهما ، وقد أدلى بهذا الفخر الرازي في تفسيره الكبير قال : « كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي ، وكان معلم الاثنى عشرية وكان يزعم أن علياً أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد ( ص ) واستدل على ذلك بقوله تعالى : « وأنفسنا وأنفسكم » إذ ليس المراد بقوله : « وأنفسنا » نفس محمد ( ص ) ، لأن الانسان لا يدعو نفسه بل المراد غيرها ، وأجمعوا على أن ذلك الغير كان علي بن أبي طالب ، فدلت الآية على أن نفس علي هي نفس محمد ، ولا يمكن أن يكون المراد أن هذه النفس هي عين تلك ، فالمراد أن هذه النفس مثل تلك النفس ، وذلك يقتضي المساواة بينهما في جميع الوجوه ، تركنا العمل بهذا العموم في حق النبوة ، وفي حق الفضل بقيام الدلائل على أن محمداً ( ص ) كان نبياً ، وما كان علي كذلك ، ولانعقاد الاجماع على أن محمداً (ص ) كان أفضل من علي فبقي ما وراءه معمولاً به ، ثم الاجماع دل على أن محمداً ( ص ) كان أفضل من سائر الأنبياء ( ع ) فيلزم أن يكون علي أفضل من سائر الأنبياء ... »(٢)

---

(١) الكلمة الغراء ( ص١٨٤ ) .

(٢) تفسير الرازي ٢ / ٤٨٨ .

## آية الأبرار :

ومن آيات الله الباهرات التي أشادت بفضل العترة الطاهرة ، آيــة الأبرار ، قال تعالى : « إن الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا » (١) .

روى جمهور المفسرين والمحدثين أنها نزلت في أهل البيت ( ع ) (٢) وكان السبب في ذلك أن الحسن والحسين ( ع ) مرضا فعادهما جدهما الرسول صلى الله عليه وآله مع كوكبة من أصحابه ، وطلبوا من علي أن ينذر لله صوماً ان عافاهما مما ألم بهما من السقم فنذر أمير المؤمنين صوم ثلاثة أيام، وتابعته الصديقة عليها السلام وجاريتها فضة في ذلك ، ولما أبل الحسنان من المرض صاموا جميعاً ، ولم يكن عند الامام في ذلك الوقت شيء من الطعام ليجعله أفطاراً لهم فاستقرض سلام الله عليه ثلاثة أصواع من الشعير ، فعمدت الصديقة في اليوم الأول إلى صاع فطحنته وخبزتـــه فلما آن وقت الأفطار وإذا بمسكين يطرق الباب يستمنحهم شيئاً من الطعام فعمدوا جميعاً إلى هبة قوتهم إلى المسكين واستمروا في صيامهم لم يتناولوا سوى الماء .

وفي اليوم الثاني عمدت بضعة النبي ( ص ) إلى تهيأة الطعام الذي

---

(١) سورة هل أتى .

(٢) تفسير الفخر ٨ / ٣٩٢ ، أسباب النزول للواحدي ( ص١٣٣ ) النيسابوري في تفسير سورة هل أتى ، روح البيان ٦ / ٥٤٦ ، الدر المنثور ينابيع المودة ١ / ٩٣ ، الرياض النضرة ٢ / ٢٢٧ ، امتاع الأسماع للمقريزي ( ص٥٠٢ ) .

كان قوامه خبز الشعير ، ولما حان وقت الغروب واذا بيتيم قد أضناه الجوع وهو يطلب الاسعاف منهم فتبرعوا جميعاً بقوتهم ، ولم يتناولوا سوى الماء.

وفي اليوم الثالث قامت سيدة النساء فطحنت ما فضل من الطعام وخبزته فلما حان وقت الإفطار قدمت لهم الطعام ، وسرعان ما طرق الباب أسير قد ألم به الجوع فسحبوا أيديهم من الطعام ومنحوه له .

سبحانك اللهم أي مبرة أعظم من هذه المبرة ! ! ! أي إيثار أبلغ من هذا الإيثار ، إنه ايثار ما قصد به إلا وجه الله الكريم .

ووفد عليهم رسول الله ( ص ) في اليوم الرابع فرآهم ، ويا لهول ما رأى رأى أجساماً مرتعشة من الضعف ونفوساً قد ذابت من الجوع ، فتغير حاله وطفق يقول :

« واغوثاه أهل بيت محمد يموتون جياعاً ! ! ! » .

ولم ينه الرسول كلامه حتى هبط عليه أمين الوحي وهو يحمل المكافأة العظمى لأهل البيت والتقييم لإيثارهم الخالد . . إنها مكافأة لا توصف بكيف ولا تقدر بكم ، فهي مغفرة ورحمة ورضوان من الله ليس لها حد ، فقد «جزاهم بما صبروا جنة وحريرا . متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا . وانية عليهم ظلا لها وذللت قطوفها تذليلا . ويطاف عليهم بآنيه من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قوارير من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا » .

إنه عطاء سمح وجزيل فقد حباهم ربهم في الدار الآخرة من عظيم النعم والكرامات ، وأجزل لهم المزيد من مغفرته ورضوانه .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الآيات الكريمة التي نزلت في أهل البيت ( ع ) ومما لا شك فيه أن الامام الحسين ( ع ) من المعنيين

بتلك الآيات الكريمة النازلة من السماء ، وقد أبرزت مدى مقامه العظيم عند الله .

## في ظلال السُّنة :

في السنة النبوية كوكبة ضخمة من الأحاديث نطق بها الرسول العظيم صلى الله عليه وآله أبرزت معالم شخصية الامام الحسين ( ع ) وحددت أبعاد فضله على سائر المسلمين . . . وقد تضافرت النصوص بذلك ، وتواترت وهي على طوائف بعضها ورد في أهل البيت ( ع ) مما هو شامل للامام الحسين قطعاً ، وبعضها الآخر ورد فيه وفي أخيه الحسن ( ع ) ، وطائفة ثالثة وردت فيه خاصة ، وفيما يلي ذلك :

## الطائفة الأولى :

أما ما أثر عن النبي ( ص ) في فضل عترته ولزوم مودتهم فطائفة كبيرة من الأخبار وفيما يلي بعضها :

١ - روى أبو بكر قال رأيت رسول الله ( ص ) : خيم خيمة وهو متكىء على قوس عربية ، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين ( ع ) فقال : « معشر المسلمين أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة ، وحرب لمن حاربهم وولي لمن والاهم ، لا يحبهم إلا سعيد الجد ، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء الولادة » (١) .

٢ - روى زيد بن أرقم أن رسول الله ( ص ) قال لعلي وفاطمة

---

(١) الرياض النضرة ٢ / ٢٥٢ .

والحسن والحسين عليهم السلام : « أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم » (١).

٣ – روى أحمد بن حنبل بسنده أن النبي ( ص ) أخذ بيد الحسن والحسين وقال : « من أحبني وأحب هذين وأباهما ، وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة » (٢) .

٤ – روي جابر قال رسول الله ( ص ) : ذات يوم بعرفات ، وعلي تجاهه « ادنو مني يا علي خُلقت أنا وأنت مُن شجرة أنا أصلها وأنت فرعها ، والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة.. » (٣).

٥ – روى ابن عباس قال : قال رسول الله ( ص ) : « النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف ، فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس . . » (٤).

---

(١) صحيح الترمذي ٢ / ٣١٩ ، وروى ابن ماجة في سننه ١ / ٥٢ أنه (ص) قال : « أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم » ومثله رواه الحاكم في مستدركه ٣ / ١٤٩ ، وابن الأثير في أسد الغابة ٥ / ٥٢٣ ، ورواه أحمد في مسنده ٢ / ٤٤٢ بسنده عن أبي هريرة ، وكـذلك رواه الخطيب البغدادي في تاريخه ٧ / ٣٦ .

(٢) مسند أحمد ١ / ٧٧ ، صحيح الترمذي ٢ / ٣٠١ ، وجاء في تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٣٠ أن نصر بن علي حدث بهـذا الحديث فأمر المتوكل بضربه ألف سوط ، فكلمه فيه جعفر بن عبد الواحد ، وجعل يقول له : هذا من أهل السنة ، فلم يزل به حتى تركه .

(٣) مسند أحمد ١ / ٧٧ .

(٤) مستدرك الحاكم ٣ / ١٤٩ ، وفي كنز العمال ٦ / ١١٦ ، والصواعق المحرقة ( ص١١١ ) أنه ( ص ) قال : « النجوم أمان لأهل الأرض وأهل=

٦ ــ روى زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ( ص ) : « إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما . . » (١) .

إن حديث الثقلين من أروع الأحاديث النبوية وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً بين المسلمين ، وقد تكرر هذا الحديث من النبي ( ص ) في مواضع كثيرة نشير إلى بعضها :

أ ــ أعلن ( ص ) ذلك وهو في حجه يوم عرفة فقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : رأيت رسول الله في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول : « يا أيها الناس اني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي . . » (٢) .

ب ــ انه ( ص ) أدلى بذلك في يوم الغدير ، فقد روى زيد بن أرقم قال : نزل رسول الله ( ص ) ( الجحفة ) ثم أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إني لا أجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله ، وإني اوشك أن ادعى فاجيب ، فما أنتم قائلون ؟

قالوا : « نصحت » .

قال : « اليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق ، وأن النار حق ؟ » .

قالوا : « نشهد » .

---

= بيتي أمان لأمتي ، ورواه المناوي في فيض القدير ٦ / ٢٩٧ ، والهيثمي في مجمعه ٩ / ١٧٤ .

(١) صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٨ ، أسد الغابة ٢ / ١٢ .

(٢) كنز العمال ١ / ٤٨ ، صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٨ .

فرفع (ص) يده فوضعها على صدره، ثم قال: « وأنا أشهد معكم »

والتفت (ص) إليهم فقال:

« الا تسمعون ؟ ».

« نعم ».

« فاني فرط على الحوض، وأنتم واردون على الحوض، وان عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين ؟ ».

فناداه مناد وما الثقلان يا رسول الله ؟

قال (ص): « كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به والآخر عشيرتي » (١) وان اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم، ثم أخذ بيد علي (ع) فقال: من كنت أولى به من نفسه، فعلي وليـــه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » (٢).

ج – أعلن (ص) ذلك وهو على فراش الموت، فقد التفت (ص) إلى أصحابه فقال لهم:

« أيها الناس، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم إلا اني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل، وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها، فقال هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فاسألهما ما خلفت فيهما .. »(٣).

(١) في كنز العمال ١ / ٤٨ لفظ « عترتي ».

(٢) مجمع الهيثمي ٩ / ١٦٣.

(٣) الصواعق (ص٧٥).

ان حديث الثقلين من أوثق الأحاديث النبوية وأوفرها صحة ، وقد ذكر المناوي عن السمهودي أنه قال : وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة (١) ، وكلهم قد رووا هذا الحديث وقال ابن حجر : ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً (٢) .

ويدل هذا الحديث دلالة صريحة واضحة على حصر الإمامة في أهل البيت ( ع ) وعلى عصمتهم من الآثام والأهواء لأن النبي ( ص ) قرنهم بكتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن الطبيعي أن أي انحراف منهم عن الدين يعتبر افتراقاً عن الكتاب العزيز ، وقد صرح ( ص ) بعدم افتراقهما حتى يردا عليه الحوض فدلالته على العصمة ظاهرة جليه لا خفاء فيها ، كما أكد النبي ( ص ) في هذا الحديث على أمته أن لا تتقدم عليهم ، وأن تسلم إليهم قيادتها لئلا تهلك في مجال هذه الحياة والبحث عن معطيات هـذا الحديث الشريف يستدعي وضع كتاب خاص فيه ، وقد عرض جماعة من العلماء بصورة موضوعية وشاملة للبحث عنه (٣) .

٧ - روى أبو سعيد الخدري ، قال : سمعت النبي ( ص ) يقول : « إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له . . » (٤) .

---

(١) فيض القدير ٣ / ١٤ .

(٢) الصواعق ( ص ١٣٦ ) .

(٣) يراجع في ذلك المراجعات ( ص٤٩ - ٥٢ ) الأصول العامة للفقه المقارن ( ص ١٦٤ - ١٨٧ ) .

(٤) مجمع الزوائد ٩ / ١٦٨ ، ورواه الحاكم في مستدركه ٢ / ٤٣ =

وفي هذا الحديث دعوة خلاقة وملزمة الى التمسك بالعترة الطاهــرة فانه ضمان لنجاة الأمة وسلامتها ، كما ان في البعد عنها غواية وهلاكاً ، يقول الامام شرف الدين في بيان هذا الحديث :

« وأنت تعلم أن المراد من تشبيههم عليهم السلام بسفينة نوح أن من لجأ إليهم في الدين فأخذ فروعه وأصوله عن أئمتهم نجا من عذاب النار ومن تخلف عنهم كان كمن آوى « يوم الطوفان » الى جبل ليعصمه من أمر الله ، غير أن ذاك غرق في الماء ، وهذا في الحميم — والعياذ بالله — والوجه في تشبيههم ( ع ) بباب حطة هو ان الله تعالى جعل ذلك الباب مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمه ، وبهذا كان سبباً للمغفرة

هذا وجه الشبه ، وقد حاوله ابن حجر إذ قال : — بعد أن أورد هذه الأحاديث وغيرها من أمثالها — .

« ووجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة شرفهم وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم ، وهلك في مفاوز الطغيان إلى أن قال : « وباب حطة — يعني ووجه تشبيههم بباب حطة — ان الله جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة ، وجعل

---

= عن حنش عن أبي ذر ، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه ٢ / ١٩ بسنده عن أنس بن مالك ، ورواه أبو نعيم في الحلية ٤ / ٣٠٦ بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، ورواه المتقي في كنز العمال بسنده عن ابن الزبير وابن عباس ، ورواه المحب الطبري في ذخائر العقبى ( ص٢٠ ) بسنده عن علي ، ورواه الطبراني في كتابيــه الأصغر والأوسط عن أبي سعيد الخدري .

لهذه الأمة مودة أهل البيت سبباً لها . . » (١) .

واستدل المتكلمون من الشيعة بهذا الحديث على حصر الامامة في أهل البيت (ع) لأن النبي (ص) جعلهم كسفينة نوح تميزاً لهم عن غيرهم فالرجوع إليهم سبب للنجاة والتخلف عنهم سبب للضلالة والهلاك .

٨ ـ قال رسول الله (ص) : معرفة آل محمد براءة من النار ، وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب » (٢) .

٩ ـ قال صلى الله عليه وآله : « من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، إلا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، الا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، إلا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، إلا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، إلا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ، إلا ومن مات على حب آل محمد فتح في قبره بابان إلى الجنة ، إلا ومن مات على حب آل محمد جعل قبره مزار ملائكة الرحمة ، إلا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة الله . . » (٣) .

لقد دعا الرسول (ص) الى موالاة عترته ، وأن نكن لهم في اعماق

---

(١) المراجعات ( ص٥٤ ) .

(٢) المراجعات ( ص٥٤ ) .

(٣) المراجعات ( ص٥٩ ) نقله عن الثعلبي في تفسير آية المودة من تفسيره الكبير .

نفوسنا أصدق آيات الحب والولاء ، وأن يكون ذلك مستمراً حتى آخر لحظة من حياتنا .

١٠ ـ قال ( ص ) : « اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ، ومكان العينين من الرأس ، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين » (١)

١١ ـ قال (ص) : « لا تزول قدما عبد ـ يوم القيامة ـ حتى يسأل عن أربع عن عمره فيا أفناه ، وعن جسده فيا أبلاه ، وعن ماله فيا أنفقه ، ومن أين اكتسبه ، وعن محبتنا أهل البيت » (٢) .

١٢ ـ قال ( ص ) : « من سره أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي ، فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه ، وليعتد بأهل بيتي من بعدي فانهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي ، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي » (٣) .

١٣ ـ قال علي ( ع ) أخبرني رسول الله ( ص ) ، إن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين ، قلت يا رسول الله فمحبونا قال : من ورائكم (٤) .

١٤ ـ روى أبو سعيد الخدري أن النبي ( ص ) دخل على فاطمة عليها السلام ، فقال : إني وإياك وهذا النائم ـ يعني علياً ، وهما ـ يعني الحسن والحسين ـ لفي مكان واحد يوم القيامة (٥) .

---

(١) المراجعات ( ص٥٨ ) نقله عن الشرف المؤبد ( ص٥٨ ) .
(٢) المراجعات نقله عن السيوطي في احياء الميت والنبهاني في أربعينه
(٣) كنز العمال ٦ / ٢١٧ .
(٤) مستدرك الحاكم ٣ / ١٥١ .
(٥) مستدرك الحاكم ٣ / ١٣٧ .

هذه بعض الأحاديث التي أثرت عن النبي ( ص ) في فضل عترته والمتأمل فيها يطل على الغايـــة التي ينشدها ( ص ) وهي جعل القيادة الاسلامية بيد أئمة أهل البيت ( ع ) الذين آثروا طاعة الله على كل شيء حتى لا تزيغ الأمة في مسيرتها عن طريق الهدى والصلاح ، ولا تنحرف عن سلوكها عما أمر الله به وتشيع في أوساطها العدالة والحق ، وينسد الطريق أمام القوى الباغية من أن تنزو على منابر الحكم والخلافة الاسلامية .

## الطائفة الثانية :

وحفلت مصادر السيرة النبوية والأحاديث بحشد كبير من الأخبار التي أثرت عن النبي (ص ) في حق السبطين ( ع ) ومدى أهميتها ومقامهما الكريم عنده ونعرض فيما يلي لبعضها :

١ ــ روى أبو أيوب قال : دخلت على رسول الله ( ص ) والحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يديه ( أو في حجره ) فقلت : يارسول الله أتحبهما ؟ فقال : وكيف لا أحبهما ! ! وهما ريحانتاي من الدنيا أشمهما (١)

وقد أضفى الرسول (ص ) عليهما لقب الريحانتين في مواطن عديدة ونشير الى بعضها :

أ ــ روى سعيد بن راشد قال : جاء الحسن والحسين (ع ) يسعيان إلى رسول الله ( ص ) فأخذ أحدهما فضمه إلى إبطه ، ثم جاء الآخر فضمه

---

(١) مجمع الزوائد ٩ / ١٨١ ، ورواه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢ / ١٨٩ مع تغيير يسير ، مختصر صفة الصفوة ( ص ٦٢ ) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٣٩ .

إلى إبطه الأخرى وقال : هذان ريحانتاي من الدنيا من حبني فليحبهما (١) .

ب – قال سعد بن مالك : دخلت على النبي ( ص ) والحسن والحسين يلعبان على ظهره فقلت : يا رسول الله أتحبهما ؟ فقال : وما لي لا أحبهما وانهما ريحانتاي من الدنيا ؟ (٢) .

ج – روى أنس بن مالك قال : دخلت ( أو ربما دخلت ) على رسول الله ( ص ) والحسن والحسين يتقلبان على بطنه ، ويقول : ريحانتي من هذه الأمة (٣) .

د – روى أبو بكرة قال : كان الحسن والحسين عليهما السلام يثبان على ظهر رسول الله ( ص ) في الصلاة فيمسكهما بيده حتى يرفع صلبه ، ويقومان على الأرض ، فلما فرغ أجلسهما في حجره ثم قال : إن ابني هذين ريحانتاي من الدنيا (٤) .

هـ – روى جابر أن رسول الله ( ص ) قال لعلي بن أبي طالب (ع) : سلام عليك يا أبا الريحانتين ، أوصيك بريحانتي من الدنيا خيراً فعن قليل ينهد ركناك ، والله خليفتي عليك ، قال فلما قبض النبي ( ص ) قال علي عليه السلام : هذا أحد الركنين اللذين قال النبي ( ص ) ، فلما ماتت فاطمة ( ع ) ، قال علي : هذا الركن الآخر الذي قال النبي ( ص )(٥).

و – روى البخاري بسنده عن ابن أبي نعم قال : كنت شاهداً

---

(١) ذخائر العقبى ( ص١٢٤ ) .

(٢) كنز العمال ٧ / ١١٠ .

(٣) خصائص النسائي ( ص٣٧ ) وفي مسند الامام زيد ( ص٤٦٩ ) الولد ريحانة ، وريحانتي الحسن والحسين .

(٤) كنز العمال ٧ / ١٠٩ .

(٥) حلية الأولياء ٣ / ٢٠١ .

لابن عمرو وسأله رجل عن دم البعوض ، فقال : ممن أنت ؟ فقال : من أهل العراق ، قال : انظروا الى هذا يسألني عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن النبي ( ص ) وسمعت النبي ( ص ) يقول : همـــا ريحانتاي من الدنيا (١) .

٢ – روى انس بن مالك قال : سئل رسول الله ( ص ) أي أهل بيتك أحب إليك ؟ قال ( ص ) الحسن والحسين ، وكان يقول لفاطمة : ادعي ابني فيشمهما ويضمهما اليه (٢) .

٣ – روى ابن عباس قال : بينا نحن ذات يوم مع النبي ( ص ) إذ أقبلت فاطمة ( ع ) تبكي فقال لها رسول الله ( ص ) : فداك أبوك ، ما يبكيك ؟ قالت : إن الحسن والحسين خرجا ، ولا أدري أين باتا ، فقال لها رسول ( ص ) : لا تبكين فإن خالقهما ألطف بهما مني ومنك ، ثم رفع يديه ، فقال : اللهم احفظهما وسلمهما ، فهبط جبرئيل ، وقال : يا محمد لا تحزن فانهما في حظيرة بني النجار نائمان ، وقد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما ، فقام النبي ومعـــه أصحابه حتى أتى الحظيرة فاذا الحسن والحسين ( ع ) معتنقان نائمان ، واذا الملك الموكل بهما قـــد جعل أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما يظلهما ، فأكب النبي يقبلهما حتى انتبها من نومهما ، ثم جعل الحسن على عاتقه الأيمن ، والحسين على عاتقه الأيسر، فتلقاه أبو بكر ، وقال : يا رسول الله ناولني أحد الصبيين أحمله عنك ، فقال ( ص ) : نعم المطي مطيهما ونعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما حتى أتى المسجد فقام رسول الله ( ص ) على قدميه ، وهما على عاتقيه ، ثم قال :

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأدب ، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣ / ١٨٣ .

(٢) صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٦ ، فيض القدير ١ / ١٤٨ .

« معاشر المسلمين ، ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة ؟ » .

فقالوا : بلى يا رسول الله .

قال ( ص ) : الحسن والحسين جدهما رسول الله ( ص ) خاتم المرسلين ، وجدتهما خديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة .

ثم قال ( ص ) : ألا أدلكم على خير الناس عماً وعمة ؟ ! !

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال ( ص ) : الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب ، وعمتهما أم هانىء بنت أبي طالب .

ثم قال ( ص ) : أيها الناس ، ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال صلى الله عليه وآله : الحسن والحسين خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله .

ثم قال صلى الله عليه وآله : اللهم ، انك تعلم أن الحسن والحسين في الجنة ، وعمهما في الجنة ، وعمتهما في الجنة ، ومن أحبهما في الجنة ، ومن أبغضهما في النار (١) .

وهذا الحديث الشريف دل بوضوح على مدى حبه صلى الله عليه وآله لسبطيه ، وأنهما أحب أهل بيته اليه ، كما أنهما أفضل الناس نسباً وحسباً وأن من أحبهما ينزل معهم مقاماً كريماً في الفردوس .

٤ – روى عمر قال : رأيت الحسن والحسين (ع) على عاتقي النبي صلى الله عليه وآله : فقلت : نعم الفرس تحتكما ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : ونعم الفارسان هما (٢) وبهذا المضمون روى جابر

---

(١) ذخائر العقبى ( ص١٣٠ ) .

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٨٢ ، كنز العمال ٧ / ١٠٨ .

قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وآله : والحسن والحسين على ظهره وهو يقول : « نعم الجمل جملكما ، ونعم العدلان انتما » (١) وقد نظم ذلك السيد الحميري بقوله :

أتى حسناً والحسين الرسول     وقد برزا ضحوة يلعبان
فضمهما وتفداهما     وكانا لديه بذاك المكان
ومرا وتحتهما عاتقاه     فنعم المطية والراكبان

٥ ــ روى أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . . » (٢) .

٦ ــ روى سلمان الفارسي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « الحسن والحسين ابناي من أحبهما أحبني ، ومن أحبني

---

(١) كنز العمال ٧ / ١٠٨ ، مجمع الزوائد ٩ / ١٨٢ .

(٢) صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٦ ، مختصر صفة الصفوة ( ص٦٢ ) مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٦٢ ، حلية الأولياء ٥ / ٧١ ، تاريخ بغداد ٩ / ٢٣١ ، ورواه الحاكم في المستدرك ٣ / ١٦٧ بسنده عن ابن عمر قال صلى الله عليه وآله : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما » وبهذا النص ورد في مسند الامام زيد : وفي الاصابة ١ / ٢٦٦ روى جهم قال : سمعت رسول الله ( ص ) يقول : « إن حسناً وحسيناً سيدا شباب أهل الجنة » وفي كنز العمال ٦ / ٢٢١ « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني وفي الجامع الكبير للسيوطي عن ابن عساكر بسنده عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أتاني ملك فسلم علي نزل من السماء لم ينزل قبلها فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة . . » .

أحبه الله ، ومن أحبه الله أدخله الجنة ، ومن أبغضهما أبغضني ، ومن أبغضني أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله النار . . » (١) .

٧ ــ كان النبي صلى الله عليه وآله : يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران وهما يمشيان ، ويعثران فنزل (ص) عن المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ، وقال : صدق الله إذ يقول : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » لقد نظرت إلى هذين الصبيين وهما يمشيان ، ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ، ورفعتهما . . » (٢) .

٨ ــ روى يعلي بن مرة قال : جــاء الحسن والحسين يستبقان إلى

---

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ١٦٦ ، وبتغيير يسير رواه الهيثمي في مجمعه ٩ / ١١١ ، وكذلك رواه المتقي في كــنز العمال ٦ / ٢٢١ ، وفي سنن ابن ماجــة عن ابي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : « من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقــد أبغضني » وفي تهذيب التهذيب في ترجمة نصر بن علي الأزدي روى علي بن الصواف عن عبد الله بن أحمد أن نصراً حدث أن رسول الله (ص) أخذ بيد حسن وحسين فقال : « من أحبني وأحب هذين وأباهما كان معي في درجتي يوم القيامة » فلما سمع ذلك المتوكل أمر بضربه ألف سوط ، فكلمه فيه جعفر ابن عبد الواحد ، وجعل يقول له : هذا من أهل السنة ، فــلم يزل به حتى تركه .

(٢) صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٦ ، صحيح النسائي ١ / ٢٠١ ، مستدرك الحاكم ١ / ٢٨٧ ، صحيح أبي داود ٦ / ١١٠ ، مسند أحمد بن حنبل ٥ / ٣٥٤ ، سنن البيهقي ٣ / ٢١٨ ، أسد الغابة ٢ / ١٢ ، كنز العمال ٧ / ١٦٨ ، سنن النسائي ٣ / ١٠٨ .

رسول الله فضمها وقال : « ان الولد مبخلة مجبنة . . » (١) .

٩ ــ قال صلى الله عليه وآله : « الحسن والحسين سبطان (٢) من الاسباط . . » (٣) .

١٠ ــ روى أنس أن النبي ( ص ) قال : « أحب أهل بيتي إلي الحسن والحسين . . » (٤) .

١١ ــ روى أنس قال سئل النبي ( ص ) أي أهل بيتك أحب اليك ؟ قال : « الحسن والحسين » وكان يقول لفاطمة : ادعي لي ابنيَّ فيشمها ويضمها اليه . . » (٥) .

١٢ ــ قال صلى الله عليه وآله : « الحسن والحسين امامان إن قاما وإن قعدا . . » (٦) .

---

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ١٦٨ ، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ١٧٢ ، ومعنى الحديث أن الولد يحمل أباه على البخل والجبن .

(٢) السبطان : تثنية سبط ، وفي لسان العرب ٩ / ١٨١ أن السبط أمة من الأمم في الخير .

(٣) كنز العمال ٦ / ٢٢١ ، الصواعق المحرقة ( ص١١٤ ) ، الأدب المفرد ، وفي صبح الأعشى ١ / ٤٣٠ ان الحسن والحسين ( ع ) أول من سميا بالسبطين في الاسلام .

(٤) صحيح الترمذي .

(٥) تيسير الوصول لابن الديبع ٣ / ٢٧٦ .

(٦) بحار الأنوار ١٠ / ٧٨ ، وفي نزهـــة المجالس ٢ / ١٨٤ ان رسول الله ( ص ) قال للحسن والحسين : « أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة » وورد هذا الحديث في الاتحاف بحب الأشراف ( ص١٢٩ ) .

لقد أضفى النبي (ص) على ريحانتيه حلــة الامامة ، وجعلها من ذاتياتها سواء أقاما بالأمر ، وتقلدا شؤون الخلافة أم لا .

## الولاء العميق :

وذكر الرواة بوادر كثيرة تدل على مدى تعلق النبي (ص) بسبطيه وشدة حبه لها ، وفيما يلي بعضها :

١ — إنه كان إذا غاب عنه الحسن والحسين اشتد شوقه إليهما ، وأمر بمن يدعوهما اليه فيأخذهما ، ويشمهما ، ويضمهما الى صدره (١) .

٢ — قال عبد الله بن جعفر : كان رسول الله (ص) اذا قفل من سفر تلقى بي أو بالحسن أو بالحسين (٢) .

٣ — وبلغ من حبه (ص) لسبطيه أنه قبل بيعتهما له ضمن الثلاثة الصغار الذين بايعوه من أهل البيت ، هما مع ابن عمهما عبد الله بن جعفر ولم يبايع صغيراً قط إلا هم (٣) .

٤ — وكان (ص) يحملهما على دابته فيجعل أحدهما قدامه والآخر خلفه . . (٤) .

٥ — وبلغ من حنانه (ص) وعطفه على سبطيه أنه كان يصلي العشاء فاذا سجد، وثبا على ظهره ، فاذا رفع رأسه أخذهما أخذاً رقيقاً فيضعهما

---

(١) صحيح الترمذي .
(٢) سنن الدارمي ٢ / ٢٨٥ .
(٣) العقد الفريد ٢ / ٢٤٣ .
(٤) صحيح مسلم ٥ / ١٩١ .

على الأرض فاذا عاد، عادا، حتى اذا قضى صلاته أقعدهما على فخذيه ..(١)

لقد أولى النبي (ص) سبطيه رعايته ومحبته لُيري المسلمين مـدى مكانتهما عنده حتى تخفض لهما جناح المودة، وتقلدهما قيادتها الروحية والزمنية ليسيرا بها إلى مدارج الحياة الكريمة التي يجد فيها الانسان جميع ما يصبوا اليه.

## الطائفة الثالثة :

وتواترت الأخبار التي أثرت عن النبي صلى الله عليه وآله : في فضل ريحانته الامام الحسين (ع) وهي تحدد معالم شخصيته، كما تحمل جانبـاً كبيراً من اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله به، وفيما يلي بعضها :

١ — روى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أراد أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين ابن علي . . » (٢) .

٢ — روى أبو هريرة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حامل الحسين بن علي، وهو يقول : « اللهم اني أحبه فاحبه » (٣)

٣ — روى يعلى بن مرة قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله الى طعام دعونا له، فاذا حسين يلعب بالسكة فتقدم النبي صلى الله عليه وآله وبسط يديه فجعل الغلام يفر ها هنا، وها هنا ويضاحكه النبي (ص)

(١) مسند الامام أحمد .

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٥٠، من مخطوطات مكتبـة الامام أمير المؤمنين، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٩٠ .

(٣) مستدرك الحاكم ٣ / ١٧٧، وفي نور الأبصار (ص١٢٩) لفظ الحديث « اللهم إني أحبه وأحب كل من يحبه » .

حتى أخذه فجعل احدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه (١) فقبله وقال : « حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط . . » (٢) .

ودلل النبي صلى الله عليه وآله بهذا الحديث الشريف على مدى الصلة العميقة التي بينه وبين وليده ، وأكبر الظن أنه صلى الله عليه وآله لم يعن بقوله : « حسين مني » الرابطة النسبية التي بينه وبينه ، وإنما عنى أمراً آخر هو أدق وأعمق فالحسين منه لأنه يحمل روحه وهديه ، ويحمل اتجاهاته العظيمة الهادفة الى اصلاح الانسان ورفع مستواه ، وتطوير وسائل حياته على أساس الإيمان بالله الذي يحمل جميع مفاهيم الخير والسلام في الأرض ، كما عنى صلى الله عليه وآله بقوله : « وأنا من حسين » أن ما يبذله السبط العظيم من التضحية والفداء في سبيل الدين ، وما تؤديه تضحيته من الفعاليات الهائلة في تجديد رسالة الاسلام ، وجعلها نابضة بالحياة على ممر الأجيال الصاعدة فكان النبي صلى الله عليه وآله بذلك حقاً من الامام الحسين فهو المجدد لدينه ، والمنقذ له من شر تلك الطغمة الحاكمة التي جهدت على محو الاسلام من خريطة هذا الكون ، واعادة مفاهيم الجاهلية وخرافاتها على مسرح الحياة ، وقد نسف الامام بنهضته أحلام الأمويين ، وأعاد للإسلام نضارته وحياته ، ورفع رايته عالية خفاقة في جميع الأجيال .

---

(١) وفي رواية « فوضع احدى يديه تحت قفاه ، والأخرى تحت ذقنه فوضع فاه على فيه وهو يقول حسين مني .. الخ .

(٢) سنن ابن ماجة ١ / ٥١ ، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ١٧٢ ، أسد الغابة ٢ / ١٩ ، تهذيب الكمال ( ص٧١ ) ، تيسير الوصول ٣ / ٢٧٦ مستدرك الحاكم ٣ / ١٧٧ ، أنساب الأشراف ج١ ق١ .

كما دلل صلى الله عليه وآله على عظمة حفيده بأن أضفى عليه كلمة السبط ، وأراد بها أنه أمة من الأمم قائم بذاته ، ومستقل بنفسه ، فهو أمة من الأمم في الخير وأمة من الشرف في جميع الأجيال والآباد .

٥ ـ روى الصحابي العظيم سلمان الفارسي قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وآله فاذا الحسين بن علي على فخذه ، وهو يلثم فاه ، ويقول : « أنت سيد ابن سيد ، أنت إمام ابن إمام أخو إمام ، وأبو الأئمة وأنت حجة الله ، وابن حجته ، وأبو حجج تسعة من صلبك ، تاسعهم قائمهم »(١).

٦ ـ قال النبي (ص) : « هذا ـ يعني الحسين ـ إمام ابن إمام أخو إمام ، أبو أئمة تسعة . . (٢) .

٧ ـ روى أبو العباس قال : كنت عند النبي ( ص ) وعلى فخذه الأيسر ابنه ابراهيم ، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي ، والنبي تارة يقبل هذا وأخرى يقبل هذا ، إذ هبط عليه جبرئيل بوحي من رب العالمين ، فلما سرى عنه قال : أتاني جبرئيل من ربي. فقال لي : يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ، ويقول لك : لست أجمعهما لك ، فافد أحدهما بصاحبه ، فنظر النبي الى ابراهيم فبكى ، ثم قال : إن ابراهيم متى مات لم يحزن عليه غيري ، وأم الحسين فاطمة وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي ، ومتى مات حزنت ابنتي ، وحزن ابن عمي ، وحزنت أنا عليه ، وأنا أوثر حزني على حزنهما ، يا جبرئيل يقبض ابراهيم ، فديت الحسين بابراهيم ، وقبض ابراهيم بعد ثلاث ، فكان النبي ( ص ) اذا رأى الحسين مقبلا قبلـه ، وضمه الى صدره ، ورشف ثناياه ، وقال : فديت من فديته بابني ابراهيم » (٣)

---

(١) المراجعات (ص٢٢٨ ) .

(٢) منهاج السنة ٤ / ٢١٠ .

(٣) تاريخ بغداد ٢ / ٢٠٤ .

٨ — روى ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وآله حامل الحسين على عاتقه ، فقال له رجل :

« نعم المركب ركبت يا غلام ! ! » .

فأجابه الرسول صلى الله عليه وآله :

« ونعم الراكب هو . . » (١) .

٩ — روى يزيد بن أبي زياد قال : خرج النبي صلى الله عليه وآله من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي ، فالتاع ( ص ) من ذلك فقال لفاطمة :

« الم تعلمي أن بكاءه يؤذيني . . » (٢) .

١٠ — روى عبد الله بن شداد عن أبيـــه قال : سجد رسول الله صلى الله عليه وآله سجدة أطالها ، حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، أو أنه يوحى اليه ، فسألناه عن ذلك ، فقال :

« كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن اعجله حتى يقضي حاجته ... » (٣) .

هذه بعض الأخبار التي أثرت عن النبي صلى الله عليه وآله في ريحانته وهي أوسمة شرف ومجد قلده بها ، اشعاراً منه بأن ظله ، وحقيقته ستمثل في هذا الطفل ، وسيكون صورة فذة لانسانيته العليا ، وأسراره العظمى .

---

(١) التاج الجامع للاصول ٣ / ٢١٨ .

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ٢٠١ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٩١ ، المعجم الكبير للطبراني ، ذخائر العقل ( ص١٤٣ ) .

(٣) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٤٦ ، تيسير الوصول الى جامع الأصول ٣ / ٢٨٥ ، سنن النسائي .

## إخبار النبي بمقتله :

وأحاط النبي صلى الله عليه وآله أصحابه علماً بمقتل ريحانته وسبطه ، وأذاع ذلك بين المسلمين ، حتى بات عندهم من الأمور المتيقنة التي لم يخالجهم فيها أدنى شك ، يقول ابن عباس : « ما كنا نشك ، وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يقتل بالطف » (١) .

وقد بكى النبي (ص) أمر البكاء وأفجعه — في غير موطن — على ما سيحل بريحانته من الخطوب والكوارث التي تذوب منها القلوب ، وفيما يلي عرضاً لتلك الأخبار .

١ — روت أم الفضل بنت الحارث قالت : كان الحسين في حجري فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وقــد حملت معي الحسين ، فوضعته في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم حانت مني التفاتة فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهريقان من الدموع فقلت له :

— يا نبي الله — بأبي أنت وأمي — ما لك ؟ ! !

— أتاني جبرائيل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا :

وذعرت أم الفضل ، فانبرت تقول :

— يقتل هذا — وأشارت الى الحسين — ؟

— نعم ، وأتاني جبرئيل بتربة من تربته حمراء (٢) .

---

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ١٧٩ .

(٢) مستدرك الحاكم ٣ / ١٧٦ ، وفي رواية ابن عساكر ١٣ / ٦٢ عن ام الفضل قالت : إن النبي (ص) دخل عليّ يوماً وحسين معي فأخذه وجعل يلاعبه ساعة ثم ذرفت عيناه ، فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال : هذا جبرئيل يخبرني ان امتي تقتل ابني هذا .

وغرقت ام الفضل بالبكاء وهامت في تيارات مذهلة من الأسى والحزن

٢ ـ روت السيدة أم سلمة قالت : إن رسول الله ( ص ) اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو خاثر (١) ، ثم اضطجع فاستيقظ وهو خاثر دون ما رأيت به المرة الأولى ، ثم اضطجع فاستيقظ ، وفي يده تربة حمراء وهو يقبلها فقلت له :

ـ ما هذه التربة يا رسول الله ؟

ـ أخبرني جبرئيل إن هذا ـ يعني الحسين ـ يقتل بأرض العراق فقلت لجبرئيل : أرني تربة الأرض التي يقتل بها ، فهذه تربته (٢) .

٣ ـ وروت أم سلمة قالت : كان النبي ( ص ) جالساً ذات يوم في بيتي ، فقال : لا يدخلن علي أحد ، فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج النبي ، فاذا الحسين في حجره « أو الى جنبه » يمسح رأسه وهو يبكي فقلت له :

« والله ما علمت حتى دخل » .

فقال لي : إن جبرئيل كان معنا في البيت ، فقال : أتحبه ؟ فقلت: نعم ، فقال : إن امتك ستقتله بأرض يقال لها كربلا ، فتناول جبرئيل من ترابها ، فأراه النبي (٣) .

٤ ـ روت عائشة قالت : دخل الحسين بن علي على رسول الله (ص) وهو يوحى اليه ، فنزا على رسول الله ، وهو منكب ، فقال جبرئيل : أتحبه يا محمد ؟ قال : وما لي لا أحب ابني ؟ قال : فان امتك ستقتله

---

(١) الخاثر : المضطرب .

(٢) مستدرك الحاكم ٤ / ٣٩٨ ، كنز العمال ٧ / ١٠٦ ، سير اعلام النبلاء ٣ / ١٥ ، ذخائر العقبى ( ص١٤٨ ) .

(٣) كنز العمال ٧ / ١٠٦ ، المعجم الكبير للطبراني .

من بعدك ، فمدّ جبرئيل فأتاه بتربة بيضاء فقال : في هذه الأرض يقتل ابنك هذا ، واسمها الطف ، فلما ذهب جبرئيل من عند رسول الله (ص) والتربة في يده وهو يبكي فقال :

« يا عائشة إن جبرئيل أخبرني أن ابني حسيناً مقتول في أرض الطف وان امتي ستفتن بعدي » .

ثم خرج الى أصحابه وفيهم علي وأبو بكر ، وعمر ، وحذيفة ، وعمار وأبو ذر ، وهو يبكي فبادروا اليه قائلين :

« ما يبكيك يا رسول الله ؟ ! ! » .

« أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين يُقتل بعدي بأرض الطف ، وجاءني بهذه التربة ، وأخبرني ان فيها مضجعه » (١) .

٥ ـ روت زينب بنت جحش زوج النبي (ص) قالت : كان النبي نائماً عندي ، وحسين يحبو في البيت ، فغفلت عنه حتى أتى النبي فصعد على بطنه ، ثم قام النبي يصلي ، واحتضنه فكان اذا ركع وسجد وضعه واذا قام حمله ، فلما جلس جعل يدعو ، ويرفع يديه ويقول ... فلما قضى الصلاة قلت له :

« يا رسول الله لقد رأيتك تصنع اليوم شيئاً ما رأيتك تصنعه ؟ » فقال : « إن جبرئيل أتاني فأخبرني أن ابني يقتل ، قلت : فارني إذاً فأتاني بتربة حمراء » (٢) .

٦ ـ روى ابن عباس قال : كان الحسين في حجر النبي (ص)

---

(١) مجمع الزوائد ٩ / ١٨٧ ، وفي تهذيب الكمال ( ص٧١ ) ان النبي (ص) أخذ التربة التي جاء بها جبرئيل فجعل يشمها ويقول : « ويح كرب وبلاء » .

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٨٩ .

فقال جبرئيل : أتحبه ؟ فقال : كيف لا أحبه وهو ثمرة فؤادي ؟!! فقال: إن امتك ستقتله ، ألا اريك من موضع قبره ؟ فقبض قبضة فاذا تربة حمراء (١) :

٧ — روى ابو امامة قال : قال رسول الله ( ص ) لنسائه : لاتبكوا هذا الصبي — يعني حسيناً — قال وكان يوم ام سلمة فنزل جبرئيل فدخل رسول الله ( ص ) الداخل ، وقال لأم سلمة لا تدعي احداً يدخل علي فجاء الحسين فلما نظر الى النبي في البيت اراد ان يدخل فأخذته ام سلمة فاحتضنته وجعلت تناغيه ، وتسكنه ، فلما اشتد في البكاء خلت عنه ، فدخل حتى جلس في حجر النبي ( ص ) ، فقال جبرئيل للنبي :

— إن امتك ستقتل ابنك هذا .

— يقتلونه وهم مؤمنون بي ؟ !!

— نعم يقتلونه .

وتناول جبرئيل تربة ، فقال له : بمكان كذا وكذا يقتل ، فخرج رسول الله ( ص ) قد احتضن حسيناً وهو كاسف البال مغموم فظنت أم سلمة أنه غضب من دخول الصبي عليه ، فقالت :

« يا نبي الله جعلت لك الفداء أنك قد قلت لا تبكوا هذا الصبي ، وأمرتني أن لا أدع أحداً يدخل عليك فجاء فخليت عنه فلم يجبها النبي بشيء ، وخرج الى أصحابه ، وهو غارق في الهم والأسى فقال لهم :

« إن أمتي يقتلون هذا — وأشار الى الحسين — » .

فانبرى اليه أبو بكر وعمر فقالا له :

« يا نبي الله وهم مؤمنون ؟ !! » (٢) .

---

(١) مجمع الزوائد ٩ / ١٩١ .

(٢) مؤمنون : أي مسلمين .

« نعم وهذه تربته . . » (١) .

٨ – روى أنس بن الحارث عن النبي (ص) أنه قال : « إن ابني هذا – وأشار الى الحسين – يقتل بأرض يُقال لها كربلا ، فمن شهد ذلك منكم فلينصره . ولما خرج الحسين الى كربلا خرج معه أنس ، وأستشهد بين يديه (٢) .

٩ – روت أم سلمة قالت : كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبي في بيتي فنزل جبرئيل فقال يا محمد : إن امتك تقتل ابنك هذا من بعدك – وأشار الى الحسين – فبكى رسول الله (ص) وضمه الى صدره وكان بيده تربة فجعل يشمها وهو يقول : « وبح كرب وبلا » وناولها أم سلمة فقال لها :

« إذا تحولت هذه التربة دماً ، فاعلمي ان ابني قد قتل » .

فجعلتها أم سلمة في قارورة ، وجعلت تتعاهدها كل يوم وهي تقول :

« إن يوماً تتحولين دماً ليوم عظيم . . » (٣) .

١٠ – رأى النبي (ص) في منامه كأن كلباً أبقع يلغ في دمه ، فأوله بان رجلاً يقتل ولده الحسين ، فكان شمر بن ذي الجوشن الأبرص هو الذي قتل الامام (٤) .

١١ – روت أم سلمة قالت : قال رسول الله (ص) : « يقتل الحسين بن علي على رأس ستين من مهاجرتي » (٥) .

---

(١) مجمع الزوائد ٩ / ١٨٩ .

(٢) تاريخ ابن الوردي ١ / ١٧٣ – ١٧٤ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني في ترجمة الامام الحسين .

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ٣٣٤ .

(٥) المعجم الكبير للطبراني .

١٢ – روى معاذ بن جبل قال : خرج علينا رسول الله ( ص ) فقال : « أنا محمد أوتيت فواتح الكلام وخواتمه ، فاطيعوني ما دمت بين أظهركم فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله عز وجل أحلوا حلاله ، وحرموا حرامه أتتكم الموتة . . . أتتكم فتن كقطع الليل المظلم ، كلما ذهب رسل جاءت رسل ، تناسخت النبوة ، فصارت ملكا ، رحم الله من أخذها بحقها وخرج منها كما دخلها ، امسك يا معاذ ، واحص ، قال معاذ : فأحصيت خمسة – يعني من الخلفاء – فقال النبي ( ص ) :

« يزيد ، لا بارك الله في يزيد . . » .

ثم ذرفت عيناه بالدموع ، فقال ( ص ) :

« نُعي إلي الحسين ، وأتيت بتربته ، وأخبرت بقاتله ، لا يُقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم ، وسلط عليهم أشرارهم ، وألبسهم شيعاً . . » .

ثم قال ( ص ) : « وآهاً لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف .

امسك يا معاذ ، فلما بلغت عشرة – أي عشرة اشخاص من الذين يتولون الحكم من بعده – قال : الوليد (١) اسم فرعون هادم شرايع الاسلام يبوء بدمه رجل من أهل بيته يسل الله سيفه فلا غماد له ، واختلف الناس

(١) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الملك الفاسق الذي انتهك جميع حرمات الله ، أراد الحج لشرب الخمر فوق ظهر الكعبة ، وهو أشد على هذه الأمة من فرعون على قومه ، كما في الحديث ، وهو الذي رشق المصحف بالسهام ، وقد نقم عليه المسلمون لما اظهره من الالحاد والبدع والاستهتار بالفسق ، وقد ثاروا عليه وقتلوه ، جاء ذلك في تاريخ الخلفاء ( ص ٢٥٠ – ٢٥٢ ) .

وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه ، ثم قال : بعـــد العشرين ومائة موت سريع ، وقتل ذريع ، ففيه هلاكهم ، ويلي عليهم رجل من ولد العباس (١)
لقد استشف النبي ( ص ) من وراء الغيب ما تمنى به امته من بعده من الكوارث والفتن من جراء ما يحدث فيما بينها من الصراع الرهيب على الحكم ، حتى يؤل أمر المسلمين الى فراعنة الشر ، وجبابرة الكفر من بني أمية فيمعنون في قتل المسلمين ، واذلالهم ، كما أخبر بما سيجرى على سبطه من القتل والتنكيل من يزيد بن معاوية ، وأخبر (ص) عن زوال الحكم الأموي ، وانتقالــه الى بني العباس ، وعما تعانيه الأمة في تلك الفترات العصيبة من القتل والجور والظلم ، وقد تحقق جميع ذلك على مسرح الحياة كما أخبر الصادق الأمين .

١٣ – روى ابن عباس قال : لما أتت على الحسين سنتان من مولده خرج النبي ( ص ) في سفر له ، فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ، ودمعت عيناه ، فسئل عن ذلك ؟ فقال : هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشاطيء الفرات يقال لها كربلا ، يقتل بها ولدي الحسين بن فاطمة ، فانبرى اليه نفر من أصحابه فقالوا له :

« من يقتله يا رسول الله ؟ ! » .

فاندفع يجيبهم بنبرات متقطعة حزينة قائلاً :

« رجل يقال له يزيد لا بارك الله في نفسه ، وكأني أنظر الى مصرعه ومدفنه بها ، وقد أهدى برأسه ، والله ما ينظر أحد الى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه . . . » .

ولما قفل النبي من سفره كان مغموماً ، فصعد المنبر ووعظ المسلمين وقد حمل معه حفيديه وريحانتيه ، فرفع رأسه صوب السماء وقال :

(١) المعجم الكبير للطبراني في ترجمة الامام الحسين ، مجمع الزوائد ٩ / ١٩٠ .

« اللهم إني محمد عبدك ونبيك ، وهذان أطايب عترتي ، وخيار ذريتي ، وأرومتي ، ومن أخلفهم في أمتي . . اللهم وقد أخبرني جبريل بأن ولدي هذا – وأشار الى الحسين – مقتول مخذول ، اللهم فبارك له في قتله ، واجعله من سادات الشهداء ، انك على كل شيء قدير ، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله . . . » .

وانقلبت ساحة الجامع الى صرخة مدوية من البكاء والعويل ، فقال لهم النبي :

« أتبكون ، ولا تنصرونه ؟ اللهم فكن أنت ولياً وناصراً ! ! » .

قال ابن عباس : وبقي النبي متغير اللون محمر الوجه ، فصعد المنبر مرة أخرى وخطب الناس خطبة بليغة موجزة ، وعيناه تهملان دموعاً ، ثم قال :

« أيها الناس : إني قد خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وأرومتي ومراح مماتي (١) وثمرتي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، ألا وأني لا أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم المودة في القربى ، فانظروا أن لا تلقوني غداً على الحوض ، وقد ابغضتم عترتي .

ألا وأنه سيرد علي في القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة راية سوداء مظلمة قد فزعت لها الملائكة فتقف علي ، فأقول : من انـتم ؟ فينسون ذكري ، ويقولون : نحن من أهل التوحيد من العرب ، فأقول : أنا أحمد نبي العرب والعجم ، فيقولون نحن من أمتك يا أحمد : فأقول لهم كيف خلفتموني من بعدي في أهلي وعترتي وكتاب ربي ؟ فيقولون : أما الكتاب فضيعنا ومزقنا ، وأما عترتك فحرصنا على أن يندهم (٢) من جديد الأرض

---

(١) هكذا في الأصل والصحيح ( ومزاج مائي ) .

(٢) هكذا في الأصل والصحيح على أن نبيدهم .

فاولي عنهم وجهي فيصدرون ظماء عطاشا مسودة وجوههم ثم ترد علي راية أخرى أشد سواداً من الأولى ، فأقول لهم : من أنتم ؟ فيقولون كما تقول الأولى : إنهم من أهل التوحيد نحن من امتك ، فأقول لهم : كيف خالفتموني في الثقلين الأصغر والأكبر في كتاب الله وفي عترتي ؟ فيقولون : أما الأكبر فخالفنا ، وأما الأصغر فخذلنا ، ومزقناهم كل ممزق فأقول اليكم عني : فيصدرون ظماء عطاشا مسودة وجوههم ، ثم ترد علي راية أخرى تلمع نوراً فأقول لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن كلمة التوحيد ، نحن أمة محمد ، ونحن بقية أهل الحق الذي حملنا كتاب ربنا فأحللنا حلاله ، وحرمنا حرامه ، وأحببنا ذرية نبينا محمد ( ص ) فنصرناهم بما نصرنا أنفسنا ، وقاتلنا معهم ، وقاتلنا من ناواهم فأقول لهم : ابشروا فأنا نبيكم محمد ، ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم ، ثم أسقيهم من حوضي فيصدرون مرويين ، إلا وان جبرئيل قد اخبرني بان امتي تقتل ولدي الحسين بأرض كرب وبلاء الا فلعنة الله على قاتله وخاذله الى آخر الدهر .. ».

ثم نزل عن المنبر ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار الا واستيقن ان الحسين مقتول (١) .

هذه بعض الأخبار التي أعلن بها النبي ( ص ) عن مقتل سبطه وريحانته ويلمس فيها ذوب روحه أسى وحزناً عليه ، وقد تأكد المسلمون من هذه الأخبار . قتل الامام ولم يخالجهم فيه أدنى شك ، كما آمن بها الحسين ( ع ) وأعلن ذلك في كثير من المواقف التي سنعرض لها في غضون هذا الكتاب.

---

(١) الفتوح ٤ / ٢١٦ - ٢١٩ .

## احتفاء الصحابة بالحسين :

واحتفت الصحابة بالامام الحسين احتفاء بالغاً ، وقابلوه بمزيد من التكريم والتعظيم ، وأحلوه محل جده العظيم (ص) وقد وجدوا فيه ما يرومونه من العلم والتقوى والحريجة في الدين ، ويقول المؤرخون : إنه كان يحنو عليهم ويحدب على ضعفائهم ، ويشاركهم في البأساء والضراء ، ويصفح عن مسيئهم ويتعهد جميع شؤونهم كما كان يصنع معهم جده الأعظم صلى الله عليه وآله .

وتسابق أعلام الصحابة ووجوههم للقيام بخدمته وخدمة أخيه الزكي الامام أبي محمد الحسن (ع) وكانوا يرون أن أية خدمة تسدى لهما فإنما هي شرف ومجد لمن يقوم بها ، فهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة على جلالة قدره وعظيم مكانته بين المسلمين كان اذا أراد الحسن والحسين أن يركبا بادر فامسك لهما الركاب ، وسوى عليهما الثياب معتزاً بذلك ، وقد لامه على ذلك مدرك بن زياد أو ابن عمارة ، فزجره ابن عباس وقال له:

« يا لكع أو تدري من هذان ؟ هذان ابنا رسول الله (ص) أو ليس مما أنعم الله به علي أن أمسك لهما الركاب ، وأسوي عليهما الثياب ؟ » (١) .

وبلغ من تعظيم المسلمين ، وتكريمهم لهما أنهما لما كانا يفدان الى بيت الله الحرام ماشيين يترجل الركب الذي يجتازان عليه تعظيماً لهما ، حتى شق المشي على كثير من الحجاج فكلموا أحد أعلام الصحابة ، وطلبوا منه أن يعرض عليهما الركوب أو التنكب عن الطريق ، فعرض عليهما ذلك

---

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٢١٢ ، مناقب ابن شهراشوب ١٤٣/٢.

فقالا لا نركب ولكن نتنكب عن الطريق ، وسلكا طريقاً آخر .

وكانا اذا طافا بالبيت الحرام يكاد الناس أن يحطموهما من كثرة السلام عليهما ، والتبرك بزيارتها (١) .

ومن الوان ذلك التقدير ان الامام الحسين (ع) اجتاز في مسجد جده على جماعة فيهم عبد الله بن عمرو بن العاص فسلم عليهم فردوا عليه السلام فانبرى إليه عبد الله فرد عليه السلام بصوت عال ، وأقبل على القوم فقال لهم :

« ألا أخبركم بأحب أهل الأرض الى أهل السماء ؟ » .

« بلى » .

« هذا الماشي – وأشار الى الحسين – ما كلمني كلمة منذ ليالي صفين ولئن يرضى عني أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم . . » .

وانبرى اليه أبو سعيد الخدري ، فقال : ألا تعتذر اليه ؟ فاجابه الى ذلك :

وخفّا إلى بيت الامام ، فاستأذنا منه فأذن لها ، ولما استقر بهما المجلس أقبل الامام على عبد الله فقال له :

« أعلمت يا عبد الله أني أحب أهل الأرض الى أهل السماء ؟ » .

فأسرع عبد الله مجيباً :

« أي ورب الكعبة . . . » .

« ما حملك على أن قاتلتني وأبي يوم صفين ، فوالله لأبي كان خيراً مني ؟ ! » .

وألقى عبد الله معاذيره قائلاً :

« أجل ولكن عمرو – يعني أباه – شكاني الى رسول الله (ص)

---

(١) البداية والنهاية ٨ / ٣٧ .

قال له : إن عبد الله يقوم الليل ، ويصوم النهار ، فقال رسول الله (ص) : « صل ونم ، وصم ، وافطر ، واطع عمرواً » فلما كان يوم صفين أقسم علي فخرجت أما والله ما اخترطت سيفاً ، ولاطعنت برمح ، ولا رميت بسهم ، وما زال يتلطف بالامام حتى رضي عنه (١) ، وقد كان عذره في طاعة أبيه في محاربة الامام أمير المؤمنين ( ع ) لا يحمل طابعاً من المشروعية فان طاعة الأبوين لا تشرع في معصية الله حسب ما جاء في القرآن .

وعلى أي حال فقد كان الامام الحسين موضع عناية المسلمين واجلالهم ويقول المؤرخون : إنه حضر تشييع جنازة فسارع أبو هريرة فجعل ينفض بثوبه التراب والغبار عن قدمه (٢) وقد أوصى المقداد بن الأسود صاحب رسول الله ( ص ) وأحد السابقين الأولين للاسلام أن تدفـــع للحسين ستة وثلاثون الفاً من تركته بعد وفاته (٣) .

لقد رأت الصحابة أن الامام الحسين عليه السلام هو بقية الله في أرضه والمثل الأعلى لجده ، فأولته المزيد من حبهـــا وتقديرها ، وراحت تتسابق للتشرف بخدمته وزيارته .

---

(١) أسد الغابة ٢ / ٣٤ ، كنز العمال ٦ / ٨٦ ، مجمع الزوائد ١٨٦/٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ١٩٣ ، وفي كفاية الطالب (ص٤٢٥ ) عن أبي المهزام قال : كنا في جنازة امرأة ومعنا أبو هريرة فجيء بجنازة رجل فجعلها بين المرأة فصلى عليهما ، فلما أقبلنا أعيى الحسين فقعد في الطريق فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميـــه بطرف ثوبه فقال الحسين : أتفعل هـــذا ؟ فقال أبو هريرة : دعني منك فوالله لو علم الناس منك ما اعلم لحملوك على رقابهم .

(٣) سير اعلام النبلاء ١ / ٢٨٠ .

# لمحات

# من مقتل الإمام الحسين عليه السلام



وتجسدت في شخصية أبي الأحرار جميع القيم الانسانية ، والمثل العليا والتقت به عناصر النبوة والامامة ، فكان بحكم مثله وتهذيبه فذاً من أفذاذ التكامل الانساني ، ومثلاً رائعاً من أمثلة الرسالة الاسلامية ، فهو — بحق — الاطروحة الخالدة للاسلام بجميع طاقاته ومقوماته .

إن أية صفة من صفات أبي الشهداء أو نزعة من نزعاته الكريمة لترفعه عالياً على جميع عظماء العالم ، وتدفع الى القول — بلا مغالاة — أنه نسخة لا ثاني لها في تاريخ البشرية على الاطلاق ما عدا جده وأبيه ، ونعرض — بإيجاز — الى بعض خصائصه وذاتياته .

## امامته :

الامام الحسين أحد الكواكب المشرقة من أئمة أهل البيت ( ع ) الذين استكملت فيهم الصفات الانسانية ، وبلغوا ذروة الكمال المطلق ، وأقاموا منار هذا الدين ، ورفعوا شعار الحق والعدل في الأرض ، وتبنوا القضايا المصيرية للاسلام ، وعانوا في سبيله جميع الوان الكوارث والخطوب ، ولاقوا كل جهد وضيق من جبابرة عصورهم الذين اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً .

وقد نظر النبي ( ص ) — وهو يوحي اليه — من خلال الأحقاب المترامية الى الأئمة الطاهرين من أهل بيته فعرفهم باسمائهم وصفاتهم ، ودلل بنصوصه العامة والخاصة على أنهم خلفاؤه وأوصياؤه ، وانهم سفن النجاة وأمن العباد وقرنهم بكتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد المعنا الى الكثير من تلكم النصوص في البحوث

السابقة فلم تعد هنا ضرورة لذكرها ، كما أنا بحثنا بصورة موضوعية وشاملة عن الامامة وضرورتها ، وواجبات الامام وصفاته في كتابنا ( حياة الامام الحسن ) فلا حاجة لاعادة البحث هنا .

### مظاهر شخصيته :

أما المظاهر الفذة التي اتصفت بها شخصية أبي الأحرار ، وكانت من عناصره ومقوماته فهي :

### ١ ـ قوة الإرادة :

من النزعات الذاتية لأبي الشهداء ( ع ) قوة الارادة ، وصلابة الحزم والتصميم ، وقد ورث هذه الظاهرة الكريمة من جده الرسول ( ص ) الذي غيّر مجرى التاريخ ، وقلب مفاهيم الحياة ، ووقف صامداً وحده أمام القوى الهائلة التي هبت لتمنعه من أن يقول كلمة الله ، فلم يعن بها وراح يقول لعمه أبي طالب مؤمن قريش :

« والله لو وضعوا الشمس بيميني والقمر بيساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى أموت أو يظهره الله . . » .

بهذه الارادة الجبارة قابل قوى الشرك ، واستطاع أن يتغلب على مجريات الأحداث ، وكذلك وقف سبطه العظيم في وجه الحكم الأموي فاعلن بلا تردد رفضه لبيعة يزيد ، وانطلق مع قلة الناصر الى ساحات الجهاد ليرفع كلمة الحق ، ويدحض كلمة الباطل ، وقد حشدت عليه الدولة

الأموية جيوشها الهائلة ، فلم يحفل بها ، واعلن عن عزمه وتصميمه بكلمته الخالدة قائلاً :

« لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برما . . » .

وانطلق مع الاسرة الكريمة من أهل بيته وأصحابه الى ميدان الشرف والمجد ليرفع راية الاسلام ، ويحقق للامة الاسلامية اعظم الانتصارات والفتح حتى استشهد سلام الله عليه ، وهو من أقوى الناس ارادة ، وامضاهم عزيمة وتصميماً . غير حافل بما عاناه من الكوارث التي تذهل العقول وتحير الألباب .

## ٢ ـ الاباء عن الضيم :

والصفة البارزة من نزعات الامـــام الحسين (ع) الاباء عن الضيم حتى لقب ( بأبي الضيم ) وهي من أعظم القابه ذيوعاً وانتشاراً بين الناس فقد كان المثل الأعلى لهذه الظاهرة فهو الذي رفع شعار الكرامة الانسانية ورسم طريق الشرف والعزة ، فلم يخنع ، ولم يخضع لقرود بني أمية ، وآثر الموت تحت ظلال الأسنة ، يقول عبد العزيز بن نباتة السعدي :

والحسين الذي رأى الموت في العـ ـز حياة والعيش في الذل قتلاً

ووصفه المؤرخ الشهير اليعقوبي بأنه شديد العزة (١) يقول ابن أبي الحديد:

« سيد أهل الأباء الذي علم الناس الحمية ، والموت تحت ظلال السيوف اختياراً على الدنية أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) عُرض عليه الأمان هو وأصحابه فأنف من الذل ، وخاف ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنه لا يقتلـــه ، فاختار الموت على ذلك . وسمعت النقيب

(١) تاريخ العقوبي ٢ / ٢٩٣ .

أبا زيد يحيى بن زيد العلوي يقول : كأن أبيات أبي تمام في محمد بن حميد الطائي ما قيلت إلا في الحسين :

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده · اليـه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف الضيم حتى كأنـه · هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجلـه · وقال لها : من دون أخمصك الحشر
تردى ثياب الموت حمراً فما بدا · لها الليل إلا وهي من سندس خضر(١)

لقد علّم أبو الأحرار الناس نبل الاباء ونبل التضحية يقول فيه مصعب ابن الزبير : « واختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة » (٢) ثم تمثل :

وإن الألى بالطف من آل هاشم · تآسوا فسنوا للكرام التـآسيا

وقد كانت كلماته يوم الطف من أروع ما أثر من الكلام العربي في تصوير العزة والمنعة والاعتداد بالنفس يقول :

« ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلـة ، يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام . . . . » .

ووقف يوم الطف كالجبل الأشم غير حافل بتلك الوحوش الكاسرة من جيوش الردة الأموية ، وقد ألقى عليهم وعلى الأجيال أروع الدروس عن الكرامة وعزة النفس وشرف الاباء قائلاً :

« والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ، ولا أفر فرار العبيد إني عذت بربي وربكم أن ترجمون . . . . » .

وألقت هذه الكلمات المشرقة الأضواء على مدى ما يحمله الامام العظيم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ / ٣٠٢ .
(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٧٣ .

من الكرامة التي لا حد لابعادها ، والتي هي من أروع ما حفل به تاريخ الاسلام من صور البطولات الخالدة في جميع الآباد .

وتسابق شعراء أهل البيت ( ع ) الى تصوير هذه الظاهرة الكريمة فكان ما نظموه في ذلك من أثمن ما دونته مصادر الأدب العربي وقد عنى السيد حيدر الحلي الى تصوير ذلك في كثير من روائعه الخالدة التي رثى بها جده الحسين يقول :

طمعت أن تسومه القوم ضيماً　　وأبى الله والحسام الصنيع
كيف يلوي على الدنيــة جيداً　　لسوى الله ما لواه الخضوع
ولديــه جاش أرد من الدرع　　لضمأى القنا وهن شروع
وبــه يرجــع الحفاظ لصدر　　ضاقت الأرض وهي فيه تضيع
فأبى أن يعيش إلا عــزيزاً　　أو تجلى الكفاح وهو صريع(١)

ولم تصور منعة النفس وإباؤها بمثل هذا التصوير الرائع ، فقد عرض حيدر الى ما صممت عليه الدولة الأموية من ارغام الامام الحسين ( ع ) على الذل والهوان ، واخضاعه لجورهم واستبدادهم ، ولكن يأبى له الله ذلك وتأبى له نفسه العظيمة التي ورثت عز النبوة أن يقر على الضيم ، فانــه سلام الله عليه لم يلو جيده خاضعاً لأي أحد إلا لله ، فكيف يخضع لأقزام بني امية ؟ ! وكيف يلويه سلطانهم عن عزمه الجبار الذي هو أرد من الدرع للقنا الضامئة ، وما أروع قوله :

وبه يرجع الحفــاظ لصدر　　ضاقت الأرض وهي فيه تضيع

وهل هناك أبلغ أو أدق وصفاً لاباء الامام الحسين وعزته من هذا الوصف ، فقد أرجع جميع طاقات الحفاظ والذمام لصدر الامام ( ع ) التي ضاقت الأرض من صلابة عزمه وتصميمه ، بل أنها على سعتها تضيع فيه

---

(١) ديوان سيد حيدر ( ص٨٧ )

ومن الحق انه قد حلق في وصفه لاباء الامام ، ويضاف لذلك جمال اللفظ فليس في هذا الشعر كلمة غريبة أو حرف ينبو على السمع .

وانظر الى هذه الأبيات من رائعته الأخرى التي يصف بهـا اباء الحسين يقول :

| | |
|---|---|
| لقد مات لكن ميتة هاشميـة | لهم عرفت تحت القنـا المتقصد |
| كريم أبى شم الدنيـة أنفـه | فأشممه شوك الوشيـج المسدد |
| وقال : قفي يا نفس وقفة وارد | حياض الردى لا وقفـة المتردد |
| رأى أن ظهر الذل أخشن مركباً | من الموت حيث الموت منه بمرصد |
| فآثر أن يسعى على جمرة الوغى | برجل ولا يعطى القيادة عن يد (١) |

لا أكاد أعرف شعراً أدق ، ولا أعذب من هذا الشعر فهو يمثل أصدق تمثيل منعة الامام العظيم وعزة نفسه التي آثرت الموت تحت ظلال الأسنة على العيش الرغيد بذل وخنوع ، ناهجاً بذلك منهج الشهداء من أسرته الذين تسابقوا الى ساحات النضـال ، واندفعوا بشوق الى ميادين التضحية والفداء لينعموا بالكرامة والعزة .

ومضى حيدر في تصويره لاباء الامام الشهيد فوصفه بأنه أبى شم الدنية والضيم ، وعمد الى شم الرماح والسيوف لأن بها طعم الاباء وطعم الشرف والمجد . . . وعلى هذا الغرار من الوصف الرائع يمضي حيدر في تصويره لمنعة الامام ، تلك المنعة التي ملكت مشاعره وعواطفه كما ملكت عواطف غيره ، ومن المقطوع به أنه لم يكن متكلفاً بذلك ، ولا منتحلاً وانما وصف الواقع وصفاً صادقاً لا تكلف فيه .

ويقول حيدر : في رائعة أخرى يصف بها اباء الامام وسمو ذاته ،

---

(١) ديوان السيد حيدر ( ص٧١ ) .

ولعلها من أجمل ما رثى به الامام ( ع ) يقول :

وسامته يركب احدى اثنتين ... وقد صرت الحرب أسنانها
فإما يُرى مذعنا أو تموت ... نفس أبى العز اذعانهـا
فقال لها : اعتصمي بالاباء ... فنفس الأبي وما زانها
اذا لم تجد غير لبس الهوان ... فبالموت تنزع جثمانها
رأى القتل صبراً شعار الكرام ... وفخراً يزين لها شأنها
فشمر للحرب في معـرك ... به عرك الموت فرسانها (١)

إن مراثي حيدر للامام تعد - بحق - طغراءً مشرقاً في تراث الأمة العربية ، فقد فكر فيها تفكيراً جاداً ورتب أجزاءها ترتيباً دقيقاً حتى جاءت بهذه الروعة ، وكان - فيما يقول معاصروه - ينظم في كل حول قصيدة خاصة في الامام ( ع ) ويعكف طيلة عامه على اصلاحها ، ويمعن امعاناً دقيقاً في كل كلمة من كلماتها حتى جاءت بمنتهى الروعة والابداع .

## ٣ - الشجاعة :

ولم يشاهد الناس في جميع مراحل التاريخ أشجع ، ولا أربط جأشاً ، ولا أقوى جناناً من الامام الحسين ( ع ) فقد وقف يوم الطف موقفاً حير فيه الألباب ، وأذهل فيه العقول ، وأخذت الأجيال تتحدث باعجاب واكبار عن بسالته ، وصلابة عزمه ، وقدم الناس شجاعته على شجاعة أبيه التي استوعبت جميع لغات الأرض .

وقد بُهر أعداؤه الجبناء بقوة بأسه ، فانه لم ينهار أمام تلك النكبات المذهلة التي أخذت تتواكب عليه ، وكان يزداد انطلاقاً وبُشراً كلما ازداد

(١) ديوان السيد حيدر .

الموقف بلاءً ومحنة ، فانه بعد ما فقد أصحابه وأهل بيته زحف عليه الجيش بأسره وكان عدده - فيما يقول الرواة - ثلاثين الفاً ، فحمل عليهم وحده وقد ملك الخوف والرعب قلوبهم فكانوا ينهزمون أمامه كالمعزى اذا شد عليها الذئب - على حد تعبير الرواة - وبقي صامداً كالجبل يتلقى الطعنات من كل جانب ، ولم يوه له ركن ، وإنما مضى في أمره استبسالاً واستخفافاً بالمنية يقول السيد حيدر :

فتلقى الجموع فــرداً ولكن ... كل عضو في الروع منــه جموع

رمحه من بنانــه وكأن من ... عزمــه حد سيفــه مطبوع

زوج السيف بالنفوس ولكن ... مهرها الموت والخضاب النجيع

ويقول في رائعة أخرى :

ركين وللأرض تحت الكماة ... رجيف يزلزل ثهلانهــا

أقر على الأرض من ظهرها ... إذا ململ الرعب أقرانها

تزيد الطلاقــة في وجهــه ... اذا غير الخوف الوانها

ولما سقط أبي الضيم على الأرض جريحاً وقد أعياه نزف الدماء تحامى الجيش بأسره من الاجهاز عليه رعباً وخوفاً منه ، يقول السيد حيدر :

عفيراً متى عاينته الكماة ... يختطف الرعب الوانها

فما أجلت الحرب عن مثله ... صريعاً يجبن شجعانها

وتغذى أهل بيته وأصحابه بهذه الروح العظيمة فتسابقوا الى الموت بشوق واخلاص لم يختلج في قلوبهم رعب ولا خوف ، وقد شهد لهم عدوهم بالبسالة ورباطة الجأش فقد قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحك أقتلتم ذرية رسول الله (ص) ؟ فاندفع قائلاً :

« عضضت بالجندل ، إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا ، ثارت علينا عصابة أيديهــا في مقابض سيوفها كالأسود الضارية ، تحطم

الفرسان يميناً وشمالاً ، وتلقي أنفسها على الموت ، لا تقبل الامان ، ولا ترغب في المال ، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية ، والاستيلاء على الملك ، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيره ، فما كنا فاعلين لا أم لك . . » (١) .

ووصف بعض الشعراء هذه البسالة النادرة بقوله :

فلو وقفت صم الجبال مكانهم    لمادت على سهل ودكت على وعر
فمن قائم يستعرض النبل وجهه    ومن مقدم يرمي الأسنة بالصدر

وما أروع قول السيد حيدر :

دكوا رباها ثم قالوا : لها    وقد جثوا نحن مكان الربا

لقد تحدى أبو الأحرار ببسالته النادرة الطبيعة البشرية فسخر من الموت وهزأ من الحياة ، وقد قال لأصحابه حينما مطرت عليه سهام الأعداء :

« قوموا رحمكم الله الى الموت الذي لابد منه ، فان هذه السهام رسل القوم اليكم . . » .

لقد دعا أصحابه الى الموت كأنما هو يدعوهم الى مأدبة لذيذة ، ولقد كانت لذيذة عنده حقاً ، لأنه هو ينازل الباطل ويرتسم له برهان ربه الذي هو مبدؤه (٢) .

## ٤ ـ الصراحة :

من صفات أبي الأحرار الصراحة في القول ، والصراحة في السلوك ففي جميع فترات حياته لم يوارب ولم يخادع ، ولم يسلك طريقاً فيه أي

(١) شرح نهج البلاغة ٣ / ٢٦٣ .
(٢) الامام الحسين ( ص١٠١ ) .

التواء ، وإنما سلك الطريق الواضح الذي يتجاوب مع ضميره الحي ، وابتعد عن المنعطفات التي لا يقرها دينه وخلقه ، وكان من الوان ذلك السلوك النير أن الوليد حاكم يثرب دعاه في غلس الليل ، وأحاطه علماً بهلاك معاوية ، وطلب منه البيعة ليزيد مكتفياً بها في جنح الظلام ، فامتنع ( ع ) وصارحه بالواقع قائلاً :

« يا أمير إنا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، بنا فتح الله وبنا ختم ، ويزيد فاسق فاجر ، شارب الخمر ، قاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق والفجور ، ومثلي لا يبايع مثله . » .

وكشفت هذه الكلمات عن مدى صراحته ، وسمو ذاته ، وقوة العارضة عنده في سبيل الحق .

ومن الوان تلك الصراحة التي اعتادها وصارت من ذاتياته أنه لما خرج الى العراق وافاه النبأ المؤلم وهو في أثناء الطريق بمقتل سفيره مسلم ابن عقيل ، وخذلان أهل الكوفة له ، فقال للذين اتبعوه طلباً للعافية لا للحق :

« قد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ، ليس عليه ذمام . . . » .

فتفرق عنه ذوو الأطماع ، وبقى مع الصفوة من أهل بيته (١) لقد تجنب ( ع ) في تلك الساعات الحرجة التي يتطلب فيها الى الناصر الاغراء والخداع مؤمناً ان ذلك لا يمكن أن تتصف به النفوس العظيمة المؤمنة بربها والمؤمنة بعدالة قضيتها .

ومن الوان تلك الصراحة أنه جمع أهل بيته وأصحابه في ليلة العاشر من المحرم ، فاحاطهم علماً بأنه يقتل في غد ، ويقتل جميع من كان معه صارحهم بذلك ليكونوا على بصيرة وبينة من أمرهم ، وأمرهم بالتفرق

(١) أنساب الأشراف ج١ ق١ .

في سواد ذلك الليل ، فأبت تلك الأسرة العظيمة مفارقته ، وأصرت على الشهادة بين يديه .

تدول الدول ، وتزول الممالك ، وهذه الأخلاق الرفيعة أحق بالبقاء وأجدر بالخلود من كل كائن حي لأنها تمثل القيم العليا التي لا كرامة للانسان بدونها .

## ٥ ـ الصلابة في الحق :

أما الصلابة في الحق فهي من مقومات أبي الشهداء ومن أبرز ذاتياته فقد شق الطريق في صعوبة مذهلة لإقامة الحق ، ودك حصون الباطل ، وتدمير خلايا الجور .

لقد تبنى الامام ( ع ) الحق بجميع رحابه ومفاهيمه ، واندفع الى ساحات النضال ليقيم الحق في ربوع الوطن الاسلامي ، وينقذ الأمة من التيارات العنيفة التي خلقت في أجوائها قواعد للباطل ، وخلايا للظلم ، وأوكاراً للطغيان تركتها تتردى في مجاهل سحيقة من هذه الحياة .

رأى الامام ( ع ) الأمة قد غمرتها الأباطيل والأضاليل ، ولم يعد ماثلاً في حياتها أي مفهوم من مفاهيم الحق ، فانبرى ( ع ) الى ميادين التضحية والفداء ليرفع راية الحق : وقد أعلن ( ع ) هذا الهدف المشرق في خطابه الذي ألقاه أمام أصحابه قائلاً :

« ألا ترون الى الحق لا يعمل به ، والى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله . . » .

لقد كان الحق من العناصر الوضاءة في شخصية أبي الأحرار ، وقد استشف النبي ( ص ) فيه هذه الظاهرة الكريمة فكان ـ فيما يقول المؤرخون ـ

يرشف دوماً ثغره الكريم ذلك الثغر الذي قال كلمـــة الله وفجر ينابيع العدل والحق في الأرض .

## ٦ - الصبر :

من النزعات الفذة التي تفرد بها سيد الشهداء الصبر على نوائب الدنيا ومحن الأيام ، فقد تجرع مرارة الصبر منذ أن كان طفلاً ، فرزىء بجده وامه ، وشاهد الأحداث الرهيبة التي جرت على أبيه ، وما عاناه من المحن والخطوب ، وتجرع مرارة الصبر في عهد أخيه ، وهو ينظر الى خذلان جيشه له ، وغدرهم به ، حتى ارغم على الصلح ، وبقي معه يشاركه في محنه وآلامه ، حتى اغتاله معاوية بالسم ، ورام أن يوارى جثمانـــه بجوار جده فمنعته بنو امية فكان ذلك من أشق المحن عليه .

ومن أعظم الرزايا التي صبر عليها أنـــه كان يرى انتقاض مبادىء الاسلام ، وما يوضع على لسان جده من الأحاديث المنكرة التي تغير وتبدل شريعة الله ، ومن الدواهي التي عاناها أنه كان يسمع سب أبيه وانتقاصه على المنابر ، وقيام الطاغية زياد بابادة شيعتهم واستأصل محبيهم ، فصبر على كل هذه الرزايا والمصائب .

وتواكبت عليه المحن الشاقة التي تميد بالصبر في يوم العاشر من المحرم فلم يكد ينتهي من محنة حتى تطوف به مجموعة من الرزايا والآم ، فكان يقف على الكواكب المشرقة من أبنائه وأهل بيته ، وقد تناهبت السيوف والرماح أشلاءهم فيخاطبهم بكل طمأنينة وثبات :

« صبراً يا أهل بيتي ، صبراً يا بني عمومتي ، لا رأيتم هواناً بعـــد هذا اليوم » .

وقد بصر شقيقته عقيلة بني هاشم ، وقـــد أذهلها الخطب ، ومزق الأسى قلبها ، فسارع اليها ، وأمرها بالخلود الى الصبر والرضا بما قسم الله .

ومن أهوال تلك الكوارث التي صبر الامام عليها أنه كان يرى أطفاله وعياله ، وهم يضجون من ألم الظمأ القاتل ، ويستغيثون به من أليم العطش فكان يأمرهم بالصبر والاستقامة ، ويخبرهم بالعاقبة المشرقة التي يؤل اليها أمرهم بعد هذه المحن الحازبة .

وقد صبر على ملاقاة الأعداء الذين ملئت الأرض جموعهم المتدفقة ، وهو وحده يتلقى الضرب والطعن من جميع الجهات ، قد تفتت كبده من العطش وهو غير حافل بذلك كله .

لقد كان صبره وموقفه الصلب يوم الطف من أندر ما عرفته الانسانية يقول الأربلي : « شجاعة الحسين يضرب بها المثل ، وصبره في الحرب أعجز الأوائل والأواخر » (١) .

إن أي واحدة من رزاياه لو ابتلى بها أي انسان مهما تدرع بالصبر والعزم وقوة النفس لأوهنت قواه واستسلم للضعف النفسي ، ولكنه ( ع ) لم يعن بما ابتلي به في سبيل الغاية الشريفة التي سمت بروحه أن تستسلم للجزع أو تضرع للخطوب ، يقول المؤرخون : إنه تفرد بهذه الظاهرة ، فلم توه عزمه الأحداث مهما كانت ، وقد توفى له ولد في حياته فلم ير عليه أثر للكآبة فقيل له في ذلك فقال ( ع ) :

« إنا أهل بيت نسأل الله فيعطينا ، فاذا أراد ما نكره فيما نحب رضينا » (٢) .

---

(١) كشف الغمة .

(٢) الاصابة ٢ / ٢٢٢ .

لقد رضي بقضاء الله واستسلم لأمره ، وهـذا هو جوهر الاسلام ومنتهى الايمان .

## ٧ - الحلم :

أما الحلم فهو من أسمى صفات أبي الشهداء ( ع ) ومن أبرز خصائصه فقد كان - فيما أجمع عليه الرواة - لا يقابل مسيئاً باساءته ، ولا مذنباً بذنبه ، وإنما كان يغدق عليهم ببره ومعروفه شأنه في ذلك شأن جده الرسول ( ص ) الذي وسع الناس جميعاً باخلاقه وفضائله ، وقد عرف بهذه الظاهرة وشاعت عنه ، وقد استغلها بعض مواليه فكان يعمد الى اقتراف الإساءة إليه لينعم بصلته واحسانه ، ويقول المؤرخون : إن بعض مواليه قد جنى عليه جناية توجب التأديب فأمر ( ع ) بتأديبه ، فانبرى العبد قائلاً :

« يا مولاي ، إن الله تعالى يقول : « الكاظمين الغيظ » .

فقابله الامام ببسماته الفياضة وقال له :

« خلوا عنه ، فقد كظمت غيظي . . . » .

وسارع العبد قائلاً :

« والعافين عن الناس » .

« قد عفوت عنك . . » .

وانبرى العبد يطلب المزيد من الاحسان قائلاً :

« والله يحب المحسنين » .

« أنت حر لوجه الله . . » .

ثم أمر له بجائزة سنية (١) تغنيه عن الحاجة ومسألة الناس .

---

(١) الحسين ١ / ١١٧ .

لقد كان هذا الخلق العظيم من مقوماته التي لم تنفك عنه ، وظلت ملازمة له طوال حياته .

## ٨ ـ التواضع :

وُجبل الامام الحسين (ع) على التواضع ومجافاة الأنانية والكبرياء، وقد ورث هذه الظاهرة من جده الرسول (ص) الذي أقام اصول الفضائل ومعالي الأخلاق في الأرض، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من سمو أخلاقه وتواضعه نلمح الى بعضها :

١ ـ انه اجتاز على مساكين يأكلون في (الصفة) فدعوه الى الغذاء فنزل عن راحلته ، وتغذى معهم ، ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبوني ، فلبوا كلامه وخفوا معه الى منزله ، فقال (ع) لزوجه الرباب : اخرجي ماكنت تدخرين ، فاخرجت ما عندها من نقود فناولها لهم (١) .

٢ ـ مر على فقراء يأكلون كسراً من أموال الصدقة ، فسلم عليهم فدعوه الى طعامهم ، فجلس معهم ، وقال : لولا انه صدقة لأكلت معهم ثم دعاهم الى منزله ، فاطعمهم ، وكساهم ، وأمر لهم بدراهم (٢) .

لقد اقتدى (ع) في ذلك بجده الرسول (ص) وسار على هديه فقد كان ـ فيما يقول المؤرخون ـ يخالط الفقراء ويجالسهم ، ويفيض عليهم بره واحسانه ، حتى لا يتبيغ بالفقير فقره ، ولا يبطر الغني ثراؤه .

٣ ـ وجرت مشادة بين الحسين وأخيه محمد بن الحنفية ، فانصرف محمد الى داره وكتب اليه رسالة جاء فيها « أمـا بعد : فان لك شرفاً

---

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٥٤ .

(٢) اعيان الشيعة ٤ / ١١٠ .

لا أبلغه ، وفضلاً لا أدركه ، أبونا علي لا أفضلك فيــه ولا تفضلني ، وأمي امرأة من بني حنيفة ، وأمك فاطمة بنت رسول الله (ص) ولو كان ملء الأرض مثل أمي ماوفين بأمك ، فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الي ، وترضيني ، واياك أن أكون سابقك الى الفضل الذي أنت أولى به مني . . . . » .

ولما قرأ الحسين رسالة أخيه سارع اليه وترضاه (١) وكان ذلك من معالي أخلاقه وسمو ذاته .

## ٩ - الرأفة والعطف :

ومن صفات أبي الاحرار أنه كان شديد الرأفة بالناس يمد يده لكل ذي حاجة ، ويسعف كل ذي لهفة ، ويجير كل من استجار به ، وقد فزع مروان اليه والى أخيه وهو من ألد أعدائهم ، بعد فشل واقعة الجمل ، وطلب منهما أن يشفعا له عند أبيهما ، فخفا اليه وكلماه في شأنه وقالا له : « يبايعك يا أمير المؤمنين » .

فقال (ع) : « أولم يبايعني قبل قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته انها كف يهودية ، لو بايعني بيده لغدر بسبابته ، أما أن له امرة كلعقة الكلب أنفه ، وهو أبو الاكبش الاربعة ، وستلقى الامة من ولــده يوماً أحمر » .

وما زالا يلطفان به حتى عفا عنه ، إلا أن هذا الوغد قد تنكر لهذا المعروف وقابل السبطين بكل ما يملك من وسائل الشر والمكروه ، فهو الذي منع جنازة الامام الحسن أن تدفن بجوار جده ، وهو الذي أشار على

(١) نهاية الارب ٣ / ٢٦٠ ، الف باء ١ / ٤٦٧ .

الوليد بقتل الامام الحسين إن امتنع من البيعة ليزيـــد ، كما اظهر السرور والفرح بمقتل الامام ( ع ) وحسب مروان أنه من تلك الشجرة التي لم تثمر إلا الخبيث الدنس وما يضر الناس .

ومن ألوان تلك الصور الخالدة لعطف الامام ورأفته بالناس أنه لما استقبله الحر بجيشه البـــالغ ألف فارس ، وكان قد أرسل لمناجزته وقتاله فرآه الامام وقـــد أشرف على الهـــلاك من شدة العطش فـــلم تدعه أريحيته ولا سمو ذاته أن لا يقوم بانقاذهم ، فأمر ( ع ) غلمانه وأهل بيته أن يسقوا القوم عن آخرهم ، ويسقوا خيولهم فسقوهم عن آخرهم ، وكان فيهم علي بن الطعان المحاربي الذي اشتد به العطش فلم يدر كيف يشرب فقام ( ع ) بنفسه فسقاه ، وكانت هذه البادرة من أروع ما سجل في قاموس الانسانية من الشرف والنبل .

## ١٠ ـ الجود والسخاء :

من مزايا الامام أبي الأحرار ( ع ) الجود والسخاء فقد كان ملاذاً للفقراء والمحرومين ، وملجأ لمن جارت عليـــه الأيام ، وكان يثلج قلوب الوافدين إليه بهباته وعطاياه يقول كمال الدين بن طلحة :

« وقد اشتهر النقل عنه أنه كان يكرم الضيف ، ويمنـــح الطالب ، ويصل الرحم ، ويسعف السائل ، ويكسو العاري ، ويشبع الجائع ، ويعطي الغارم ويشد من الضعيف ، ويشفق على اليتيم ، ويغني ذا الحاجة ، وقل أن وصله مال إلا فرقه ، وهذه سجية الجواد وشنشنه الكريم ، وسمة ذي السماحة ، وصفة من قد حوى مكارم الأخلاق ، فأفعاله المتلوة شاهدة له

بصنعة الكرم ، ناطقة بأنه متصف بمحاسن الشيم . . » (١) .

ويقول المؤرخون إنه كان يحمل في دجى الليل البهيم الجراب يملؤه طعاماً ونقوداً الى منازل الأرامل واليتامى والمساكين حتى أثر ذلك في ظهره (٢) وكان يُحمل اليه المتاع الكثير فلا يقوم حتى يهب عامته ، وقد عرف معاوية فيه هذه الظاهرة فأرسل اليه بهدايا والطاف كما أرسل الى غيره من شخصيات يثرب وأخذ يحدث جلساءه بما يفعله كل واحد منهم بتلك الألطاف فقال في الحسين :

« أما الحسين فيبدأ بأيتام من قُتل مع أبيه بصفين فان بقي شيء نحر به الجزور وسقى به اللبن . . » .

وبعث رقيباً يرى ما يفعله القوم فكان كما أخبر فقال معاوية :

« أنا ابن هند ، أنا أعلم بقريش من قريش » (٣) .

وعلى أي حال فقد نقل المؤرخون بوادر كثيرة من جود الامام وسخائه نلمع الى بعضها :

١ — مع اسامة بن زيد .

ومرض اسامة بن زيد مرضه الذي توفي فيه فدخل عليه الامام عائداً فلما استقر به المجلس قال أسامة :

— واغماه .

— ما غمك ؟ .

— ديني وهو ستون الفاً .

— هو علي .

---

(١) مطالب السؤول ( ص٧٣ ) .

(٢) ريحانة الرسول ( ص٧١ ) .

(٣) عيون الأخبار ٣ / ٤٠ .

ـ أخشى أن أموت قبل أن يقضى .

ـ لن تموت حتى أقضيها عنك .

وبادر الامام (ع) فقضاها عنه قبل موته (١) وقد غض طرفه عن اسامة فقد كان من المتخلفين عن بيعة أبيه ، فلم يجازيه بالمثل وإنما أغدق عليه بالاحسان .

٢ ـ مع جارية له :

روى أنس قال : كنت عند الحسين فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيته بها ، فقال لها : أنت حرة لوجه الله تعالى ، وبهـر أنس فانصرف يقول :

ـ جارية تجيئك بطاقة ريحان ، فتعتقها ؟ ! !

ـ كذا أدبنا الله ، قال تبارك وتعالى : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » ، وكان أحسن منها عتقها (٢) وبهـذا السخاء والخلق الرفيع ملك قلوب المسلمين وهاموا بحبه وولائه .

٣ ـ مع غارم :

كان الامام الحسين (ع) جالساً في مسجد جده الرسول (ص) وذلك بعد وفاة أخيه الحسن (ع) ، وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية منه كما كان عتبة بن أبي سفيان جالساً في ناحية أخرى منه ، فجاء اعرابي على ناقة فعقلها ودخل المسجد فوقف على عتبة بن أبي سفيان فسلم عليه فرد عليه السلام ، فقال له الاعرابي :

« اني قتلت ابن عم لي ، وطولبت بالدية فهـل لك أن تعطيني شيئاً ؟ » .

---

(١) أعيان الشيعة ٤ / ١٠٤ .

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ ( ص١٨٤ ) .

فرفع عتبة اليه رأسه وقال لغلامه : ادفع اليه مائة درهم ، فقال له الاعرابي :

« ما أريد إلا الدية تامة » .

فلم يعن به عتبة ، فانصرف الاعرابي آيساً منه ، فالتقى بابن الزبير فعرض عليه قصته ، فأمر له بمائتي درهم فردها عليه ، وأقبل نحو الامام الحسين ( ع ) فرفع اليه حاجته ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : هذه لقضاء ديونك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى وقال له : هذه تلم بها شعثك وتحسن بها حالك ، وتنفق بها على عيالك ، فاستولت على الاعرابي موجات من السرور واندفع يقول :

طربت وما هاج لي معبق ... ولا لي مقام ولا معشق

ولكن طربت لآل الرسو ... ل فلذّ لي الشعر والمنطق

هم الأكرمون الانجبون ... نجوم السماء بهم تشرق

سبقت الأنام الى المكرمات ... وأنت الجواد فلا تلحق

أبوك الذي ساد بالمكرمات ... فقصر عن سبقه السبق

به فتح الله باب الرشاد ... وباب الفساد بكم مغلق (١)

٤ — مع اعرابي :

وقصده اعرابي فسلم عليه وسأله حاجته ، وقال : سمعت جدك يقول : إذا سألتم حاجة فاسألوها من أربعة أما عربي شريف ، أو مولى كريم ، أو حامل القرآن ، أو صاحب وجه صبيح ، فأما العرب فشرفت بجدك ، وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم ، وأما القرآن ففي بيوتكم نزل ، وأما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله ( ص ) يقول : إذا أردتم أن تنظروا اليَّ فانظروا الى الحسن والحسين .

(١) عقد الآل في مناقب الآل للبحراني .

فقال له الحسين (ع) : ما حاجتك ؟

فكتبها الاعرابي على الأرض ، فقال له الحسين (ع) : سمعت أبي علياً يقول : المعروف بقدر المعرفة فأسألك عن ثــلاث مسائل إن أجبت عن واحدة فلك ثلث ما عندي ، وان أجبت عن اثنتين فلك ثلثا ماعندى وان أجبت عن الثلاث فلك كل ما عندي ، وقد حملت الي صرة من العراق

الاعرابي : سل ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الامام الحسين : أي الأعمال أفضل ؟

ـ الايمان بالله .

ـ ما نجاة العبد من الهلكة ؟

ـ الثقة بالله .

ـ ما يزين المرء ؟

ـ علم معه حلم .

ـ فان أخطأه ذلك ؟

ـ مال معه كرم .

ـ فان أخطأه ذلك .

ـ فقر معه صبر .

ـ فان أخطأه ذلك .

ـ صاعقة تنزل من السماء فتحرقه .

فضحك الامام ورمى اليه بالصرة (١) .

٥ ـ مع سائل :

ووفد عليه سائل فقرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب اليوم من رجاك ومن    حرك من خلف بابك الحلقه

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣ / ٢٦٨ .

أنت ذو الجود أنت معدنـــه　　أبوك قـــد كان قاتل الفسقه

وكان الامام واقفاً يصلي فخفف من صلاته ، وخرج الى الاعرابي فرأى عليه أثر الفاقة ، فرجع ونادى بقنبر فلما مثل عنده قال له : ما تبقى من نفقتنا ؟ قال : مائتا درهم أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك ، فقال هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم ، فاخذها ودفعها الى الاعرابي معتذراً منه وهو ينشد هذه الأبيات :

خذها فاني اليك معتذر　　واعلم بأني عليك ذو شفقة

لو كان في سيرنا عصاتمداذن　　كانت سمانا عليك مندفقة

لكن ريب المنون ذو نكد　　والكف منا قليلة النفقـــة

فاخذها الاعرابي شاكراً وداعياً له بالخير ، وانبرى مادحاً له :

مطهرون نقيات جيوبهـــم　　تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

وأنتم الأعلون عنـــدكم　　علم الكتاب وما جاءت به السور

من لم يكن علوياً حين تنسبه　　فما له في جميع الناس مفتخر (١)

هذه بعض بوادر كرمه وسخائه وهي تكشف عن مدى تعاطفه وحنوه على الفقراء ، وأنه لم يبغ أي مكسب سوى ابتغاء مرضاة الله والتماس الأجر في الدار الآخرة . . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض نزعاته وصفاته التي بلغ بها ذروة الكمال المطلق ، واحتل بها قلوب المسلمين فهاموا بحبه والولاء له .

## عبادته وتقواه :

واتجه الامام الحسين (ع) بعواطفه ومشاعره نحو الله فقد تفاعلت

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

جميع ذاتياته بحب الله والخوف منه ، ويقول المؤرخون : إنه عمل كل مايقرب به الى الله فكان كثير الصلاة والصوم والحج والصدقة وأفعال الخير (١) .

ونعرض لبعض ما أثر عنه من عبادته واتجاهه نحو الله :

أ ـ خوفه من الله .

كان الامام ( ع ) في طليعة العارفين بالله ، وكان عظيم الخوف منه شديد الحذر من مخالفته حتى قال له بعض أصحابه :

« ما أعظم خوفك من ربك ؟ !! » .

فقال ( ع ) : « لا يأمن يوم القيامة الا من خاف الله في الدنيا .. » (٢) وكانت هذه سيرة المتقين الذين أضاؤا الطريق ، وفتحوا آفاق المعرفة ، ودلوا على خالق الكون وواهب الحياة .

ب ـ كثرة صلاته وصومه :

كان ( ع ) أكثر أوقاته مشغولاً بالصلاة والصوم (٣) وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ـ كما حدث بذلك ولده زين العابدين ـ (٤) وكان يختم القرآن الكريم في شهر رمضان (٥) وتحدث ابن الزبير عن عبادة الامام فقال : « أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه كثيراً في النهار صومه » (٦) .

---

(١) تهذيب الأسماء ١ / ١٦٣ .

(٢) اعيان الشيعة ٤ / ١٠٤ ، ريحانة الرسول ( ص٥٨ ) .

(٣) تهذيب الأسماء ١ / ١٦٣ ، خطط المقريزي ٢ / ٢٨٥ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٩ ، تاريخ ابن الوردي ١ / ١٧٣ .

(٥) سير اعلام النبلاء ٣ / ١٩٣ .

(٦) تاريخ الطبري ٦ / ٢٧٣ .

ج ـ حجه :

كان الامام (ع) كثير الحج وقد حج خمساً وعشرين حجة ماشياً على قدميه (١) وكانت نجائبه تقاد بين يديه (٢) وكان يمسك الركن الأسود ويناجي الله ويدعو قائلاً :

« إلهي أنعمتني فلم تجدني شاكراً ، وابتليتني فلم تجدني صابراً ، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ، ولا أدمت الشدة بترك الصبر ، إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم . . . » (٣) .

وخرج (ع) معتمراً لبيت الله فمرض في الطريق فبلغ ذلك أباه أمير المؤمنين (ع) وكان في يثرب فخرج في طلبه فأدركه في ( السقيا ) وهو مريض فقال له :

« يا بني ما تشتكي ؟ » .

« أشتكي رأسي » .

فدعا أمير المؤمنين ببدنة فنحرها وحلق رأسه ورده الى المدينة ، فلما أبل من مرضه قفل راجعاً الى مكة واعتمر (٤) هذا بعض ما أثر من طاعته وعبادته .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٢٥٤ ، سير اعلام النبلاء ٣ / ١٩٣ مجمع الزوائد ٩ / ٢٠١ ، تهذيب الأسماء ١ / ١٦٣ ، مناقب ابن المغازلي رقم الحديث ٦٤ ، مختصر صفوة الصفوة ( ص٦٢ ) .

(٢) صفوة الصفوة ١ / ٣٢١ ، طبقات الشعراني ١ / ٢٣ ، تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٥٤ .

(٣) الكواكب الدرية ١ / ٥٨ .

(٤) دعائم الاسلام ١ / ٣٩٥ .

د ـ صدقاته :

كان ( ع ) كثير البر والصدقة ، وقد ورث أرضاً وأشياءً فتصدق بها قبل أن يقبضها (١) وكان يحمل الطعام في غلس الليـل الى مساكين أهل المدينة (٢) لم يبتغ بذلك إلا الأجر من الله ، والتقرب اليه ، وقـد المعنا ـ فيما سبق ـ الى كثير من الوان بره واحسانه .

## مواهبه العلمية :

ولم يدان الامام الحسين ( ع ) أحد في فضله وعلمه فقد فاق غيره بملكاته ومواهبه العلمية ، وقد انتهل وهو في سنه المبكر من نمير علوم جده التي أضاءت آفاق هذا الكون ، كما تتلمذ على يد أبيه الامام أمير المؤمنين باب مدينة علم النبي ( ص ) وأعلم الامة ، وأفقهها بشؤون الدين ، وورد في الحديث « كان الحسن والحسين يغران العلم غرا » (٣) وقال حبر الأمة عبد الله بن عباس : « الحسين من بيت النبوة وهم ورثة العلم » (٤) .

وقال بعض من ترجمه : « كان الحسين أفضل أهل زمانه في العلم والمعرفة بالكتاب والسنة » (٥) ونعرض ـ بايجاز ـ لبعض شؤونه العلمية

---

(١) دعائم الاسلام ٢ / ٣٣٧ .

(٢) تذكرة الخواص ( ص٢٦٤ ) .

(٣) النهاية لابن الأثير مادة : غرّ .

(٤) الثائر الأول في الاسلام ( ص١٠ ) .

(٥) الكواكب الدرية ١ / ٥٨ .

## الرجوع اليه في الفتيا :

كان الامام الحسين ( ع ) من مراجع الفتيا في العالم الاسلامي ، وقد رجع اليه أكابر الصحابة في مسائل الدين ، وكان ممن سأله عبدالله بن الزبير فقد استفتاه قائلاً :

« يا أبا عبد الله ما تقول في فكاك الأُسير على من هو ؟ » .

فأجابه ( ع ) : « على القوم الذين أعانهم أو قاتل معهم . . » .

وسأله ثانياً « يا أبا عبد الله متى يجب عطاء الصبي ؟ » .

فاجابه ( ع ) : إذا استهل وجب له عطاؤه ورزقه » .

وسأله ثالثاً عن الشرب قائماً ؟ فدعا ( ع ) بلقحة – أي ناقة – له فحلبت فشرب قائماً ، وناوله (١) قال ابن القيم الجوزي : « إن الباقي من الصحابة من رجال الفتيا هم أبو الدرداء وأبو عبيدة الجراح ، والحسن والحسين » (٢) لقد كان المسلمون يرجعون اليه في مسائل الحلال والحرام ويأخذون منه أحكام الاسلام وآداب الشريعة كما كانوا يرجعون الى أبيه .

## مجلسه :

كان مجلسه مجلس علم ووقار قد ازدان بأهل العلم من الصحابة ، وهم يأخذون عنه ما يلقيه عليهم من الأدب والحكمة ، ويسجلون مايروون عنه من أحاديث جده ( ص ) ويقول المؤرخون : إن الناس كانوا يجتمعون اليه

---

(١) الاستيعاب المطبوع على هامش الاصابة ٢ / ٢٨٣ .

(٢) الأعلام .

ويحتفون به ، وكأن على رؤوسهم الطير يسمعون منه العلم الواسع والحديث الصادق (١) وكان مجلسه في جامع جده رسول الله (ص) وله حلقة خاصة به ، وسأل رجل من قريش معاوية أين يجد الحسين ؟ فقال له : « اذا دخلت مسجد رسول الله (ص) فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبد الله » (٢) . ويقول العلائلي :

« كان مجلسه مهوى الأفئدة ، ومتراوح الأملاك يشعر الجالس بين يديه أنه ليس في حضرة انسان من عمل الدنيا ، وصنيعة الدنيا ، تمتد اسبابها برهبته وجلاله وروعته ، بل في حضرة طفاح بالسكينة كأن الملائكة تروح فيها ، وتغدوا . . . » (٣) .

لقد جذبت شخصية الامام ، وسمو مكانته الروحية قلوب المسلمين ومشاعرهم فراحوا يتهافتون على مجلسه ، ويستمعون لأحاديثه ، وهم في منتهى الاجلال ، والخضوع .

## من روى عنه :

كان الامام (ع) من أعلام النهضة الفكرية والعلمية في عصره ، وقد ساهم مساهمة ايجابية في نشر العلوم الاسلامية ، واشاعة المعارف والآداب بين الناس ، وقد انتهل من نمير علومه حشد كبير من الصحابة وابنائهم وهم : ولده الامام زين العابدين ، وبنته فاطمة (٤) وسكينة وحفيده

(١) الحقائق في الجوامع والفوارق (ص١٠٥) .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢٢٢ .

(٣) أشعة من حياة الحسين (٩٣) .

(٤) الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الأول (ص٥٥) .

الامام أبو جعفر الباقر ( ع ) والشعبي ، وعكرمة ، وكرز التميمي ، وسنان ابن أبي سنان الدوئلي ، وعبد الله بن عمر ، وابن عثمان والفرزدق (١) وابن أخيه زيد بن الحسن (٢) وطلحة العقيلي وعبيد بن حنين (٣) وأبو هريرة ، وعبيد الله بن أبي يزيد ، والمطلب بن عبيد الله بن حنطب ، وأبو حازم الاشجعي ، وشعيب بن خالد ، ويوسف الصباغ ، وأبوهشام (٤) وغيرهم وقد الف احمد بن محمد بن سعيد الهمداني كتاباً في أسماء من روى عن الحسن والحسين (٥) .

لقد اتخذ الامام الجامع النبوي مدرسة له فكان به يلقي محاضراته في علم الفقه والتفسير ، ورواية الحديث ، وقواعد الأخلاق وآداب السلوك وكان المسلمون يفدون عليه من كل فج للانتهال من نمير علومه المستمدة من علوم النبي ( ص ) ومعارفه .

## رواياته عن جده :

وروى الامام الحسين ( ع ) مجموعة كبيرة من الأحاديث عن جده الرسول ( ص ) وقد ذكر الزهري في كتـاب ( المغازي ) أن البخاري روى عن الحسين أحاديث كثيرة ، وفيها باب تحريض النبي ( ص ) على قيام الليل ، كما روى عنه الترمذي في كتاب ( الشمائل النبوية ) أحاديث

---

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٤٥ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣١١ .
(٣) سير اعلام النبلاء ٣ / ١٨٨ .
(٤) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٥٠ .
(٥) النجاشي ( ص٧٣ ) .

كثيرة ، وقد نقلها عنه سفيان بن وكيع (١) ونلمع الى بعض رواياته عن جده :

١ ـ قال ( ع ) : قال رسول الله ( ص ) : « من حسن اسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه » (٢) .

٢ ـ قال ( ع ) : قال رسول الله ( ص ) : « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » (٣) .

٣ ـ قال ( ع ) : سمعت رسول الله ( ص ) يقول : « ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة ( أو قال تصيبه مصيبة ) وان قدم عهدها فيحدث لها استرجاعاً إلا أحدث الله عنه ذلك ، وأعطاه ثواب ما وعده عليها يوم أصيب بها » (٤) .

٤ ـ قال ( ع ) : سمعت النبي ( ص ) يقول : « إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها » (٥) .

٥ ـ قال ( ع ) : سمعت النبي ( ص ) يقول : « من يطع الله يرفعه ، ومن يعص الله يضعه ومن يخلص نيته لله يزينه ، ومن يثق بما عندالله يغنيه ، ومن يتعزز على الله يذله » (٦) .

٦ ـ قال ( ع ) : كان رسول الله ( ص ) اذا استقى قال : « اللهم اسقنا سقياً واسعة وادعة عامة نافعة غير ضارة تعم بها حاضرنا وبادينا ، وتزيد بها في رزقنا ، وشكرنا ، اللهم اجعله رزق ايمان وعطاء ايمان ، ان عطاءك لم

---

(١) الثائر الأول في الاسلام ( ص١٠ ) .

(٢) و (٣) مسند الامام احمد بن حنبل ١ / ٢٠١ .

(٤) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣١٢ ، أسد الغابة ٢ / ١٩ ، الاصابة ١ / ٢٢٢ .

(٥) و (٦) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٩ .

يكن محظوراً ، اللهم انزل علينا في ارضنا سكنها (١) وانبت فيها زينتها ومرعاها » (٢) .

٧ ـ قال ( ع ) : حدثني أبي عن النبي ( ص ) أنه قال : « المغبون لا محمود ولا مأجور » (٣) .

٨ ـ روى ( ع ) عن أبيه قال : قال رسول الله ( ص ) : « رأس العقل بعد الايمان بالله عز وجل التحبب الى الناس » (٤) .

٩ ـ روى عن أبيه قال : قال رسول الله ( ص ) : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن حبنا أهل البيت » (٥) .

مسنده :

الف هذا المسند أبو بشير محمد بن أحمد الدولابي المتوفى سنة ( ٣٢٠ هـ ) وقد أدرجه في غضون كتابه « الذرية الطاهرة » (٦) ، وهذه بعض بنوده :

---

(١) سكنها: بفتح السين والكاف، غياث أهلها الذين تسكن أنفسهم اليه .

(٢) عيون الأخبار ٢ / ٢٧٣ .

(٣) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣١٢ .

(٤) الخصال ( ص١٧ ) .

(٥) الخصال ( ص٢٣ ) .

(٦) من مخطوطات المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة في تونس توجد منه نسخة مصورة في مكتبة الامام أمير المؤمنين استنسخها العلامة السيد عزيز الطباطبائي اليزدي .

١ – روى علي بن الحسين عن أبيه أن رسول الله (ص) قال : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه . . » .

٢ – قال الحسين (ع) : وجدت في قائم سيف رسول الله (ص) صحيفة مربوطة وهي : « أشد الناس على الله عذاباً القاتل غير قاتله ، والضارب غير ضاربه . ومن جحد نعمة مواليه فقد برىء مما أنزل الله عز وجل

٣ – روى الحسين (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « إن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي » .

٤ – روى الحسين عن أبيه عن جده قال (ص) : « يكون بعدي ثلاث فرق ، مرجئة ، وحرورية ، وقدرية ، فان مرضوا فلا تعودوهم ، وان ماتوا فلا تشهدوهم ، وان دعوا فلا تجيبوهم » .

٥ – روى (ع) عن جده (ص) أنه قال : « ما من عبد أو أمة يضن بنفقة ينفقها فيما يرضي الله إلا أنفق أضعافها في سخط الله ، وما من عبد يدع معونة أخيه المسلم ، والسعي في حاجته ، قُضيت تلك الحاجة ، أو لم تقض إلا ابتلي بمعونة من يأثم فيه ، ولا يؤجر عليه ، وما من عبد ولا أمة يدع الحج وهو يجد السبيل اليه لحاجة من حوائج الدنيا إلا نظر الى المحلقين قبل أن يقضي الله تلك الحاجة .

٦ – روى يحي بن سعيد قال : كنت عند علي بن الحسين فجاءه نفر من الكوفيين فقال علي بن الحسين : يا أهل العراق ، أحبونا حب الاسلام فاني سمعت أبي يقول : قال رسول الله (ص) :

« يا أيها الناس ، لا ترفعوني فوق حقي فان الله عز وجل قد اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً » .

٧ – روت فاطمة بنت الحسين عن أبيها وعبد الله بن عباس أن رسول الله (ص) كان يقول :

« لا تديموا النظر الى المجذومين ، من كلمهم منكم فليكن بينه وبينكم قيد رمح . . . » .

٨ — روت فاطمة بنت الحسين ( ع ) عن أبيها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ان الله يحب معالي الأخلاق وأشرافها ، ويكره سفاسفها . . » .

٩ — روت فاطمة بنت الحسين عن أبيها أن رسول الله ( ص ) قال : « لا تديموا النظر الى المجذومين » .

١٠ — روت فاطمة بنت الحسين عن أبيها قال : كان رأس رسول الله صلى الله عليه وآله في حجر علي ، وكان يوحى اليه ، فلما سرى عنه — أي الوحي — قال : يا علي صليت العصر ؟ قال : لا ، قال : اللهم انك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة رسولك فردها عليه فردها عليه ، فصلى وغابت الشمس .

١١ — روت فاطمة عن أبيها أن النبي ( ص ) قال : « للسائل حق وان جاء على فرس » .

١٢ — روت فاطمة بنت الحسين عن أبيها قال : قال رسول الله (ص): « من اصيب بمصيبة فذكرها وان تقادم عهدها فأحدث لها استرجاعاً احدث الله له ثواب ما وعده حين اصيب بها . . » .

١٣ — روت فاطمة بنت الحسين ( ع ) عن أبيها ، قال : قال رسول الله ( ص ) : « لما اخذ الله ميثاق العباد جُعل في ( الحجر ) فمن الوفاء بالبيعة استلام الحجر » .

١٤ — روى عبد الله بن سليمان بن نافع مولى بني هاشم ، عن الحسين ابن علي قال : قال رسول الله ( ص ) : « يا بني هاشم أطيبوا الكلام ، واطعموا الطعام » .

١٥ ـ روى أبو سعيد الميثمي قال : سمعت الحسين بن علي يقول : قال رسول الله ( ص ) : « من لبس ثوب شهرة كساه الله ثوب نار ». 

هذه بعض بنود مسند الامام الحسين (ع ) وهي حافلة بآداب السلوك وتهذيب الأخلاق التي لا غني للناس عنها .

## رواياته عن امه فاطمة ( ع ) :

وروى ( ع ) عن أمه سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ( ع ) من الأحاديث ما يلي :

١ – روى محمد بن علي بن الحسين قال . خرجت أمشي مع جدي الحسين ابن علي الى أرضه فادركنا النعمان بن بشير على بغلة له فنزل عنها وقال للحسين : اركب أبا عبد الله ، فأبى فلم يزل يقسم عليه ، حتى قال : أما انك قد كلفتني ما اكره ، ولكن احدثك حديثاً حدثتنيه امي فاطمة ان رسول الله ( ص ) قال : « الرجل أحق بصدر دابته وفراشه ، والصلاة في بيته الا إماما لجمع من الناس ، فاركب أنت على صدر الدابة ، وسارت تدف ، فقال النعمان : صدقت فاطمة . . . » .

٢ – روت فاطمة بنت الحسين عن أبيها عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت : قال رسول الله ( ص ) : « لا يلومن إلا نفسه من بات وفي يده غمر . . (١) . » (٢) .

---

(١) الغمر : – بالتحريك – الدسم والزهومة من اللحم .

(٢) الذرية الطاهرة ، مسند الفردوس ج١ ٤١ .

## رواياته عن أبيه :

وروى الامام الحسين عن أبيه الامام أمير المؤمنين (ع) الشيء الكثير سواء أكان مما يتعلق بالسيرة النبوية أم في الأحكام الشرعية وهذه بعضها :

١ - روى (ع) عن أبيه (ع) أن رسول الله (ص) بعث سرية فأسروا رجلاً من بني سليم يقال له الأصيد بن سلمة فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله رق لحاله ، وعرض عليه الاسلام فأسلم فبلغ ذلك أباه وكان شيخاً فكتب اليه رسالة فيها هذه الأبيات :

من راكب نحو المدينـة سالماً حتى يبلـغ ما أقول الاصيـدا
ان البنين شرارهـم أمثالهـم من عق والـده وبرّ الأبعدا
أتركت دين أبيك والشم العلى أودوا وتابعت الغداة محمـدا

وعرض الاصيد رسالة أبيه على النبي (ص) واستأذنه في جوابه فأذن له فكتب اليه :

إن الذي سمك السماء بقدرة حتى علا في ملكه فتوحدا
بعث الذي لا مثله فيما مضى يدعو لرحمته النبي محمـدا
فدعا العبـاد لدينه فتتابعوا طوعاً وكرهاً مقبلين على الهدى
وتخوفوا النار التي من أجلها كان الشقي الخاسر المتلـددا
واعـلم بانك ميت ومحاسب فالى من هذي الضلالة والردى

ولما قرأ سلمة رسالة ابنه وفد على النبي (ص) وأسلم (١) .

٢ - قال (ع) سألت أبي عن سيرة رسول الله (ص) في جلسائه

---

(١) أسد الغابة ١ / ١٠٠ .

فقال : كان رسول الله دائم البشر ، سهل الخُلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مُشاح ، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه ، ولا يخيب فيه ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والاكبار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحداً ولا يعيبه ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، واذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فاذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم عنده أنصتوا اليه ، حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى ان كأن اصحابه ليستجلبونهم ، ويقول : اذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه ، ولا يقبل الثناء الا من مكافيء ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجور (١) فيقطعه بنهي أو قيام . . » (٢) .

وقد امتاز النبي (ص) على عامة النبيين بهذه الأخلاق العالية التي الفت ما بين قلوب المسلمين ، ووحدت ما بين مشاعرهم وعواطفهم ، وجعلتهم في عصورهم الأولى سادة الأمم والأدلاء على مرضاة الله وطاعته

٣ — روى (ع) عن أبيه قال : قال رسول الله (ص) : « من قتل دون ماله فهو شهيد » (٣) .

٤ — روى عليه السلام عن أبيه قال : قال رسول الله (ص) : « عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء ، كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار » (٤) .

---

(١) يجور : أي يميل عن الحق .

(٢) الحسين ١ / ١٣٧ — ١٣٨ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل .

(٤) الأربعين (ص١١١) لبهاء الدين العاملي .

٥ ـ قال ( ع ) : سمعت أبي يقول : « الإيمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالأركان . . » (١) .

٦ ـ روى ( ع ) عن ابيه انه قال : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم أشراركم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم . . . » (٢) .

٧ ـ روى عن ابيه انه قال : « إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة : أخفى رضاه في طاعته ، فلا تستصغرن شيئاً من طاعته فربما وافق رضاه ، وأنت لا تعلم وأخفى سخطه فلا تستصغرن شيئاً من طاعته فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم ، وأخفى اجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئاً من دعائه فربما وافق اجابته وانت لا تعلم ، وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبداً من عبيد الله فربما يكون وليه وانت لا تعلم .» (٣)

٨ ـ روى ( ع ) عن ابيه انه قال : قال رسول الله ( ص ) : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحرث ، ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير . . » (٤) .

٩ ـ روى ( ع ) عن ابيه انه قال : قال رسول الله ( ص ) : « خير الدعاء الاستغفار ، وخير العبادة قول لا إله إلا الله . . » (٥) .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض رواياته عن جده وأبويه .

---

(١) الحسين ١ / ١٤٠ .

(٢) مسند الامام زيد ( ص ١٨٥ ) .

(٣) الخصال ( ص١٩١ ) .

(٤) مسند الفردوس من مصورات مكتبة الامام الحكيم تأليف شهردار ابن شيروية الشافعي المتوفى سنة ( ٥٥٨ هـ ) .

(٥) مسند الفردوس ٣٧ / ٢٧ .

## من تراثه الرائع :

للامام ( ع ) تراث رائع خاض في جملـــة منه مجموعة من البحوث الفلسفية والمسائل الكلامية التي مُنيت بالغموض والتعقيد ، فأوضحها وبيّن وجهة الاسلام فيها ، كما خاض في كثير من كلماته أصول الأخلاق وقواعد الآداب ، واسس الاصلاح الاجتماعي والفردي ، ونعرض فيما يلي لبعض ما اُثر عنه :

## القدر :

من أهم المسائل الكلامية وأعمقها مسألة القدر فقد اثير حولها الكلام منذ فجر التاريخ الاسلامي ، وقد تصدى أئمة أهل البيت ( ع ) لبيانها ودفع الشبهات عنها ، وقد سأل الحسن بن الحسن البصري الامام الحسين عنها ، فأجابه ( ع ) برسالة هذا نصها :

« اتبع ما شرحت لك في القدر مما افضى الينا اهل البيت ، فإنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره كفر ، ومن حمل المعاصي على الله عزوجل فقد افترى على الله افتراءً عظيماً ، وان الله لا يطاع بإكراه ، ولا يعصى بغلبة ، ولا يهمل العباد في الهلكة ، لكنه المالك لما ملكهم ، والقادر لما عليه أقدرهم ، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله صادراً عنها مبطئاً ، وان ائتمروا بالمعصية فشاء ان يمن عليهم فيحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل فليس هو حملهم عليها قسراً ، ولا كلفهم جبراً ، بل بتمكينه إياهم بعد اعذاره وانذاره لهم

واحتجاجه عليهم طوقهم ومكنهم وجعل لهم السبيل الى ما اخذ ما إليه دعاهم ، وترك ما عنه نهاهم عنه ، جعلهم مستطيعين لأخذ ما امرهم به من شيء غير آخذ به ، ولترك ما نهاهم عنه من شيء غير تاركيه ، والحمد لله الذي جعل عباده أقوياء لما امرهم به ينالون بتلك القوة ، وما نهاهم عنه ، وجعل العذر لمن لم يجعل له السبيل حمداً متقبلاً ، فأنا على ذلك اذهب ، وبه اقول انا واصحابي ايضاً عليه وله الحمد . . » (١) .

وقد عرض هذا الكلام الشريف الى بحوث كلامية مهمة . والتعرض لها يستدعي الاطالة والخروج عن الموضوع .

## الصمد :

كتب اليه جماعة يسألونه عن معنى الصمد في قوله تعالى : « الله الصمد » فكتب ( ع ) لهم بعد البسملة :

« أما بعد : فلا تخوضوا في القرآن ، ولا تجادلوا فيه ، ولا تتكلموا فيه بغير علم ، فقد سمعت جدي رسول الله ( ص ) يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ، وان الله سبحانه قد فسر الصمد فقال ( الله أحد الله الصمد ) ثم فسره فقال : « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ) ( لم يلد ) لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ، ولا شيء لطيف كالنفس ، ولا يتشعب منه البدوات كالسنة والنوم ، والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء ، والرغبة والسأمة والجوع والشبع ، تعالى عن أن يخرج منه شيء ، وان يتولد منه شيء كثيف أو لطيف « ولم يولد » :

(١) فقه الرضا ( ص٥٥ ) بحار الأنوار ٥ / ١٢٣ .

لم يتولد منه شيء ، ولم يخرج منه شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها والدابة من الدابة ، والنبات من الأرض ، والماء من الينابيع والثمار من الأشجار ، ولا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الاذن ، والشم من الأنف ، والذوق من الفم ، والكلام من اللسان ، والمعرفة والتميز من القلب ، وكالنار من الحجر ، لا بل هو الله الصمد الذي لا شيء ، ولا في شيء ، ولا على شيء ، مبدع الأشياء وخالقها ومنشيء الأشياء بقدرته ، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، ولم يكن له كفواً احد . . » (١) .

## التوحيد :

وعرض الامام الحسين ( ع ) في كثير من كلامه الى توحيد الله فبين حقيقته وجوهره ، وفند شُبَه الملحدين وأوهامهم ، ونعرض فيما يلي لبعض ما أُثر عنه :

١ - قال ( ع ) : « ايها الناس اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم يضاهون قول الذين كفروا من أهل الكتاب ، بل هو الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، استخلص الوحدانية والجبروت ، وامضى المشيئة والارادة والقدرة والعلم بما هو كائن ، لا منازع له في شيء من امره ، ولا كفو له يعادله ، ولا ضدّ له ينازعه ولا سمي له يشابهه ، ولا مثل له يشاركه ، لا تتداوله الأمور ولا تجري عليه الأحوال ، ولا تنزل عليه

(١) معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة ٢ / ٤٨ - ٤٩ .

الأحداث ، ولا يقدر الواصفون كنه عظمته ، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته ، لأنه ليس له في الأشياء عديل ، ولا تدركه العلماء بألبابها ، ولا أهل التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق ، ايقاناً بالغيب لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين ، وهو الواحد الصمد ، ما تصور في الأوهام فهو خلافه ، ليس برب من طرح تحت البلاغ ، ومعبود من وجـد في هواء أو غير هواء ، هو في الأشياء كائن ، لا كينونة محظور بها عليه ، ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها ، ليس بقادر من قارنه ضد أو ساواه ند ، ليس عن الد هر قدمه ، ولا بالناحية امه ، احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وعمن في السماء احتجابه كمن في الأرض ، قر به كرامته ، وبعده اهانته ، لا يحله في ، ولا توقته إذ ، ولا تؤامره إن علو من غير توقل ، ومجيئه من غير تنقل ، يوجد المفقود ، ويفقد الموجود ولا تجتمع لغيره الصفتان في وقت ، يصيب الفكر .نه الايمان به موجوداً ووجود الايمان لا وجود صفة ، به توصف الصفات لا بها يوصف ، وبه تعرف المعارف لا بها يعرف ، فذلك الله لا سمي له ، سبحانه ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير . . » (١) .

وحذر الامام ( ع ) من تشبيه الخالق العظيم بعباده او بسائر الممكنات التي يلاحقها العدم ، ويطاردها الفناء .

ان الانسان مهما اُوتي من طاقات فهي محدودة كماً وكيفاً ، ويستحيل ان يصل الى ادراك حقيقة المبدع العظيم الذي خلق هذه الأكوان وخلق هذه المجرات التي تذهل العقول تصورها ، وما بنيت عليه من الأنظمة الدقيقة المذهلة . . إن الانسان قد عجز عن معرفة نفسه التي انطوت على هـذه

---

(١) تحف العقول ( ص٢٤٤ ) .

الأجهزة العميقة كجهاز البصر والسمع والاحساس وغيرها فكيف يصل الى ادراك خالقه ؟ !

وعلى اي حال فقد اوضحت هذه اللوحة الرائعة كثيراً من شؤون التوحيد ، ودللت على كيفيته ، وهي من أثمن ما أُثر من ائمة اهل البيت عليهم السلام في هذا المجال .

٢ – يقول المؤرخون ان حبر الامة عبد الله بن عباس كان يحدث الناس في مسجد رسول الله (ص) فقام اليه نافع الأزرق فقال له : تفتي الناس في النملة والقملة صف لي إلهك الذي تعبد ، فاطرق اعظاماً لقوله ، وكان الامام الحسين (ع) جالساً فانبرى قائلاً :

– إلي يابن الأزرق ؟

– لست اياك .

فثار ابن عباس ، وقال له :

« إنه من بيت النبوة ، وهم ورثة العلم . . » .

فاقبل نافع نحو الحسين فقال (ع) له :

« يا نافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في التباس سائلاً ناكباً عن المنهاج ، ظاعناً بالاعوجاج ، ضالاً عن السبيل ، قائلاً غير الجميل اصف لك إلهي ، بما وصف به نفسه ، واعرفه بما عرف به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس قريب غير ملتصق بعيد غير منتقص يوحد ولا يبعض معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال . . » (١) .

فحار الأزرق ، ولم يطق جواباً ، فقد ملكت الحيرة أهابه ، وسد عليه الامام كل نافذة ينفذ منها ، وبهر جميع من سمعوا مقالة الامام ، وراحوا

(١) الكواكب الدرية ١ / ٥٨ .

يرددون كلام ابن عباس ان الحسين من بيت النبوة وهم ورثة العلم .

## الأمر بالمعروف :

وجه الامام ( ع ) هذه الكلمة النيرة إلى الأنصار والمهاجرين ، ونعى عليهم تسامحهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين بني عليهما المجتمع الاسلامي ، كما عرض إلى المظالم الاجتماعية التي مُنيت بها الأمة ، والتي كانت ناجمة عن تقصيرها في اقامة هذا الواجب الخطير ، وهذا نصها :

« اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار إذ يقول : « لو لا ينهيهم الربانيون والأحبار عن قولهم الأثم » (١) وقال : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل — إلى قوله — لبئس ما كانوا يفعلون » (٢) وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ، ورهبة مما يحذرون ، والله يقول : « فلا تخشوا الناس واخشون » (٣) . وقال : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (٤) فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها ، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها . . . ثم

---

(١) سورة المائدة : آية ٦٣ .

(٢) سورة المائدة : آية ٧٨ .

(٣) سورة المائدة : آية ٤٤ .

(٤) سورة التوبة : آية ٧١ .

أنتم أيتها العصابة عصابة بالعلم مشهورة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وبالله في أنفس الناس مهابة . يهابكم الشريف ، ويكرمكم الضعيف ، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ، ولا يد لكم عنده ، تشفعون في الحوائج اذا امتنعت من طلابها ، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الأكابر ، أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله ، وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون ، فاستخففتم بحق الأئمة ، فأما حق الضعفاء فضيعتم ، وأما حقكم بزعمكم فطلبتم ، فلا مالاً بذلتموه ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله ، أنتم تتمنون على الله جنته ، ومجاورة رسله ، وأمانا من عذابه ، لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نقماته لأنكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بهـــا ، ومن يعرف بالله لا تكرمون ، وأنتم بالله في عباده تكرمون وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون ، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون ، وذمة رسول الله صلى الله عليه وآله محقورة ، والعمى والبكم والزمن في المدائن مهملة لا ترحمون ، ولا في منزلتكم تعملون ، ولا من عمل فيها تعينون ، وبالأدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون ، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسعون ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه فأنتم المسلوبون تلك المنزلة وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة ولو صبرتم على الأذى ، وتحملـــتم المؤونة في ذات الله ، كانت أمور الله عليكم ترد ، وعنكم تصدر ، وإليكم ترجع ، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم ، واستسلمتم أمور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات ، سلطهم على ذلك فراركم من الموت واعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم ، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم فمن

بين مستعبد مقهور ، وبين مستضعف على معيشتـــه ، مغلوب يتقلبون في الملك بآرائهم ، ويستشعرون الخزي بأهوائهم اقتداءآ بالأشرار ، وجرأة على على الجبار ، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع ، فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة ، والناس لهم خول ، لا يدفعون يد لامس ، فمن بين جبار عنيد ، وذي سطوة على الضعفة شديد ، مطاع لا يعرف المبدىء المعيد ، فياعجبا ! : وما لي لا أعجب والأرض من غاش غشوم ، ومتصدق ظلوم ، وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم ، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا ، القاضي بحكمه فيما شجر بيننا . . » (١) .

وحفلت هـــذه الوثيقة السياسية بذكر الأسباب التي أدت الى تردي الأخلاق وشيوع المنكر في البلاد الناجمة من عدم قيام المهاجرين والأنصار بمسؤولياتهم وواجباتهم الدينية والاجتماعية ، فقد كانت لهم المكانة المرموقة في المجتمع الاسلامي لأنهم صحابة النبي (ص) وحضنة الاسلام ويمكنهم أن يقولوا : كلمة الحق ، ويناهضوا الباطل إلا انهم تقاعسوا عن واجباتهم مما أدى الى أن تتحكم في رقاب المسلمين الطغمة الحاكمة من بني امية الذين اتخذوا عباد الله خولا ، ومال الله دولا .

## أنواع الجهاد :

وسئل الامام أبو عبد الله (ع) عن الجهاد هل هو سنة أو فريضة فأجاب (ع) :

« الجهاد على أربعة أوجه : فجهادان فرض ، وجهاد سنة لا يقام إلا مع فرض ، وجهاد سنة ، فأما أحد الفرضين فجهاد الرجل نفسه عن

(١) تحف العقول ( ص٢٣٧ — ٢٣٩ ) .

معاصي الله ، وهو من أعظم الجهاد ، ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض ، وأما الجهاد الذي هو سنة لا يقام إلا مع فرض فان مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة لو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب ، وهذا هو من عذاب الأمة ، وهو سنة على الامام وحده أن يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم ، وأما الجهاد الذي هو سنة فكل سنة أقامها الرجل وجاهد في اقامتها ، وبلوغها واحيائها فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال لأنها احياء سنة ، وقد قال رسول الله ( ص ) : « من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من اجورهم شيئاً . . . » (١) .

## تشريع الصوم :

سئل الامام الحسين ( ع ) عن الحكمة في تشريع الصوم على العباد فقال ( ع ) : « ليجد الغني مس الجوع فيعود بالفضل على المساكين » (٢).

## انواع العبادة :

وتحدث ( ع ) عن أنواع العبادة فقال : « إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار ، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار ، وهي أفضل العبادة » (٣) .

---

(١) تحف العقول ( ص٢٤٣ ) .
(٢) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٥٦ .
(٣) بحار الأنوار ، تحف العقول ( ص٢٤٦ ) .

وتحدث ( ع ) عمن عبد الله حق عبادته فقال : « من عبد الله حق عبادته أتاه الله فوق أمانيه وكفايته » (١) .

## مودّة أهل البيت :

وحث الامام الحسين على مودة أهل البيت ( ع ) يقول أبو سعيد : سمعت الحسين يقول :

« من أحبنا نفعه الله بحبنا ، وإن كان أسيراً في الديلم ، وإن حبنا ليساقط الذنوب كما تساقط الريح الورق . . » (٢) .

قال ( ع ) : « الزموا مودتنا أهل البيت فان من لقي الله وهو يودنا دخل في شفاعتنا » .

روى بشير بن غالب أن الامام الحسين ( ع ) قال : « من أحبنا لله وردنا نحن وهو على نبينا ( ص ) هكذا - وضم اصبعيه - ومن أحبنا للدنيا فان الدنيا تسع البر والفاجر . » (٣) .

وحدث ( ع ) عما يكتسبه من أتى إليهم من الفوائد قال : « من أتانا لم يعدم خصلة من أربع : آية محكمة ، وقضية عادلة ، وأخاً مستفاداً ، ومجالسة العلماء . . » (٤) .

---

(١) تفسير العسكري .

(٢) مناقب ابن المغازلي : رقم الحديث ٣٨٨ ، من مخطوطات مكتبة الامام امير المؤمنين ( ع )

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٥٦ .

(٤) كشف الغمة .

## مكارم الأخلاق :

ورسم الامام (ع) لأهل بيته وأصحابه مكارم الأخلاق ، ومحاسن الصفات وأمرهم بالتحلي بها ليكونوا قدوة لغيرهم ، وفيما يلي بعضها .

١ ـ قال (ع) : « الحلم زينة ، والوفاء مروءة ، والصلة نعمة ، والاستكثار صلف ، والعجلة سفه ، والسفه ضعف ، والغلو ورطة ، ومجالسة أهل الدناءة شر ، ومجالسة أهل الفسوق ريبة . . » (١) .

٢ ـ قال (ع) : « الصدق عز ، والكذب عجز ، والسر أمانة ، والجوار قرابة ، والمعونة صدقة ، والعمل تجربة ، والخلق الحسن عبادة ، والصمت زين ، والشح فقر ، والسخاء غنى ، والرفق لب . . » (٢) .

٣ ـ قال (ع) : « أيها الناس ، من جاد ساد ، ومن بخل رذل وان أجود الناس من أعطى من لا يرجوه . . » (٣) .

٤ ـ قال (ع) : « من جاد ساد ، ومن بخل رذل ، ومن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً . . » (٤) .

٥ ـ قال (ع) : « اعلموا ان حوائج الناس إليكم من نعم الله عز وجل عليكم ، فلا تملوا النعم فتعود النقم . . » (٥)

٦ ـ رأى الامام (ع) رجلاً قد دُعي الى طعام فامتنع من الاجابة

---

(١) نور الأبصار ( ص١٦٦ ) .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٩ .

(٣) نهاية الأرب ٣ / ٢٠٥ .

(٤) نهاية الأرب ٣ / ٢٠٥ .

(٥) طبقات الشعراني ١ / ٢٣ ، مختصر صفوة الصفوة ( ص٦٢ ) .

فقال ( ع ) له : « قم فليس في الدعوة عفو ، وإن كنت مفطراً فكل ، وان كنت صائماً فبارك . . » (١) .

٧ - قال ( ع ) : « صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك ، فاكرم وجهك عن رده . . » (٢) .

٨ - كان ( ع ) دوماً ينشد هذه الأبيات الداعية الى حسن الخلق ، وعدم العناء في طلب الدنيا ، ويزعم بعض الرواة انها من نظمه وهي :

لئن كانت الأفعال يوماً لأهلها ... كمالاً فحسن الخلق أبهى وأكمل
وإن كانت الأرزاق رزقاً مقدراً ... فقلة جهد المرء في الكسب أجمل
وإن كانت الدنيا تُعد نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن كانت الأبدان للموت أنشأت ... فقتل امرء بالسيف في الله أفضل
وإن كانت الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل (٣)

وألمت هذه الأبيات برغبة الامام بالشهادة في سبيل الله ، كما حكت عن طبيعة كرمه وسخائه .

٩ - قال ( ع ) : « لا تتكلف ما لا تطيق ، ولا تتعرض لما لا تدرك ، ولا تعد بما لا تقدر عليه ، ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ، ولا تفرح الا بما نلت من طاعة الله ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلاً له . . » (٤) .

١٠ - قال ( ع ) : لابن عباس : « لا تتكلمن فيما لا يعنيك فاني أخاف عليك الوزر ، ولا تتكلمن فيما لا يعنيك حتى ترى للكلام موضعاً

---

(١) دعائم الاسلام ٢ / ١٠٥ .
(٢) نور الأبصار ( ص١٦٦ ) ، كشف الغمة ٢ / ٢٤٤ .
(٣) مختصر صفة الصفوة ( ص٦٢ ) ، الأنوار البهية ( ص٤٦ ) .
(٤) أسرار الحكماء ( ص٩٠ ) لياقوت المستعصمي .

فرب متكلم قد تكلم بالحق فعيب ، ولا تمـارين حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يقلبك ، والسفيه يؤذيك ، ولا تقولن في أخيك المؤمن إذا توارى عنك إلا ما تحب أن يقول فيك إذا تواريت عنه ، واعمل عمل رجل يعلم أنه مأخوذ بالاجرام مجزي بالاحسان . . » (١) .

وهذه الكلمات الذهبية هي بعض ما اثر عنه في مكارم الأخلاق ، ومحاسن الصفات التي يكسب بهـا الانسان المنهج السليم ، وحسن السلوك وسلامة الدارين .

## تشريع الأذان :

وزعم بعض المعاصرين للامام أن الـذي شرع الأذان عبـد الله ابن زيد لرؤيا رآها ، فأخبر بها النبي ( ص ) فأمر ( ص ) به ، فأنكر الامام ( ع ) ذلك وقال :

« الوحي يتنزل على نبيكم ، وتزعمون انه أخذ الأذان عن عبد الله ابن زيد والأذان وجه دينكم . . » (٢) .

## الاخوان :

قال ( ع ) : « الاخوان أربعة : فأخ لك وله ، وأخ عليك ، وأخ لا لك ولا له . . » .

وأوضح ( ع ) ذلك بقوله :

(١) البحار .

(٢) دعائم الاسلام ١ / ١٧٢ .

« الأخ الذي هو لك وله فهو الأخ الذي يطلب بإخائه بقاء الاخاء ولا يطلب بإخائه موت الاخاء فهذا لك وله ، لأنه إذا تم الاخاء طابت حياتهما جميعاً ، وإذا دخل الاخاء في حال التناقض بطلا جميعاً ، والأخ الذي لك فهو الأخ الذي قد خرج بنفسه عن حال الطمع إلى حال الرغبة فلم يطمع في الدنيا إذا رغب في الاخاء فهو موفور عليك بكليته ، والأخ الذي هو عليك فهو الأخ الذي يتربص بك الدوائر ، ويغشى السرائر ، ويكذب عليك بين العشائر ، وينظر في وجهك نظر الحاسد فعليه لعنة الواحد ، والأخ الذي لك ولا له فهو الذي قد ملأه الله حمقاً فأبعده سحقاً فتراه يؤثر نفسه عليك ، ويطلب شح ما لديك . . » (١) .

## العلم والتجارب :

قال ( ع ) : « دراسة العلم لقاح المعرفة ، وطول التجارب زيادة في العقل ، والشرف والتقوى والقنوع راحة الأبدان ، ومن حبك نهاك ، ومن أبغضك أغراك . . » (٢) .

## حقيقة الصدقة :

وتصدق رجل من بني امية بأموال كثيرة ، ولم تكن تلك الأموال من حلال ، وإنما كانت من حرام ، فقال الامام (ع ) :
« مثله مثل الذي سرق الحاج ، وتصدق بما سرق ، إنما الصدقة

(١) البحار .
(٢) البحار .

صدقة من عرق فيها جبينه ، وأغبر فيها وجهه . . . » (١)

## الوعظ والارشاد :

وعنى الامام الحسين (ع) بوعظ الناس وارشادهم كما عنى أبوه من قبله ، مستهدفين من ذلك تنمية القوى الخيرة في النفوس ، وتوجيه الناس نحو الحق والخير وإبعادهم عن نزعات الشر من الاعتداء والغرور والطيش وغير ذلك ، ونعرض فيما يلي لبعض ما أثر عنه :

١ ـ قال (ع) : « أوصيكم بتقوى الله ، وأحذركم أيامه ، وأرفع لكم أعلامه ، فكأن المخوف قد أفل بمهول وروده ، ونكير حلوله ، وبشع مذاقه ، فاغتلق مهجكم ، وحال بين العمل وبينكم ، فبادروا بصحة الأجسام ومدة الأعمار ، كأنكم نبعات طوارقه فتنقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها ، ومن علوها إلى سفلها ، ومن أنسها إلى وحشتها ، ومن روحها وضوئها إلى ظلمتها ، ومن سعتها إلى ضيقها حيث لا يزار حميم ، ولا يعاد سقيم ، ولا يجاب صريخ ، أعاننا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم ، ونجانا وإياكم من عقابه وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابه .

عباد الله : فلو كان ذلك قصر مرماكم ، ومدى مضعنكم ، كان حسب العامل شغلا يستفرغ عليه أحزانه ، ويذهله عن دنياه ، ويكثر نصبه لطلب الخلاص منه ، فكيف وهو بعد ذلك مرتهن باكتسابه مستوقف على حسابه ، لا وزير له يمنعه ، ولا ظهير عنه يدفعه ويومئذ « لا ينفع نفساً

---

(١) دعائم الاسلام ١ / ٢٩٢ .

إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون » (١) .

أوصيكم بتقوى الله فان الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره إلى ما يحب ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، فإياك أن تكون ممن يخاف على العباد بذنوبهم ، ويأمن العقوبة من ذنبه ، فان الله تبارك وتعالى لايخدع عن جنته ، ولا ينال ما عنده إلا بطاعته إن شاء الله (٢) .

وحفل هذا الكلام بما يقرب الناس إلى الله ، وبما يبعدهم عن معاصيه ويجنبهم عن دواعي الهوى ونزعات الشرور .

٢ — كتب إليه رجل يطلب منه أن يعظه بحرفين أي يوجز القول فكتب ( ع ) له : « من حاول أمراً بمعصية الله تعالى كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجيء ما يحذر . . » (٣) .

٣ — قال ( ع ) : « عباد الله اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر فإن الدنيا لو بقيت لأحد أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضاء ، وأرضى بالقضاء ، غير أن الله خلق الدنيا للبلاء وخلق أهلها للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر والمنزل بلغة ، والدار قلعة ، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى . . » (٤) .

٤ — كتب إليه رجل يسأله عن خير الدنيا والآخرة فأجابه ( ع ) :

« أما بعد : فإن من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٥٨ .

(٢) الأنوار البهية ( ص٤٥ ) .

(٣) أصول الكافي ٢ / ٢٧٣ .

(٤) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٣ .

الناس ، ومن طلب رضا الناس بسخط الله ، وكله الله إلى الناس والسلام . »(١).

٥ – قال ( ع ) : « إن جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الأرض ومغاربها ، بحرها وبرها ، سهلها وجبلها عند ولي من أولياء الله وأهل المعرفة بحق الله كفيء الظلال . . . » (٢) .

وأضاف يقول :

« ألا حر يدع هذه اللماظة – يعني الدنيا – لأهلها ، ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها ، فانه من رضى الله بالدنيـــا فقد رضي بالخسيس . . . » .

٦ – قال له رجل : كيف أصبحت يابن رسول الله (ص) ؟ فقال عليه السلام : « أصبحت ولي رب فوقي ، والنار أمامي ، والموت يطلبني والحساب محدق بي ، وأنا مرتهن بعملي ، لا أجد ما أحب ، ولا أدفـــع ما اكره ، والأمور بيد غيري ، فان شاء عذبني ، وإن شاء عفا عني ، فأي فقير أفقر مني ؟ » (٣) .

٧ – قال ( ع ) : « يابن آدم تفكر ، وقل : أين ملوك الدنيا وأربابها الذين عمروا خرابها واحتفروا أنهارها ، وغرسوا أشجارها ، ومدنوا مدائنها ، فارقوها وهم كارهون ، وورثها قوم آخرون ، ونحن بهم عما قليل لاحقون .

يابن آدم اذكر مصرعك ، وفي قبرك مضجعك بين يدي الله ، تشهد جوارحك عليك يوم تزول فيه الأقدام ، وتبلغ القلوب الحناجر ، وتبيض وجوه ، وتبدو السرائر ، ويوضع الميزان القسط .

---

(١) مجالس الصدوق ( ص١٢١ ) .
(٢) البحار .
(٣) البحار .

يابن آدم اذكر مصارع آبائك ، وأبنائك ، كيف كانوا ، وحيث حلوا ، وكأنك عن قليل قد حللت محلهم ، وصرت عبرة المعتبر . . ثم أنشد هذه الأبيات :

أين الملوك التي عن حفظها غفلت — حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
تلك المدائن في الآفاق خاليـــة — عادت خراباً وذاق الموت بانيها
أموالنـــا لذوي الوراث نجمعها — ودورنا لخراب الدهر نبنيها (١)

هذه بعض ما أثر عنه من المواعظ الهادفة إلى اصلاح النفوس وتهذيبها وأبعادها عن نزعات الهوى والشرور .

## من خطبه :

وللامام ( ع ) مجموعة كبيرة من الخطب الرائعة التي تجسدت فيها صلابة الحق ، وقوة العزم ، وروعة التصميم على الجهاد في سبيل الله ، وقد ألقاها الامام في وقت كان الجو ملبداً بالمشاكل السياسية ، وقد شجب فيها سياسة الحكم الأموي ودعا المسلمين الى الانتفاضة عليه ، وسنذكر جملة منها في مواضعها الخاصة ، ونذكر هنا خطبة واحدة منها :

صعد ( ع ) المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي ( ص ) فسمع رجلاً يقول : من هذا الذي يخطب ؟ فأجابه ( ع ) :

« نحن حزب الله الغالبون ، وعترة رسول الله ( ص ) الأقربون ، وأهل بيتـــه الطيبون وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله ( ص ) ثاني كتاب الله تبارك وتعالى ، الذي فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، والمعول علينا في تفسيره ، ولا يبطئنا تأويله ،

(١) الارشاد للديلمي .

بل نتبع حقائقه ، فأطيعونا فان طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة ، قال الله عز وجل : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول » وقال : « ولو ردوه إلى الرسول وأولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لأتبعتم الشيطان إلا قليلاً » واحذركم الاصغاء إلى هتاف الشيطان بكم فإنه لكم عدو مبين ، فتكونوا كاوليائه الذين قال لهم : « لا غالب لكم اليوم من الناس وأني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال : « إني برىء منكم » فتلقون للسيوف ضرباً ، وللرماح ورداً ، وللعمد حطماً ، وللسهام غرضاً ، ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً . . . » (١) .

وحفل هذا الخطاب بالدعوة إلى التمسك بعترة رسول الله (ص) ولزوم طاعتهم والانقياد لهم ، وحذرهم من الدعايات المضللة التي ثبتها أجهزة الاعلام الأموي الداعية إلى إبعاد الناس عن أهل البيت (ع) الذين هم مصدر الوعي والنور في الأرض .

## أدعيته :

وحفلت الأدعيـة التي أثرت عن الحسين (ع) بالدروس التربوية الهادفة إلى بناء صروح العقيدة والايمان بالله ، وتنمية الخوف والرهبة من الله في أعماق نفوس الناس لتصدهم عن الاعتداء وتمنعهم عن الظلم والطغيان ، وقد كان اهتمام أهل البيت (ع) بهذه الجهة اهتماماً بالغاً . . . ولم يؤثر عن أحد من أئمة المسلمين وخيارهم من الأدعية مثل ما أثر عنهم ، وأنها

(١) البحار ٩ / ٢٤٧ .

لتعد من أروع الثروات الفكرية ، والأدبية في الاسلام ، فقد حوت أصول الأخلاق ، وقواعد السلوك والآداب ، كما ألمت بفلسفة التوحيد ومعالم السياسة العادلة ، وغير ذلك ، ونلمع لبعض أدعيته ( ع ) :

## ١ - دعاؤه من وقاية الأعداء :

كان ( ع ) يدعو بهذا الدعاء يستجير بالله من شرور أعدائه ، وهذا نصه : « اللهم يا عدتي عند شدتي ، ويا غوثي عند كربتي إحرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بركنك الذي لا يرام ، وارحمني بقدرتك عليّ ، فلا أهلك وأنت رجائي ، اللهم انك أكبر وأجل وأقدر مما أخاف وأحذر ، اللهم بك أدرأ في نحره ، وأستعيذ من شره ، انك على كل شيء قدير .. » .

ودعا بهذا الدعاء الشريف الامام الصادق ( ع ) حينما أمر الطاغية المنصور باحضاره مخفوراً لينكل به ، فانقذه الله من شره ، وفرج عنه ، فسئل عن سبب ذلك ، فقال إنه دعا بدعاء جده الحسين ( ع ) (١) .

## ٢ - دعاؤه للاستسقاء :

كان ( ع ) يدعو بهذا الدعاء إذا خرج للاستسقاء : « اللهم اسقنا سقياً ، واسعة وادعة ، عامة ، نافعة ، غير ضارة ، تعم بها حاضرنا وبادينا وتزيد بها في رزقنا وشكرنا ، اللهم اجعله رزق ايمان ، وعطاء ايمان ، إن عطاءك لم يكن محظوراً ، اللهم انزل علينا في أرضنا سكنها ، وأنبت فيها زينتها ومرعاها . . . » (٢) .

(١) نور الأبصار ( ص١٣٣ ) .

(٢) عيون الأخبار .

## ٣ ـ دعاؤه يوم عرفة :

وهو من أجل أدعية أئمة أهل البيت ( ع ) وأكثرها استيعاباً لألطاف الله ونعمه على عباده وقد روى هذا الدعاء الشريف بشر وبشير الأسديان قالا : كنا مع الحسين بن علي ( ع ) عشية عرفة ، فخرج ( ع ) من فسطاطه متذللاً خاشعاً ، فجعل يمشي هوناً هوناً حتى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه ، في ميسرة الجبل مستقبل البيت ، ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاشتطعام المسكين ، وقال :

« الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع ، ولا لعطائه مانع ، ولا كصنعه صانع ، وهو الجواد الواسع ، فطر أجناس البدائع ، واتقن بحكمته الصنائع لا تخفى عليه الطلائع ، ولا تضيع عنده الودائع ، ورأيش كل قانع ، وراحم كل ضارع ، منزل المنافع ، والكتاب الجامع بالنور الساطع ، وهو للدعوات سامع ، وللكربات دافع ، وللدرجات رافع ، وللجبابرة قامع ، فلا إله غيره ، ولا شيء يعدله ، وليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، اللطيف الخبير ، وهو على كل شيء قدير .

اللهم إني أرغب إليك ، وأشهد بالربوبية لك ، مقراً بأنك ربي وإليك مردي ، ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً ، وخلقتني من التراب ، ثم أسكنتني الأصلاب آمناً لريب المنون ، واختلاف الدهور والسنين ، فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم ، في تقادم من الأيام الماضية والقرون الخالية ، لم تخرجني لرأفتك بي ولطفك لي ( أو بي ) وإحسانك إلي في دولة أئمة الكفر الذين نقضوا عهدك ، وكذبوا رسلك ، لكنك أخرجتني رأفة منك وتحنناً ـ علي خ ل ـ للذي سبق لي من الهدى الذي

له يسرتني ، وفيه أنشأتني ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صنعك ، وسوابغ نعمك ، فابتدعت خلقي من مني يمنى وأسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم ودم وجلد ، لم تشهدني خلقي ( لم تشهرني بخلقي – خ ل – ) ولم تجعل إلي شيئاً من أمري ، لم ترض لي يا إلهي نعمـــة دون أخرى ورزقتني من أنواع المعاش وصنوف الرياش بمنك العظيم الأعظم علي ، واحسانك القديم إلي حتى اذا أتممت علي جميع النعم ، وصرفت عني كل النقم لم يمنعك جهلي وجرأتي عليك أن دللتني الى ( على – خ ل – ) ما يقربني اليك ، ووفقتني لما يزلفني لديك فان دعوتك أجبتني ، وأن أطعتك شكرتني ، وإن شكرتك زدتني (١) كل ذلك اكمال ( لاً – خ ل – ) لأنعمك علي ، واحسانك الي فسبحانك سبحانك من مبدىء معيد حميد مجيد تقدست أسماؤك وعظمت آلاؤك فأي نعمك أحصي عدداً ثم أخرجتني للذي سبق لي من الهدى الى الدنيا تاماً سوياً وحفظتني في المهد طفلاً صبياً ، ورزقتني من الغذاء لبناً مريا وعطفت علي قلوب الحواضن الأمهات وكفلتني الأمهات الرواحم ( الرحائم – خ ل – ) ، وكلأتني من طوارق الجان ، وسلمتني من الزيادة والنقصان فتعاليت يا رحيم يا رحمن حتى إذا استهللت ناطقاً بالكلام أتممت علي سوابغ الأنعام وربيتني زائداً في كل عام ، حتى إذا اكتملت فطرتي واعتدلت مرتي (٢) أوجبت علي حجتك بأن ألهمتني معرفتك وروعتني بعجائب حكمتك وأيقظتني لما ذرأت في سمائك وأرضك من بدائع خلقك ، ونبهتني لشكرك وذكرك وأوجبت علي طاعتك وعبادتك وفهمتني ما جاءت به رسلك ، ويسرت لي تقبل مرضاتك ومننت علي – في جميـــع ذلك – بعونك ولطفك ، ثم إذ

---

(١) يشير (ع) الى قوله تعالى في سورة ابراهيم – الآية ٧ – « لئن شكرتم لازيدنكم » .

(٢) المرة : بكسر الميم : قوة الخلق وشدته ، أصالة العقل .

خلقتني من خير الثرى يا إلهي فأي نعمك أحصي عدداً وذكراً، أم أي عطاياك أقوم بها شكراً وهي يارب أكثر من أن يحصيها العادون، أو يبلغ علماً بها الحافظون، ثم ما صرفت ودرأت (١) عني اللهم — من الضر والضراء — أكثر مما ظهر لي من العافية والسراء وأنا أشهد يا الهي بحقيقة ايماني وعقد عزمات يقيني وخالص صريح توحيدي، وباطن مكنون ضميري وعلائق مجاري نور بصري وأسارير صفحة جبيني (٢) وخرق مسارب (٣) نفسي وخذاريف (٤) مارن عريني ومسارب سماخ (٥) ( صماخ — خ ل — ) سمعي وما ضمت وأطبقت عليه شفتاي، وحركات لفظ لساني، ومغرز (٦) حنك فمي وفكي ومنابت (٧) أضراسي ومساغ (٨) مطعمي ومشربي وحمالة (٩) أم رأسي وبلوغ فارغ حبائل (وبلوغ حبائل) عنقي وما اشتمل عليه تامور (١٠) صدري وحمائل

(١) الدرأ : الدفع .

(٢) أسارير أسرار وهي جمع السر بالكسر والضم : خطوط الجبهة .

(٣) مسارب النفس : مجاريها في العروق والأعضاء، وخرقها : منافذها .

(٤) خذاريف جمع خذروف : القطعة، والمارن : مالان من الأنف .

(٥) مسارب الصماخ : ملتوياتها وقنواتها التي تصل منهـا الهواء الى السامعة .

(٦) المغرز : موضع الغرز، ومغرز الفكين : محل اتصالها بالجسم .

(٧) المنابت : جمع منبت محل النبت، والأضراس جمع ضرس بالكسر الأسنان الخمسة أو الأربعة من كل جانب من جوانب الفك .

(٨) مساغ : مصدر ميمي : الذي سهل ولان وهنأ .

(٩) الحمالة : علاقة السيف لأنها تحمله . وحمالة أم الرأس الرابطة التي ترتبط أم الرأس وهو : المخ بالبدن حتى لا يتزحزح عن محله .

(١٠) التامور : الوعاء .

حبل وتيني (١) ونياط حجاب قلبي (٢) وأفلاذ حواشي كبدي (٣) وما حوته شراسيف أضلاعي (٤) وحقاق مفاصلي (٥) وقبض عواملي ، وأطراف أناملي ولحمي ودمي وشعري وبشري وعصبي وقصبي (٦) وعظامي ومخي وعروقي وجميع جوارحي ، وما انتسج على ذلك أيام رضاعي ، وما أقلت الأرض مني (٧) ونومي ويقظتي (٨) وسكوني ، وحركات ركوعي وسجودي – ان لو حاولت واجتهدت – مدى الأعصار والأحقاب (٩) لو عمرتها – أن أؤدي شكر واحدة من أنعمك ، ما استطعت ذلك إلا بمنك الموجب

---

(١) الوتين : عرق في القلب يجري منه الدم إلى كافة العروق وحمائله مواضع اتصاله بالجسم .

(٢) نياط القلب : عرقه الغليظ الذي إذا قطع مات الشخص .

(٣) الأفلاذ : جمع فلذة بالكسر : القطعة ، أي قطع أطراف الكبد التي تعمل لأخذ الغذاء ، وتقسيمه الى الأخلاط الأربعة .

(٤) شراسيف : جمع شرسوف بالضم : طرف الضلع المشرف على البطن وهو القلب والرئتان وما إليها من الأعضاء الرئيسية .

(٥) الحقاق : بالكسر جمع حق بالضم : النقر التي هي الاقفال للقبض والبسط .

(٦) العصب : الأطناب المنتشرة في الجسم الذي بها يتحرك الانسان والقصب : كل شيء مجوف مثل الانبوب ومنه القصب الذي يخرج منه النفس

(٧) أقل : رفع .

(٨) اليقظة بالتحريك : خلاف النوم .

(٩) الأحقاب جمع حقب بضمتين : الدهر ، السنة أو السنون ، ثمانون سنة أو أكثر .

علي به شكرك أبداً جديداً ، وثناءً طارفاً عتيداً (١) أجل : ولو حرصت أنا والعادون من أنامك أن نحصي مدى انعامك سالفه ( لفة – خ ل – ) وآنفه ما حصرناه عدداً ، ولا أحصيناه أمداً ، هيهات أنى ذلك !!! وأنت المخبر في كتابك الناطق ، والنبأ الصادق ( وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها »(٢) صدق كتابك اللهم وأنباؤك وبلغت أنبياؤك ورسلك ما أنزلت عليهم : من وحيك ، وشرعت لهم وبهم من دينك ، غير أني – يا إلهي – أشهد بجهدي وجدي ، ومبلغ طاعتي ووسعي ، وأقول مؤمناً موقناً : الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً فيكون موروثاً ، ولم يكن له شريك في ملكه فيضاده فيما ابتدع ولاولي من الذل فيرفده فيما صنع (٣) فسبحانه سبحانه ( لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ) وتفطرتا (٤) سبحان الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، الحمد لله حمداً يعادل حمد ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ، وصلى الله على خيرته محمد خاتم النبيين ، وآله الطيبين الطاهرين المخلصين وسلم » .

وأخذ الحسين ( ع ) يدعو الله وقد جرت دموع عينيه على سحنات وجهه الشريف وهو يقول :

« اللهم اجعلني أخشاك ، كأني أراك ، واسعدني بتقواك ، ولا تشقني بمعصيتك وخرلي في قضائك (٥) وبارك لي في قدرك ، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت ، اللهم اجعل غناي في نفسي ، واليقين

---

(١) الطارف : المستحدث ، العتيد : الجسيم .

(٢) سورة ابراهيم : آية ٣٤ .

(٣) رفده ، وأرفده : أعطاه .

(٤) تفطر : انشق .

(٥) « اللهم خرلي » أي اخترلي أصلح الأمرين .

في قلبي ، والاخلاص في عملي ، والنور في بصري ، والبصيرة في ديني ، ومتعني بجوارحي ، واجعل سمعي وبصري الوارثين مني ، وانصرني على من ظلمني ، وأرني فيه ثاري ومآربي (١) وأقر بذلك عيني اللهم اكشف كربتي واستر عورتي ، وأغفر لي خطيئتي ، واخسأ شيطاني (٢) وفك رهاني ، واجعل لي – يا إلهي – الدرجة العليا في الآخرة والاولى ، اللهم لك الحمد كما خلقتني ، فجعلتني سميعاً بصيراً ولك الحمد كما خلقتني ، فجعلتني خلقاً ( حيا – خ ل – ) سوياً رحمة بي وقد كنت عن خلقي غنياً ، رب بما برأتني فعدلت فطرتي رب بما انشأتني فاحسنت صورتي ، رب بما أحسنت إلي وفي نفسي عافيتني ، رب بما كلأتني ووفقتني رب بما أنعمت علي فهديتني ، رب بما أوليتني ومن كل خير أعطيتني ، رب بما أطعمتني وسقيتني ، رب بما أغنيتني وأقنيتني ، رب بما أعنتني وأعززتني ، رب بما ألبستني من سترك الصافي ويسرت لي من صنعك الكافي ، صل على محمد وآل محمد وأعني على بوائق الدهور (٣) وصروف الليالي والأيام ، ونجنا من أهوال الدنيا وكربات الآخرة ، وأكفني شر ما يعمل الظالمون في الأرض ، اللهم ما أخاف فاكفني ، وما أحذر فقني وفي نفسي وديني فاحرسني ، وفي سفري فاحفظني ، وفي أهلي ومالي فأخلفني (٤) وفيما رزقتني فبارك لي ، وفي نفسي فذللني ، وفي أعين الناس فعظمني ومن شر الجن والانس فسلمني ، وبذنوبي فلا تفضحني ، وبسريرتي فلا تخزني وبعملي

(١) الثار ، من ثار من باب منع : الدم ، والمآرب جمع مأرب بتثليث الراء : الحاجة .

(٢) خسأ من باب منع : طرد .

(٣) بوائق جمع بائقة : الشر والغائلة .

(٤) أي عوضني .

فلا تبتلني ، ونعمك فلا تسلبني ، وإلى غيرك فــلا تكلني (١) إلهي إلى من تكلني ؟ إلى قريب فيقطعني أم الى بعيد فيتجهمني (٢) أم إلى المستضعفين لي وأنت ربي ومليك أمري أشكو اليك غربتي ، وبعد داري ، وهواني على من ملكته أمري إلهي ، فلا تحلل علي غضبك فان لم تكن غضبت علي فلا ابالي سواك ، سبحانك غير أن عافيتك أوسع لي ، فأسألك يارب بنور وجهك الذي أشرقت له الأرض والسموات ، وكشفت به الظلمات وصلح به أمر الأولين والآخرين أن لا تميتني على غضبك ، ولا تنزل بي سخطك ، لك العتبى (٣) حتى ترضى قبل ذلك ، لا إله إلا أنت رب البلد الحرام ، والمشعر الحرام ، والبيت العتيق الذي أحللته البركة وجعلته للناس أمناً ، يا من عفا عن عظيم الذنوب بحلمه ، يا من أسبغ النعماء بفضله (٤) يا من أعطى الجزيل بكرمه ، يا عدتي في شدتي (٥) يا صاحبي في وحدتي يا غياثي في كربتي ، يا ولي في نعمتي ، يا إلهي وإله آبائي : ابراهيم ، واسماعيل واسحاق ويعقوب ، ورب جبرئيل وميكائيل واسرافيل ، ورب محمد خاتم النبيين وآله المنتجبين منزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، ومنزل كهيعص وطه ويس والقرآن الحكيم ، أنت كهفي حين تعييني المذاهب في سعتها (٦) وتضيق بي الأرض برحبها ولو لا رحمتك لكنت من الهالكين

---

(١) من وكل يكل من باب ضرب التفويض والتسليم الى الغير .

(٢) تجهمه : استقبله بوجه كريه عبوس .

(٣) العتبى بالضم : الرضا .

(٤) أسبغ عليه النعم : وسع وأتم عليه جميع ما يحتاجه .

(٥) العدة بالضم : ما يستعد به الانسان من مال أو سلاح .

(٦) الكهف بالفتح : الملجأ ، والعي : العجز .

وأنت مقيل عثرتي (١) ولولا سترك إياي لكنت من المفضوحين ، وأنت مؤيدي بالنصر على أعدائي ولولا نصرك إياي ( لي — خ ل — ) لكنت من المغلوبين ، يا من خص نفسه بالسمو والرفعة ، فأولياؤه بعزه يعتزون ، يا من جعلت له الملوك نير المذلة على أعناقهم (٢) فهم من سطواته خائفون يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وغيب ما تأتي به الأزمنة والدهور ، يا من لا يعلم كيف هو إلا هو ، يا من لا يعلم ما هو إلا هو ، يا من لا يعلمه إلا هو ( يا من لا يعلم ما يعلمه إلا هو — خ ل — ) يا من كبس الأرض على الماء (٣) وسد الهواء بالسماء (٤) ، يا من له أكرم الأسماء ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ، يا مقيض الركب ليوسف في البلد القفر ومخرجه من الجب (٥) وجاعله بعد العبودية ملكاً ، يا راده على يعقوب بعد أن أبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم يا كاشف الضر والبلوى عن أيوب وممسك يدي ابراهيم عن ذبح ابنه بعد كبر سنه وفناء عمره ، يامن استجاب لزكريا فوهب له يحيي ، ولم يدعه فرداً وحيداً ، يا من أخرج يونس من بطن الحوت ، يا من فلق البحر لبني اسرائيل فأنجاهم وجعل فرعون وجنوده من المغرقين ، يا من أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته ، يا من لم يعجل على من عصاه من خلقه ، يا من استنقذ السحرة من بعد طول الجحود،

---

(١) مقيل العثرة : الذي يصفح عن الذنوب ومنه الحديث : « من أقال مؤمناً أقاله الله يوم القيامة » .

(٢) النير : الخشبة التي توضع على عنق الثور .

(٣) الكبس على الشيء : الشد والضغط عليه .

(٤) وهو الغلاف الجوي الذي يمنع من تسرب الهواء من الأرض .

(٥) الجب : البئر والحفرة العميقتين .

وقد غدوا في نعمته يأكلون رزقه ، ويعبدون غيره وقد حادوه ونادوه (١) وكذبوا رسله ، يا الله يا الله يا بدىء يا بديع لاندلك ، يا دائماً لا نفاد لك (٢) يا حياً حين لا حي يا محي الموتى ، يا من هو قائم على كل نفس بما كسبت ، يا من قل له شكري فلم يحرمني ، وعظمت خطيئتي فلم يفضحني ، ورآني على المعاصي فلم يشهرني ، يا من حفظني في صغري ، يا من رزقني في كبرى ، يا من أياديه عندي لا تحصى ونعمه لا تجازى ، يا من عارضني بالخير والاحسان وعارضته بالاساءة والعصيان ، يا من هداني للايمان من قبل أن أعرف شكر الامتنان ، يا من دعوتــه مريضاً فشفاني ، وعرياناً فكساني ، وجائعاً فاشبعني ، وعطشاناً فأرواني وذليلاً فاعزني ، وجاهلاً فعرفني ، ووحيداً فكثرني ، وغائباً فردني ، ومقلاً فاغناني ، ومنتصراً فنصرني ، وغنياً فلم يسلبني ، وأمسكت عن جميع ذلك فابتدأني فلك الحمد والشكر ، يا من أقال عثرتي ونفس كربتي ، وأجاب دعــوتي ، وستر عورتي ، وغفر ذنوبي ، وبلغني طلبتي ، ونصرني على عدوي ، وان أعد نعمك ومننك وكرائم منحك لا أحصيها ، يا مولاي أنت الذي مننت ، أنت الذي أنعمت ، أنت الذي أحسنت ، أنت الذي أجملت ، أنت الذي أنضلت ، أنت الذي أكملت ، أنت الذي رزقت ، أنت الذي وفقت ، أنت الذي أعطيت ، أنت الذي اغنيت ، أنت الذي اقنيت (٣) ، أنت الذي آويت ، أنت الذي كفيت ، أنت الذي هديت ، أنت الذي عصمت أنت الذي سترت ، أنت الذي غفرت ، أنت الــذي أقلت ، أنت

---

(١) حاده : غضبه وأظهر العداوة له ، نادوه : أي جعلوا له ندآ وشريكاً .

(٢) النفاد : الفناء والانقطاع

(٣) أقناه الله : أي أعطاه بقدر ما يكفيه .

الذي مكنت ، أنت الذي أعززت ، أنت الذي أعنت ، أنت الذي عضدت أنت الذي أيدت ، أنت الذي نصرت . أنت الذي شفيت ، أنت الذي عافيت ، أنت الذي أكرمت ، تباركت وتعاليت فلك الحمد دائماً ، ولك الشكر واصباً أبداً ثم أنا — يا إلهي — المعترف بذنوبي فاغفرها لي ، أنا الذي أسأت ، أنا الذي أخطأت ، أنا الذي هممت ، أنا الذي جهلت ، أنا الذي غفلت ، أنا الذي سهوت ، أنا الذي اعتمدت ، أنا الذي تعمدت أنا الذي وعدت ، أنا الذي أخلفت ، أنا الذي نكثت ، أنا الذي أقررت أنا الذي اعترفت بنعمتك علي وعندي ، وأبوء بذنوبي فاغفرها لي (١) يا من لا تضره ذنوب عباده وهو الغني عن طاعتهم ، والموفق من عمل صالحاً منهم بمعونته ورحمته ، فلك الحمد إلهي وسيدي ، إلهي أمرتني فعصيتك ونهيتني فارتكبت نهيك ، فاصبحت لا ذا براءة ( لي — خ ل — ) فاعتذر ولا ذا قوة فانتصر فبأي شيء استقبلك ( استقيلك — خ ل — ) يا مولاي ابسمعي أم ببصري أم بلساني أم بيدي أم برجلي ، أليس كلهـا نعمك عندي وبكلها عصيتك ؟ يا مولاي فلك الحجة والسبيل علي يا من سترني من الآبـاء والأمهات أن يزجروني ، ومن العشائر والاخوان أن يعيروني ومن السلاطين أن يعاقبوني ، ولو اطلعوا يا مولاي على ما اطلعت عليه مني إذاً ما انظروني ، ولرفضوني وقطعوني ، فها أنا ذا يا إلهي بين يديك ياسيدي خاضع ذليل حصير حقير ، لا ذو براءة فاعتذر ولا ذو قوة فانتصر ، ولاحجة فاحتج بها ، ولا قائل لم اجترح (٢) ولم أعمل سوءً ، وما عسى الجحود ولو جحدت يا مولاي ينفعني ، كيف واني ذلك ، وجوارحي كلها شاهدة علي بما قد عملت وعلمت يقيناً غير ذي شك انك سائلي من عظائم الأمور

---

(١) باء يبوء : بالذنب : اعترف وتكلم به .

(٢) الاجتراح : الارتكاب والاكتساب .

وأنك الحكم العدل الذي لا تجور ، وعدلك مهلكي ، ومن كل عدلك مهربي
فان تعذبني – يا إلهي – فبذنوبي بعد حجتك علي ، وإن تعف عني فبحلمك
وجودك وكرمك ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المستغفرين ،
لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الموحدين ، لا إله إلا أنت سبحانك
اني كنت من الخائفين ، لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الوجلين
لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الراجين ، لا اله الا انت سبحانك إني كنت
من الراغبين ، لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من المهللين ، لا إله إلا
أنت سبحانك اني كنت من السائلين ، لا إلا أنت سبحانك اني كنت من المسبحين
لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من المكبرين ، لا اله الا أنت سبحانك
ربي ورب آبائي الأولين، اللهم هذا ثنائي عليك ممجداً واخلاصي لذكرك
موحداً ، واقراري بآلائك معدداً وان كنت مقراً أني لم أحصها لكثرتها
وسبوغها وتظاهرها وتقادمها الى حادث ما لم تزل تتعهدني بهمعها منذ خلقتني
وبرأتني من أول العمر من الاغناء بعد الفقر ، وكشف الضر ، وتسبيب
اليسر ، ودفع العسر ، وتفريج الكرب ، والعافية في البدن والسلامة في الدين
ولو رفدني على قدر ذكر نعمتك جميع العالمين من الأولين والآخرين ماقدرت
ولا هم على ذلك تقدست وتعاليت من رب كريم عظيم رحيم لا تحصى
آلاؤك ، ولا يبلغ ثناؤك ، ولا تكافي نعماؤك ، صل على محمد وآل محمد
واتمم علينا نعمك واسعدنا بطاعتك ، سبحانك لا اله الا أنت . اللهم انك
تجيب المضطر وتكشف السوء ، وتغيث المكروب ، وتشفي السقيم وتغني
الفقير ، وتجبر الكسير ، وترحم الصغير ، وتعين الكبير ، وليس دونك
ظهير ، ولا فوقك قدير ، وأنت العلي الكبير يا مطلق المكبل الأسير يارازق
الطفل الصغير ، يا عصمة الخائف المستجير ، يا من لا شريك له ولا وزير
صل على محمد وآل محمد ، وأعطني في هذه العشية أفضل ما أعطيت وأنلت

أحداً من عبادك ، ومن نعمة توليها ، وآلاء تجددها ، وبلية تصرفها ، وكربة تكشفها ، ودعوة تسمعها ، وحسنة تتقبلها ، وسيئة تتغمدها ، انك لطيف بما تشاء خبير ، وعلى كل شيء قدير ، اللهم انك أقرب من دعي وأسرع من أجاب وأكرم من عفا وأوسع من أعطى ، وأسمع من سئل ، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها ، ليس كمثلك مسؤول ، ولا سواك مأمول دعوتك فاجبتني ، وسألتك فأعطيتني ، ورغبت اليك فرحمتني ، ووثقت بك فنجيتني ، وفزعت اليك فكفيتني اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وعلى آله الطيبين الطاهرين أجمعين وتمم لنا نعماءك وهنئنا عطاءك واكتبنا لك شاكرين ولآلائك ذاكرين آمين آمين رب العالمين اللهم يامن ملك فقدر ، وقدر فقهر وعُصي فستر ، واستغفر فغفر يا غاية الطالبين الراغبين ، ومنتهى أمل الراجين ، يا من أحاط بكل شيء علمـاً ، وسع المستقيلين رأفة ورحمة وحلماً ، اللهم انا نتوجه اليك في هذه العشية التي شرفتها وعظمتها ، بمحمد نبيك ورسولك ، وخيرتك من خلقك ، وأمينك على وحيك البشير النذير ، السراج المنير الذي أنعمت به على المسلمين ، وجعلته رحمة للعالمين ، اللهم فصل على محمد وآل محمد ، كما محمد أهل لذلك منك يا عظيم ، فصل عليه وعلى آلـه المنتجبين الطيبين الطاهرين أجمعين ، وتغمدنا بعفوك عنا ، فاليك عجت (١) الأصوات بصنوف اللغات فاجعل لنا اللهم في هذه العشية نصيباً من كل خير تقسمه بين عبادك ونوراً تهدي به ، ورحمة تنشرها وبركة تنزلها ، وعافية تجللها ورزقاً تبسطه ياأرحم الراحمين ، اللهم إقبلنا في هذا الوقت منجحين مفلحين ، مبرورين غانمين (٢)

(١) عج : صاح وارتفع صوته .

(٢) البر بالكسر : الصلاح والطاعة ، والغـانم : هو الذي يفوز وينال الغنيمة .

ولا تجعلنا من القانطين (١) ولا تخلنا من رحمتك ، ولا تحرمنا ما نؤمله من فضلك ، ولا تجعلنا من رحمتك محرومين ولا لفضل ما نؤمله من عطائك قانطين ولا تردنا خائبين ، ولا من بابك مطرودين ، يا أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين ، إليك أقبلنا موقنين ، ولبيتك الحرام آمين قاصدين (٢) فاعنا على مناسكنا ، واكمل لنا حجنا ، واعف عنا ، وعافنا فقد مددنا اليك أيدينا ، فهي بذلة الاعتراف موسومة ، اللهم فاعطنا في هذه العشية ما سألناك واكفنا ما استكفيناك ، فلا كافي لنا سواك ، ولا رب لنا غيرك نافذ فينا حكمك محيط بنا علمك ، عدل فينا قضاؤك ، أقض لنا الخير ، واجعلنا من أهل الخير ، اللهم أوجب لنا بجودك عظيم الأجر ، وكريم الذخر ، ودوام اليسر ، واغفر لنا ذنوبنا أجمعين ، ولا تهلكنا مع الهالكين ولا تصرف عنا رأفتك ورحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعلنا في هذا الوقت ممن سألك فأعطيته وشكرك فزدته ، وتاب اليك فقبلته وتنصل (٣) اليك من ذنوبه كلها فغفرتها له ياذا الجلال والاكرام ، اللهم ونقنا ( وفقنا – خ ل – ) وسددنا ( واعصمنا – خ ل – ) واقبل تضرعنا ، يا خير من سئل ، ويا أرحم من استرحم ، يا من لا يخفى عليه اغماض الجفون ولا لحظ العيون ، ولا ما استقر في المكنون ولا ما أنطوت عليه مضمرات القلوب ، ألا كل ذلك قد أحصاه علمك ووسعه حلمك ، سبحانك وتعاليت عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، تسبح لك السموات السبع ، والأرضون ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمدك ، فلك الحمد والمجد ، وعلو الجد ، ياذا الجلال والاكرام والفضل والانعام ، والأيادي الجسام ، وأنت

(١) القنوط بالضم : اليأس .

(٢) آمين بالتشديد : قاصدين .

(٣) تنصل : خرج وتبرأ .

الجواد الكريم ، الرؤوف الرحيم ، اللهم أوسع علي من رزقك الحلال ، وعافني في بدني وديني ، وآمن خوفي واعتق رقبتي من النار ، اللهم لاتمكر بي ولا تستدرجني (١) ولا تخدعني . وادرأ عني شر فسقة الجن والانس ( ثم رفع بصره الى السماء وقال برفيع صوته ) : يا أسمع السامعين ، ياأبصر الناظرين ويا أسرع الحاسبين ، ويا أرحم الراحمين ، صل على محمد وآل محمد السادة الميامين (٢) وأسألك اللهم حاجتى التي ان اعطيتنيها لم يضرني ما منعتني ، وان منعتنيها لم ينفعني ما أعطيتني ، اسألك فكاك رقبتي من النار لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد ، وأنت على كل شيء قدير يا رب يا رب » .

وأثر هذا الدعاء تأثيراً عظيماً في نفوس من كان مع الامام ، فاتجهوا بقلوبهم وعواطفهم نحوه يستمعون دعاءه ، وعلت أصواتهم بالبكاء معه ، وذهلوا عن الدعاء لأنفسهم في ذلك المكان الذي يستحب فيـه الدعاء ، ويقول الرواة : ان الامام استمر يدعو حتى غربت الشمس ، فأفاض الى ( المزدلفة ) وفاض الناس معه (٣) .

## جوامع الكلم :

ومنح الله الامام الحسين أعنة الحكمة ، وفصل الخطاب فكانت تتدفق

(١) الاستدراج من الله للعبد أن يفعل شيئاً بالنسبة الى العبد حتى لا يوفق أن يتوب ويرجع الى خالقه .

(٢) الميامين جمع ميمون : ذو اليمن والبركة .

(٣) زاد المعاد للمجلسي ، البلد الأمين للكفعمي ، بلاغـة الامام الحسين ، الاقبال لابن طاووس وفيه زيادة على هذا الدعاء .

على لسانه سيول من الموعظة والآداب ، والأمثال السائرة ، وفيما يلي بعض حكمه القصار .

١ ـ قال عليه السلام : « العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ، ولا يسأل من يخاف منعه ، ولا يثق بمن يخاف غدره ، ولا يرجو من لا يوثق برجائه . . . » (١) .

٢ ـ قال (ع) لابنه علي بن الحسين : « أي بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله عز وجل . . . » (٢) .

٣ ـ قال (ع) : ما أخذ الله طاقة أحد الا وضع عنه طاعته ، ولا أخذ قدرته الا وضع عنه كلفته . . . » (٣) .

٤ ـ قال (ع) : « إياك وما تعتذر منه ، فان المؤمن لا يسيء ، ولا يعتذر ، والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر . . . » (٤) .

٥ ـ قال (ع) : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، فان الكذب ريبة ، والصدق طمأنينة . . . (٥) .

٦ ـ قال (ع) : « اللهم لا تستدرجني بالاحسان ، ولا تؤدبني بالبلاء . . . » (٦) .

٧ ـ قال (ع) : « خمس من لم تكن فيه ، لم يكن فيه كثير مستمتع العقل ، والدين والأدب ، والحياء ، وحسن الخلق . . . » (٧) .

---

(١) ريحانة الرسول ( ص٥٥ ) .

(٢) و (٣) و (٤) تحف العقول ( ص٤٦ ) .

(٥) أنساب الأشراف ج١ ق١ .

(٦) كشف الغمة ٢ / ٢٤٣ .

(٧) ريحانة الرسول ( ص٥٥ ) .

٨ – قال ( ع ) : « البخيل من بخل بالسلام » (١) .

٩ – قال ( ع ) : « من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لما يحذر . . . » (٢) .

١٠ – قال ( ع ) : « من دلائل علامات القبول : الجلوس الى أهل العقول ، ومن علامات أسباب الجهل المماراة لغير أهل الكفر ، ومن دلائل العالم انتقاده لحديثه ، وعلمه بحقائق فنون النظر . . . » (٣) .

١١ – قال ( ع ) : إن المؤمن اتخذ الله عصمته ، وقوله مرآته فمرة ينظر في نعت المؤمنين ، وتارة ينظر في وصف المتجبرين ، فهو منه في لطائف ومن نفسه في تعارف ، ومن فطنته في يقين ، ومن قدسه على تمكين . . » (٤) .

١٢ – قال : « إذا سمعت أحداً يتناول أعراض الناس فاجتهد أن لا يعرفك . . . » (٥) .

١٣ – قال ( ع ) لرجل اغتاب عنده رجلاً « يا هذا كف عن الغيبة فانها أدام كلاب النار . . . » (٦) .

١٤ – تكلم رجل عنده فقال : إن المعروف اذا أسدي الى غير أهله ضاع فقال ( ع ) : « ليس كذلك ، ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البر والفاجر . . . » (٧) .

---

(١) ريحانة الرسول ( ص٥٥ ) .

(٢) و (٣) و (٤) تحف العقول ( ص٢٤٦ – ٢٤٨ ) .

(٥) ريحانة الرسول ( ص٥٥ ) .

(٦) البحار ، تحف العقول ( ص٢٤٥ ) .

(٧) تحف العقول ( ص٢٤٥ ) .

١٥ – سأله رجل عن تفسير قوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » (١) قال (ع) : « أمره أن يحدث بما أنعم الله به عليه في دينه » (٢) .

١٦ – قال (ع) : « موت في عز خير من حياة في ذل » (٣) .

١٧ – قال (ع) : « البكاء من خشية الله نجاة من النار » (٤) .

١٨ – قال (ع) : « من أحجم عن الرأي ، وأعيت له الحيل كان الرفق مفتاحه » (٥) .

١٩ – قال (ع) : « من قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم » (٦) .

٢٠ – قال (ع) : « اذا كان يوم القيامة نادى مناد ، أيها الناس من كان له على الله أجر فليقم ، فلا يقوم الا أهل المعروف . . » (٧) .

٢١ – قال (ع) : « ما من أعمال هذه الأمة من صباح إلا ويعرض على الله عز وجل » (٨) .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن بعض ما أثر عنه من روائع الحِكم ، والمواعظ والآداب ، ولم نحلل مضامينها إيثاراً للايجاز ، وابتعاداً عن الاطالة .

---

(١) سورة الضحى : آية ١١ .
(٢) تحف العقول ( ص٢٤٦ ) .
(٣) البحار .
(٤) نزهة الناظر في تنبيه الخاطر .
(٥) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٢٣ .
(٦) و (٧) و (٨) البحار .

## في حلبات الشعر :

وعرضت مصادر التاريخ والأدب العربي الى بعض ما نظمه الامام الحسين (ع) من الشعر وما استشهد به في بعض المناسبات ، وإن كان بعضها — فيا نحسب — لا يخلو من الانتحال ، وهذه بعضها :

١ — دخل اعرابي مسجد الرسول الأعظم (ص) فوقف على الحسن ابن علي وحوله حلقة مجتمعة من الناس فسأل عنه ، فقيل له إنه الحسن ابن علي ، فقال : إياه أردت بلغني أنهم يتكلمون فيعربون في كلامهم ، واني قطعت بوادي ، وقفاراً ، وأودية ، وجبالاً ، وجئت لاطارحه الكلام وأسأله عن عويص العربية ، فقال له أحد جلساء الامام : ان كنت جئت لهذا فابدأ بذلك الشاب ، وأوماً الى الحسين ، فبادر اليه ، ووقف فسلم عليه فرد الامام عليه السلام ، فقال له :

— ما حاجتك ؟

— جئتك من الهرقل والجملل والاينم ، والهمهم .

فتبسم الامام الحسين ، وقال له : يا اعرابي لقد تكلمت بكـلام ما يعقله الا العالمون ، فقال الاعرابي : وأقول : أكثر من هذا ، فهل أنت مجيبي على قدر كلامي ؟

فقال له الحسين :

— قل ما شئت فاني مجيبك .

— إني بدوي ، وأكثر مقالي الشعر ، وهو ديوان العرب .

— قل ما شئت فاني مجيبك .

وأنشأ الاعرابي يقول :

هفا قلبي الى اللهو     وقد ودع شرخيه
وقد كان أنيقاً عصــر تجــراري ذيليــه
عيــالات ولذات     فيا سقياً لعصريــه
فلمــا عمم الشيب     من الرأس نطاقيه
وأمسى قد عناني منه تجديد خضابيــه
تسليت عن اللهو     وألقيت قناعيــه
وفي الدهر أعاجيب     لمن يلبس حاليــه
فلو يعمل ذو رأي     أصيل فيه رأييــه
لالفى عبرة منــه     له في كر عصريه

فأجابه الامام الحسين (ع) ارتجالاً :

فما رسم شجاني قد     محت آيات رسميه
سفور درجت ذيلين     في بوغاء قاعيه (١)
هتوف حرجف تترى     على تلبيد ثوبيه (٢)
وولاج من المــزن     دنا نوء سماكيــه
أتى مثغنجر الورق     يجود من خلاليــه
وقــد أحمــد برقاه     فــلا ذم لبرقيــه
وقد جلل رعــداه     فلا ذم لرعديــه
ثجيج الرعد ثجــاج     اذا أرخى نطاقيه

---

(١) سفور : مأخوذ من سفرت الريح التراب أو الورق أزالتهما وذهبت بها كل مذهب ، درجت من نعوت الريح ، البوغاء التراب .

(٢) المتوف : الريح ذات الصوت ، والحرجف : الريح الباردة . التلبيد : التداخل .

فاضحى دارساً قفرا لبينونـة أهليـه

فلما سمع الاعرابي ذلك بهر وانطلق يقول : ما رأيت كاليوم أحسن من هذا الغلام كلاماً وأذرب لساناً ، ولا أفصح منه نطقاً ، فقال له الامام الحسن ( ع ) يا اعرابي :

غلام كرم الرحمن بالتطهير جديـه
كساه القمر القمقام من نورٍ سنائيه

وقد أرصنت من شعري وقومت عروضيه

فلما سمع الاعرابي قول الامام الحسن ( ع ) انبرى يقول : بارك الله عليكما ، مثلكما تجلها الرجال فجزاكما الله خيراً وانصرف (١) ودلت هذه البادرة على مدى ما يتمتع به الامام ( ع ) من قوة العارضة في الشعر ، ومقدرته الفائقة في الارتجال والابداع ، إلا أن بعض فصول هذه القصة – فيما نحسب – لا يخلو من الانتحال ، وهو مجيء الاعرابي من بلد نائي قد تحمل عناء السفر وشدته من أجل اختبار الامام ومعرفة مقدراته الأدبية

٢ – نسبت له هذه الأبيات الحكمية :

اذا ما عضك الدهر فلا تجنح الى الخلق
ولا تسأل سوى الله تعـالى قاسم الرزق
فلو عشت وطوفت من الغرب الى الشرق
لما صادفت من يقد ر أن يسعد أو يشقى (٢)

وحث هذا الشعر على القناعة واباء النفس ، وعدم الخنوع للغير ، وأهاب بالانسان أن يسأل أحداً إلا ربه الذي بيده مجريات الأحداث .

---

(١) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول .
(٢) كشف الغمة ٢ / ٢٤٦ الفصول المهمة

٣ ـ قال ( ع ) :

اغن عن المخلوق بالخالق تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله فليس غـير الله من رازق
من ظن أن الناس يغنونه فليس بالـرحمن بالواثق
أو ظن أن المال من كسبه زلت به النعلان من حالق (١)

وفي هذه الأبيات دعوة الى الالتجاء الى الله خالق الكون وواهب الحياة ، والاستغناء عمن سواه فان من ركن لغيره فقد خاب سعيه وحاد عن الصواب .

٤ ـ زار الامام الحسين ( ع ) مقابر الشهداء بالبقيع فانبرى يقول :

ناديت سـكان القبور فاسكتوا فأجابني عن صمتهم ترب الحشا
قالت : أتدري ماصنعت بساكني مزقت لحمهـم وخرقت الكسا
وحشوت أعينهم تراباً بعدمـا كانت تأذى باليسير من القـذا
أمـا العظـام فانني مزقتهـا حتى تباينت المفـاصل والشوى
قطعت ذا من ذا ومن هذا كذا فتركتها مما يطول بها البلى (٢)

وحفلت هذه الأبيات بالدعوة الى الاعتبار والعظة بمصير الانسان وأنه حينما يودع في بطن الأرض لم يلبث أن يتلاشى وتذهب نضارته ويعود بعد قليل كتلة من التراب المهين .

٥ ـ ونسب الأعشى هذه الأبيات للامام الحسين ( ع ) :

كلما زيد صاحب المال مالاً زيد في همه وفي الاشتغال
قـد عرفنـاك يا منغصـة العيش ويا دار كل فان وبـال

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٢٤
(٢) البداية والنهاية ٨ / ٢٠٨ .

ليس يصفو لزاهد طلب الزهد اذا كان مثقلاً بالعيال (١)

وتحدث الامام بهذه الأبيات عن ظاهرة خاصة من ظواهر الحياة وهي أن الانسان كلما اتسع نطاقه المادي ازدادت آلامه وهمومه، وازداد جهداً وعناءاً في تصريف شؤون أمواله، وزيادة أرباحها، كما تحدث الامام عمن يرغب في الزهد في الحياة فانه لا يجد سبيلاً الى ذلك ما دام مثقلاً بالعيال فان شغله بذلك يمنعه عن الزهد في الدنيا.

٦ - روى الأربلي أن الامام قال هذه الأبيات في ذم البغي:

| | |
|---|---|
| ذهب الـــذين أحبهـــم | وبقيت فيمن لا أحبـــه |
| في من أراه يسبـــني | ظهـــر المغيب ولا أسبه |
| يبغي فسادي ما استطا | ع وأمره مما أربـــه (٢) |
| حنقاً يدب لي الضـــرا | ء وذاك ممـــا لا أدبـــه |
| ويرى ذبـــاب الشر من | حولي يطن ولايـــذ بـــه |
| واذا خبا (٣) وغر الصدو | ر فـــلا يزال بـــه يشبه |
| أفلا يعيج بعقلـــه (٤) | أفلا يثوب إليه لبه (٥) |
| أفـــلا يرى من فعلـــه | ما قد يسور اليه غبه (٦) |
| حسبي بربي كافيـــاً | ما أختشي والبغي حسبه |

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٢٤.

(٢) أربه: أصلحه.

(٣) خبا: سكن.

(٤) يعيج: ينتفع.

(٥) اللب: العقل.

(٦) يسور: يرجع.

ولقل من يبغى عليه فما كفاه الله ربه (١)

وتحدث الامام (ع) بهذه الأبيات عن احدى النزعات الشريرة في الانسان وهي البغي فان من يتلوث به يسعى دوماً الى سب أخيه والاعتداء عليه وافساد أمره ، وانه اذا سكن وغر الصدور فانه يسعى لاثارتها انطلاقاً منه في البغي والاعتداء ، وقد وجه (ع) اليه النصح فانه اذا رجع الى عقله وفكر في أمره فان غيه على أخيه يرجع اليه ، وتلحقه أضراره وآثامه ومن الطبيعي انه اذا أطال التفكير في ذلك فانه يقلع عن نفسه هذه الصفة الشريرة حسب ما نص عليه علماء الأخلاق .

٧ ـ وزعم أبو الفرج الاصبهاني ان الامام الحسين (ع) قال : هذين البيتين في بنته سكينة وامها الرباب :

لعمرك أنني لأحب داراً تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي وليس لعاتب عندي عتاب (٢)

وزاد غيره هذا البيت :

فلست لهم وان غابوا مضيعاً حياتي أو يغيبني التراب (٣)

وهذه الأبيات فيما نحسب من المنتحلات والموضوعات فان الامام الحسين عليه السلام أجل شأناً وأرفع قدراً من أن يذيع حبه لزوجته وابنته بين الناس ، فليس هذا من خلقه ، ولا يليق به ، ان ذلك ـ من دون شك ـ من المفتريات التي تعمد وضعها للحط من شأن أهل البيت (ع) .

٨ ـ ومما قاله :

الله يعلم أن ما بيدي يزيد لغيره

---

(١) كشف الغمة . ريحانة الرسول ( ص٤٨ ) .

(٢) الأغاني .

(٣) ذكرى الحسين ١ / ١٣٩ ، البداية والنهاية ٨ / ٢٠٩ .

وبأنـــه لم يكتسب ه بخـيره وبمـيره
لو انصف النفس الخؤو ن لقصرت من سـيره
ولكان ذلك منـه أد نى شره من خيره (١)

وبهذا ينتهي بنا المطاف عن بعض مُثل الامام الحسين (ع) ونزعاته التي كان بها فذاً من أفذاذ العقل الانساني ومثلاً رائعاً من أمثلة الرسالة الاسلامية بجميع قيمها ومكوناتها .

(١) ريحانة الرسول ( ص٤٩ ) .

# مأساة الإسلام الكبرى



عاش الامام الحسين ( ع ) وهو في ريعان الصبا ، وغضارة العمر في كنف جده الرسول الأعظم ( ص ) وكان يغدق عليه بعطفه ، ويفيض عليه بحنانه ، ويعمل على توجيهه وتقويمه ، حتى توسعت مداركه ، ونمت ملكاته وهو في سنه المبكر ، وكانت هذه الفترة القصيرة التي عاشها مع جده من أهم الفترات وأروعها في تاريخ الاسلام كله ، فقد وطد الرسول (ص) فيها أركان دولته ، وأقامها على أساس العلم والايمان ، وهزم جيوش الشرك وفلل قواعد الالحاد ، وقام الاسلام على سوقه عبل الذراع مفتول الساعد وأخذت الانتصارات الرائعة تترى على الرسول ( ص ) وأصحابه ، فقد دخل الناس في دين الله أفواجاً ، أفواجاً ، وامتدّ حكم الاسلام على أغلب مناطق الجزيرة العربية .

وفي غمرات هذه الانتصارات الرائعة شعر الرسول ( ص ) بان حياته قد انطوت وأيامه قد انتهت ، لأنه أدى ما عليه وأقام دينه العظيم يؤدي فعالياته في توجيه الانسان ، واقامة سلوكه ، فإذن لابد له من الرحيل عن هذه الحياة . . . ونتحدث عن فصول هذه المأساة الكبرى التي مني بها المسلمون وننظر الى ما رافقها من الأحداث الخطيرة فانها ترتبط ارتباطاً موضوعياً بما نحن فيه ، فهي تكشف عن كثير من الأسباب التي أدت الى ما عاناه الامام الحسين ( ع ) مع أهل البيت من النكبات والخطوب .

## طلائع الرحيل :

وبدت طلائع الوفاة ، ومفارقة الحياة للقائد والمنقذ والمعلم الرسول صلى الله عليه وآله فقد كانت هناك انذارات متوالية تدلل على ذلك وهي كما يلي :

١ ـ ان القرآن نزل على الرسول (ص) مرتين فاستشعر (ص) بذلك حضور الأجل المحتوم (١) وأخذ ينعى نفسه ، ويذيع بين المسلمين مفارقته لهذه الحياة ، وكان يقول لبضعته سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام « ان جبرئيل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة ، وأنه عارضني به العام مرتين وما أرى ذلك الا اقتراب أجلي . . » (٢) .

٢ ـ انه نزل عليه الوحي بهذه الآية : « انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » وكانت هذه الآية انذاراً له بمفارقة الحياة ، فاثارت كوامن التوجس في نفسه ، وسمعه المسلمون يقول :

« ليتني أعلم متى يكون ذلك ؟ » .

ونزلت عليه سورة ( النصر ) فكان يسكت بين التكبير والقرأة ويقول :

« سبحان الله وبحمده . أستغفر الله وأتوب اليه » .

وفزع المسلمون وذهلوا ، وانطلقوا اليه يسألونه عن هذه الحالة الرهيبة فاجابهم ( ص ) :

« ان نفسي قد نُعيت الي . . » (٣) .

وفزع المسلمون وهاموا في تيارات مذهلة من الهواجس والأفكار ، فقد كان وقع ذلك عليهم كالصاعقة ، فلا يدرون ماذا سيجري عليهم ان خلت هذه الدنيا من النبي (ص) .

## حجة الوداع :

ولما علم النبي (ص) بدنو الأجل المحتوم منـــه رأى أن يحج الى

---

(١) الخصائص الكبرى ٢ / ٣٦٨ .

(٢) تاريخ ابن كثير ٥ / ٢٢٣ .

(٣) مناقب ابن شهراشوب ١ / ١٦٧ .

بيت الله الحرام ليلتقي بعامة المسلمين ، ويعقد هناك مؤتمراً عاماً يضع فيه الخطوط السليمة لنجاة أمته ، ووقايتها من الزيغ والانحراف .

وحج النبي ( ص ) حجته الأخيرة الشهيرة بحجـــة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة فاشاع فيها بين الوافدين لبيت الله الحرام ان التقاءه بهم في عامهم هذا هو آخر عهدهم به قائلاً :

« إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، بهذا الموقف أبداً .. » .

وجعل يطوف على الجماهير ، ويعرفهم بمـــا يضمن لهم نجاحهم وسعادتهم قائلاً :

« يا أيها الناس ، اني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي . . » (١) .

ان الركيزة الأولى لسلامة الأمة ، وصيانتها عن أي زيغ عقائدي هو تمسكها بكتاب الله ، والتمسك بالعترة الطاهرة فهما أساس سعادتها ونجاحها في الدنيا والآخرة .

ولما انتهى (ص ) من مراسيم الحج ، وقف عند بئر ( زمزم ) وأمر ربيعة بن أمية بن خلف فوقف تحت صدر راحلته ، وكان صبياً فقال : يا ربيعة قل :

« يا أيها الناس ان رسول الله يقول لكم : لعلكم لا تلقونني على مثل حالي هذه ، وعليكم هذا ، هل تدرون أي بلد هذا ؟ وهل تدرون أي شهر هذا ؟ وهل تدرون أي يوم هذا ؟ » .

فقال الناس : نعم هذا البلد الحرام ، والشهر الحرام ، واليوم الحرام وبعدما أقروا بذلك قال (ص ) :

« ان الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة بلدكم هذا ، وكحرمة

(١) صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٨ .

شهركم هذا ، وكحرمة يومكم هذا ألا هل بلغت ؟ » .

قالوا : نعم .

قال ( ص ) : اللهم اشهد ، واتقوا الله « ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين » فمن كانت عنده أمانة فليؤدها .

ثم قال ( ص ) : الناس فى الاسلام سواء الناس طف الصاع لآدم وحواء لا فضل لعربى على عجمي ، ولا عجمي على عربي إلا بتقوى الله ألا هل بلغت ؟

قالوا : نعم .

قال ( ص ) : اللهم اشهد ، ثم قال : لا تأتوني بأنسابكم ، وأتوني باعمالكم ، فاقول للناس هكذا ولكم هكذا ، ألا هل بلغت ؟

قالوا : نعم .

قال : اللهم اشهد : ثم قال ( ص ) : كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي ، وأول دم أضعه دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب(1) ألا هل بلغت ؟

قالوا : نعم .

قال ( ص ) : اللهم اشهد ، وكل رباً كان في الجاهليـــة موضوع تحت قدمي ، وأول رباً أضعه ربا العباس بن عبد المطلب ، ألا هل بلغت ؟

قالوا : نعم .

قال ( ص ) : اللهم اشهد ، أيها الناس انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ، ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ماحرم‌الله ثم قال :

« أوصيكم بالنساء خيراً فانما هن عوار عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً

(1) آدم بن ربيعة كان مسترضعاً في هذيل فقتله بنو سعد بن بكر

وانما اخذتموهن بامانة الله ، واستحللتم فروجهن بكتاب الله ، ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق كسوتهن ، ورزقهن بالمعروف ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحداً ، ولا يأذن في بيوتكم الا بعلمكم واذنكم ، فان فعلن شيئاً من ذلك فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح ، ألا هل بلغت ؟

قالوا : نعم .

قال ( ص ) : اللهم اشهد ، فاوصيكم بمن ملكت ايمانكم فاطعموهم مما تأكلون ، والبسوهم مما تلبسون ، وان اذنبوا فكالوا عقوباتهم الى شراركم ، ألا هل بلغت ؟

قالوا : نعم .

قال ( ص ) : اللهم اشهد ، ثم قال : ان المسلم أخو المسلم لا يغشه ولا يخونه ، ولا يغتابه ، ولا يحل له دمه ، ولا شيء من ماله الا بطيب نفسه ، الا هل بلغت ؟

قالوا : نعم .

قال : اللهم اشهد .

ويستمر ( ص ) في خطابه الحافل بما تضمنته الرسالة الاسلامية من البنود المشرقة في عالم التشريع ، ثم ختمه بقوله :

« لا ترجعوا بعدي كفاراً مضللين يملك بعضكم رقاب بعض ، اني خلفت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ألا هل بلغت ؟

قالوا : نعم .

قال ( ص ) : اللهم اشهد ، ثم التفت اليهم فطالبهم بالالتزام بما أعلنه وأذاعه فيهم قائلاً :

« انكم مسؤولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب » (١) .

وبذلك انتهى خطابه الرائع الحافل بما تحتاجه الأمة في الصعيد الاجتماعي والسياسي ، كما عين لها القادة من أهل بيته الذين يعنون بالاصلاح العام وببلوغ أهداف الأمة في مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية .

## مؤتمر غدير خم :

ولما انتهى الرسول ( ص ) من حجه قفل راجعاً الى يثرب ، وحينما انتهى موكبه الى غدير خم ، هبط عليه أمين الوحي يحمل رسالة من السماء بالغة الخطورة ، تحتم عليه بأن يحط رحله ليقوم باداء هذه المهمة الكبرى وهي نصب الامام امير المؤمنين ( ع ) خليفة ومرجعاً للامة من بعده ، وكان أمر السماء بذلك يحمل طابعاً من الشدة ولزوم الاسراع في اذاعة ذلك بين المسلمين ، فقد نزل عليه الوحي بهذه الآية :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » (٢) .

لقد أنذر النبي ( ص ) انه ان لم ينفذ ارادة السماء ذهبت أتعابه ، وضاعت جهوده وتبدد ما لاقاه من العناء في سبيل هذا الدين فانبرى ( ص ) بعزم ثابت وارادة صلبة الى تنفيذ ارادة الله ، فوضع اعباء المسير وحط رحله في رمضاء الهجير ، وأمر القوافل أن تفعل مثل ذلك ، وكان الوقت قاسياً في حرارته حتى كان الرجل يضع طرف ردائه تحت قدميه ليتقي به من

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٩٠ ـ ٩٢ .

(٢) سورة المائدة : نص على نزول هذه الآية في يوم الغدير الواحدي في أسباب النزول والرازي في تفسيره وغيرهما .

الحر ، وأمر (ص) باجتماع الناس فصلى بهم ، وبعد ما انتهى من الصلاة أمر أن توضع حدائج الابل لتكون له منبراً ففعلوا له ذلك ، فاعتلى عليها وكان عدد الحاضرين - فيما يقول المؤرخون - مائة الف أو يزيدون ، وأقبلوا بقلوبهم نحو الرسول (ص) ليسمعوا خطابه فاعلن (ص) مالاقاه من العناء والجهد في سبيل هدايتهم وانقاذهم من الحياة الجاهلية الى الحياة الكريمة التي جاء بها الاسلام ، كما ذكر لهم كوكبة من الأحكام الدينية والزمهم بتطبيقها على واقع حياتهم ، ثم قال لهم :

« انظروا كيف تخلفوني في الثقلين ؟ » .

فناداه مناد من القوم .

« ما الثقلان يا رسول الله ؟ » .

فقال (ص) : « الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بايديكم ، فتمسكوا به لا تضلوا ، والآخر الأصغر عترتي ، وان اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا . . » .

ثم أخذ بيد وصيه وباب مدينة علمه الامام امير المؤمنين (ع) ليفرض ولايته على الناس جميعاً ، حتى بان بياض ابطيهما ، ونظـر اليهما القوم ، فرفع (ص) صوته قائلاً :

« يا أيها الناس ، من أولى الناس بالمؤمنين من انفسهم ؟ ؟ » .

فاجابوه جميعاً « الله ورسوله أعلم » .

فقال (ص) : « ان الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فعلي مولاه » قال ذلك ثلاث مرات أو اربع ، ثم قال :

« اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، واحب من أحبه ، وأبغض

من أبغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وادر الحق معه حيث دار ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب . . » .

وبذلك أنهى خطابه الشريف الذي أدى فيـــه رسالة الله ، فنصب أمير المؤمنين ( ع ) خليفة ، وأقامه علماً للامة ، وقلده منصب الامامة ، وأقبل المسلمون يهرعون ، وهم يبايعون الامام بالخلافة ، ويهنئونه بامرة المسلمين وأمر النبي ( ص ) ، امهات المؤمنين ان يسرن اليه ويهنئنه ففعلن ذلك (١) ، وأقبل عمر بن الخطاب فهنأ الامام وصافحه وقال له :

« هنيئــاً يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ، ومولى كل مؤمن ومؤمنة » (٢) .

وانبرى حسان بن ثابت فاستأذن النبي ( ص ) بتلاوة ما نظمه فاذن له النبي ( ص ) فقال :

| | |
|---|---|
| يناديهم يوم الغـــدير نبيهم | بخم واسمع بالرسول منـــاديا |
| فقال فمن مولاكم ونبيكم ؟ | فقالوا : ولم يبدوا هناك التعاميا |
| الهك مولانا وأنت نبينـــا | ولم تلق منا في الولاية عاصيا |
| فقال له : قم يا علي فانني | رضيتك من بعدي إماماً وهادياً |
| فمن كنت مولاه فهذا وليه | فكونوا له اتباع صدق مواليا |
| هناك دعا اللهم وال وليـــه | وكن للذي عادى علياً معاديا (٣) |

ونزلت في ذلك اليوم الخالد في دنيا الاسلام هذه الآيـــة الكريمة

---

(١) الغدير ٢ / ٣٤ .
(٢) مسند أحمد ٤ / ٢٨١ .
(٣) الغدير ١ / ٢٧١ .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً . . » (١) .

لقد كمل الدين بولاية أمير المؤمنين ، وتمت نعمة الله على المسلمين بسمو أحكام دينهم ، وسمو قيادتهم التي تحقق آمالهم في بلوغ الحياة الكريمة وقد خطا النبي (ص) بذلك الخطوة الأخيرة في صيانة أمته من الفتن والزيغ فلم يترك أمرها فوضى — كما يزعمون — وانما عين لها القائد والموجه الذي يعنى بامورها الاجتماعية والسياسية .

ان هذه البيعة الكبرى التي عقدها الرسول العظيم (ص) الى باب مدينة علمه الامام أمير المؤمنين (ع) من أوثق الأدلة على اختصاص الخلافة والإمامة به ، وقد احتج بها الإمام الحسين (ع) في مؤتمره الذي عقده بمكة لمعارضة حكومة معاوية وشجب سياسته فقد قال (ع) :

« أما بعد : فان هذا الطاغية — يعني معاوية — قد صنع بنا وبشيعتنا ما علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم ، واني أريـــد أن أسألكم عن شيء فان صدقت فصدقوني وان كذبت فكذبوني ، واسمعوا مقالتي ، واكتبوا قولي ثم ارجعوا الى أمصاركم وقبائلكم ومن ائتمنتموه من الناس ، ووثقتم به فادعوه الى ما تعلمون من حقنا فانا نخاف أن يدرس هذا الحق ، ويذهب ويغلب ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، وما ترك شيئاً مما أنزل الله في القرآن فيهم الا تلاه وفسره ولا شيئاً مما قاله رسول الله (ص) : في أبيه وأمه ونفسه وأهل بيته إلا رواه ، وكل ذلك يقولون : اللهم نعـــم قد سمعنا وشهدنا ، ويقول التابعون : اللهم نعم قد حدثني به من أصدقه وآتمنه من الصحابة ، وقال (ع) في عرض استدلاله :

---

(١) ذكر نزول الآية في يوم الغدير الخطيب البغدادي في تاريخه ٨ / ٢٩٠ والسيوطي في الدر المنثور وغيرهما .

« أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله نصبه – يعني علياً – يوم غدير خم فنادى له بالولاية ، وقال : ليبلغ الشاهد الغائب ، قالوا : اللهم نعم . . » (١) .

إن البيعة للامام في يوم عيد الغدير جزء من رسالة الاسلام ، وركن من أركان الدين ، وهي تستهدف صيانة الأمة من التيارات العقائدية ، ووقايتها من الانحراف .

## مرض النبي :

ولما قفل النبي ( ص ) راجعاً الى يثرب بدأت صحته تنهار يوماً بعد يوم ، فقد ألم به المرض ، واصابته حمى مبرحة حتى كأن به لهبا منها فكانت عليه قطيفة فاذا وضع أزواجه وعواده أيديهم عليها شعروا بحرها (٢) وقد وضعوا الى جواره اناءً فيه ماء بارد فما زال يضع يده فيه ، ويمسح به وجهه الشريف ، وكان ( ص ) يقول : ( ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم ) ، وهرع المسلمون الى عيادته وقد خيم عليهم الأسى والذهول فازدحمت حجرته بهم فنعى اليهم نفسه وأوصاهم بما يضمن لهم السعادة والنجاح قائلاً :

« أيها الناس يوشك أن اقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي ، وقدمت اليكم القول معذرة اليكم الا اني مخلف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي » ثم أخذ بيد وصيه وخليفته من بعده الامام أمير المؤمنين قائلاً لهم :

---

(١) الغدير ١ / ١٩٩ .

(٢) البداية والنهاية ٥ / ٢٢٦ .

« هذا علي مع القرآن ، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض » (١) .

وقد قرر (ص) بذلك أهم القضايا المصيرية لأمته ، وعين لها القائد العظيم الذي تنال به جميع أهدافها وامالها .

## استغفاره لأهل البقيع :

وحينما ألمّ المرض بالنبي (ص) أيقن بمفارقته لهذه الحياة ، وحدثته نفسه أن يذهب ليودع مقابر المسلمين ويستغفر لهم ، فاستدعى أبا مويهبة في غلس الليل البهيم فلما مثل عنده أمره أن يمضي معه الى البقيع قائلاً له :

« لقد امرت بالاستغفار لأهل البقيع فلذا بعثت اليك للانطلاق معي » .

وسار النبي (ص) حتى انتهى الى بقيع الغرقد ، فسلم على الأموات وقال لهم :

« السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه ، اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها . الآخرة شر من الأولى . . » .

لقد استشف (ص) من وراء الغيب ما تمنى به أمته من الانقلاب على الأعقاب وما تصاب به من الانحراف بدينها وعقيدتها ، وانها ستواجه أمواجاً رهيبة من الفتن والضلال تعصف بها الى مجاهل سحيقة من هذه الحياة والتفت (ص) الى ابي مويهبة قائلاً له :

« يا أبا مويهبة اني قد اوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة » .

---

(١) الصواعق المحرقة .

فبهر أبو مويهبة وانطلق قائلاً : بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، فقال (ص) :

« لا والله لقد اخترت لقاء ربي والجنة » .

واستغفر (ص) لأهل البقيع ثم انصرف الى منزلـه (١) فاستقبلته عائشة وكانت تشكو صداعاً في رأسها وهي تقول :

« وارأساه » .

« بل أنا والله يا عائشة أقول : وارأساه ، ما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك ، وكفنتك وصليت عليك ، ودفنتك » .

فأثار ذلك حفيظتها ، واندفعت تقول :

« والله لكأني بك لو فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتي فاعرست فيه ببعض نسائك » .

فتبسم النبي (ص) (٢) وجعل يطوف بأزواجه وقد رأى نفسه أنه في حاجة الى التمريض فاستأذن ازواجه ان يمرض في بيت عائشة فاذنّ له في ذلك فخرج عاصباً رأسه معتمداً على علي بن ابى طالب ، وعمه العباس وقدماه لا تكادان تحملانه من المرض حتى دخل بيت عائشة .

## سرية اسامة :

واستبانت التيارات الحزبية للرسول (ص) وايقن انهـا جادة في

---

(١) البداية والنهاية ٥ / ٢٢٤ ، سيرة ابن هشام ٣ / ٩٣ ، تاريخ الطبري ٣ / ١٩٠ ، وذكرت المصادر الشيعية ان النبي (ص) لما أحس بالمرض أخذ بيد علي وتبعه الناس فتوجه الى البقيع واستغفر لأهله .

(٢) البداية والنهاية ٥ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

مخططاتها الرامية لصرف الخلافة عن اهل البيت ( ع ) فرأى ان خير وسيلة يتدارك بها الموقف ان يبعث بجميع اصحابه لغزو الروم حتى تخلو عاصمته منهم ليتم الأمر الى ولي عهده الامام أمير المؤمنين ( ع ) بسهولة ويسر ، فامر اعلام المهاجرين والأنصار بذلك وكان منهم – فيما يقول المؤرخون – ابو بكر وعمر وأبو عبيدة الجراح وبشير بن سعد (١) وأمّر عليهم اسامة ابن زيد وهو شاب حدث السن ، وكانت هذه البعثة سنة احدى عشرة للهجرة لأربع ليال بقين من صفر ، وقال ( ص ) لأسامة :

« سر الى موضع قتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحاً على اهل ابنى (٢) وحرق عليهم ، واسرع السير لتسبق الأخبار فان اظفرك الله عليهم فاقلل اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع معك . . » .

وفي اليوم التاسع والعشرين من صفر رأى جيشه قد مني بالتمرد فلم يلتحق أعلام الصحابة بوحداتهم العسكرية فساءه ذلك ، وخرج مع ما به من المرض الشديد فحثهم على المسير ، وعقد بنفسه اللواء لأسامة وقال له :

« اغز بسم الله ، وفي سبيل الله ، وقاتل من كفر بالله . . » .

فخرج اسامة بلوائه معقوداً ودفعه الى بريدة ، وعسكر بـ ( الجرف ) وتثاقل فريق من الصحابة من الالتحاق بالمعسكر ، واظهروا الطعن والاستخفاف بالقائد العام للجيش يقول له عمر :

---

(١) كنز العمال ٥ / ٣١٢ ، طبقات ابن سعد ٤ / ٤٦ ، تاريخ الخميس ٢ / ٤٦ .

(٢) ابنى – بضم الهمزة وسكون الباء ، ثم نون مفتوحة بعدها الف مقصورة – ناحية بالبلقاء من أرض سوريا بين عسقلان والرملة تقع بالقرب من موتة التي استشهد فيها زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب .

« مات رسول الله (ص) وأنت علي أمير ؟!! » .

وانتهت كلماته الى النبي (ص) وقد ازدادت به الحمى وأخذ منه الصداع القاسي مبلغاً عظيماً ، فغضب (ص) وخرج وهو معصب الرأس قد دثر بقطيفته ، وقد برح به الأسى والحزن ، فصعد المنبر وأظهر سخطه على عدم تنفيذ أوامره قائلاً :

« أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة ؟ ولئن طعنتم في تأميري أسامة ، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وأيم الله انه كان لخليقاً بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها . . . » .

ثم نزل عن المنبر ودخل بيته (1) وجعل يوصي اصحابه بالالتحاق باسامة وهو يقول لهم :

« جهزوا جيش اسامة » .

« نفذوا جيش اسامة » .

« لعن الله من تخلف عن جيش اسامة » .

ومن المؤسف أنه لم تثر هذه الأوامر المشددة حفائظ نفوسهم ، ولم يرهف عزائمهم هذا الاهتمام البالغ من النبي (ص) فقد تثاقلوا عن الإلتحاق بالجيش واعتذروا للرسول (ص) بشتى المعاذير ، وهو لم يمنحهم العذر وانما أظهر لهم السخط وعدم الرضا ، وقد حللنا أبعاد هذه الحادثة المؤلمة ودللنا على مقاصد القوم في الجزء الأول من كتابنا « حياة الامام الحسن ابن علي » .

---

(1) السيرة الحلبية ٣ / ٣٤ .

## اعطاء القصاص من نفسه :

وألمّ المرض بالنبي (ص) فكان يعاني منه أشد العناء ، فاستدعى الفضل بن عباس فقال له :

خذ بيدي يا فضل ، فاخذ بيده حتى اجلسه على المنبر ، وأمره ان ينادي بالناس الصلاة جامعة ، فنادى الفضل بذلك فاجتمعت الناس فقال صلى الله عليه وآله :

« ايها الناس ، إنه قد دنا مني خلوف من بين أظهركم ، ولن تروني في هذا المقام فيكم ، وقد كنت أرى أن غيره غير مغن عني حتى اقومه فيكم ، الا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد ، ومن كنت اخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد ، ولا يقولن قائل اخاف الشحناء ، من قبل رسول الله ، الا وان الشحناء ليست من شأني ، ولا من خلقي ، وان احبكم إلي من اخذ حقاً إن كان له عليّ او حللني فلقيت الله عز وجل ، وليس لأحد عندي مظلمة . . » .

وقد اسس (ص) بذلك معالم العدل ، ومعالم الحق بما لم يؤسسه أي مصلح في العالم فقد اعطى القصاص من نفسه ليخرج من هذه الدنيا وليس لأي احد حق او مال او تبعة عليه ، فانبرى اليه رجل فقال له :

« يا رسول الله لي عندك ثلاثة دراهم » .

فقال (ص) : « اما انا فلا اكذب قائلا ، ولا مستحلفه على يمين فبمّ كانت لك عندي ؟ » .

قال الرجل : أما تذكر انه مر بك سائل فأمرتني فأعطيته ثلاثة دراهم

فأمر ( ص ) الفضل ان يعطيها له ، وعاد ( ص ) في خطابه فقال :

« ايها الناس من عنده من الغلول شيء فليرده ؟ » .

فقام اليه رجل فقال له : يا رسول الله عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله .

قال ( ص ) : لِمَ غللتها ؟

ـ كنت اليها محتاجاً .

فأمر ( ص ) الفضل ان يأخذها منه فأخذها ، وعاد ( ص ) في مقالته فقال ( ص ) :

« ايها الناس من احس من نفسه شيئاً فليقم ادع الله له » .

فقام اليه رجل فقال : يا رسول الله اني لمنافق ، واني لكذوب ، واني لشئوم ، فزجره عمر فقال له :

« ويحك ايها الرجل لقد سترك الله او سترت على نفسك » .

فصاح به النبي (ص) « صه يابن الخطاب ، فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة ، ودعا للرجل فقال : اللهم ارزقه صدقاً وايماناً واذهب عنه الشئوم » (١) .

وانبرى اليه رجل من اقصى القوم يسمى سوادة بن قيس فقال له : يا رسول الله انك ضربتني بالسوط على بطني ، وانا اريد القصاص منك فأمر ( ص ) بلالاً ان يحضر السوط ليقتص منه سوادة ، وانطلق بلال وهو مبهور ، فراح يجوب في ازقة يثرب وهو رافع عقيرته قائلاً :

« ايها الناس اعطوا القصاص من انفسكم في دار الدنيا ، فهـذا رسول الله قد اعطى القصاص من نفسه . »

ومضى الى بيت النبي فأخذ السوط وجاء به الى الرسول فأمر ان

---

(١) البداية والنهاية ٥ / ٢٣١ .

يناوله الى سوادة ليقتص منه ، فاخذه سوادة واقبل نحو رسول الله (ص) وقد اتجه المسلمون بقلوبهم الى هذا الحادث الرهيب فالرسول (ص) قد فتك به المرض والمّ به الداء وهو يعطي القصاص من نفسه ، ووقف سوادة على رسول الله فقال له :

« يا رسول الله اكشف لي عن بطنك » .

فكشف رسول الله (ص) عن بطنه فقال له سوادة بصوت خافت حزين النبرات :

« يا رسول الله أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك ؟ » .

فاذن له رسول الله فوضع سوادة فمه على بطن رسول الله يوسعها تقبيلاً ودموعه تتبلور على خديه قائلاً :

« أعوذ بموضع القصاص من رسول الله من النار يوم النار » .

فقال له رسول الله :

« أتعفو يا سوادة أم تقتص ؟ » .

« بل اعفو يا رسول الله » .

فرفع النبي (ص) يديه بالدعاء قائلاً :

« اللهم اعفو عن سوادة كما عفا عن نبيك » (١) .

وذهل المسلمون وهاموا في تيارات من الهواجس والأفكار ، وأيقنوا بنزول القضاء من السماء ، فقد انتهت أيام نبيهم ، ولم يبق بينهم إلا لحظات هي أعز عندهم من الحياة .

---

(١) بحار الأنوار ٦ / ١٠٣٥ .

## التصدق بما عنده :

وكانت عند النبي (ص) قبل مرضه سبعة دنانـــير أو ستة فخاف صلى الله عليه وآله أن يقبضه الله وهي عنده فأمر أهله بالتصدق بهـــا ، ولكن انشغالهم بتمريضه أنساهم ذلك ، وكان (ص) يفكر بها فسألهـــم عنها فاجابوه انها لا تزال باقية عندهم فطلب منهم أن يحضروها فلما جيء بها اليه وضعها في كفه وقال :

« ماظن محمد بربه لو لقى الله وعنده هذه » .

ثم تصدق بها ، ولم يبق عنده أي شيء من حطام الدنيا (١) ، وقد تحرج (ص) في حياته عن جميع ملاذ هذه الحياة ، فكان فيما يقول الرواة إنه خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير (٢) وقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير (٣) وكانت وسادته من أدم حشوها ليف (٤) وكان يجلس على حصير حتى أثر في جنبه فقال له أصحابه : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً ، فقال لهم : مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها (٥) وقد جاءته فاطمة بكسرة خبز فقال لها : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ قالت : قرص خبز

---

(١) مسند أحمد ٦ / ١٠٤ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأطعمة .

(٣) مسند أحمد ٤ / ١٠٥ .

(٤) صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة .

(٥) صحيح الترمذي ٦ / ٦٠ .

لم تطب نفسي حتى اتيتك بها ، فقال ( ص ) : أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام (١) .

وكان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لايجدون عشاءً (٢) وروت عائشة عن زهده فقالت : ظل رسول الله ( ص ) صائماً ثم طوى ، ثم ظل صائماً ثم طوى ، ثم ظل صائماً ، فقال : يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد وآل محمد ، يا عائشة ان الله لم يرض من اولي العـــزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها ، والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني الا ان يكلفني ما كلفهم فقال : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » واني والله لاصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة الا بالله (٣) .

وظل رسول الله ( ص ) على هذه الحالة زاهداً في الدنيا غير حافل بجميع ما فيها من المتع والنعم حتى توفاه الله واختاره اليه .

## رزية يوم الخميس :

واستشف الرسول ( ص ) من التحركات السياسية التي صدرت من أعلام صحابته انهم يبغون لأهل بيته الغوائل ، ويتربصون بهم الدوائر ، وانهم مجمعون على صرف الخلافة عنهم ، فرأى ( ص ) أن يصون امته من الزيغ ، ويحميها من الفتن فقال ( ص ) :

---

(١) طبقات ابن سعد ج١ القسم ٢ ص١١٤ .

(٢) صحيح الترمذي ٢ / ٥٧ .

(٣) الدر المنثور للسيوطي نص عليه في تفسيره لقوله تعالى : « فاصبر كما صبر اولو العزم » .

« إئتوني بالكتف والدواة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً » (١)

وهل هناك نعمة على المسلمين اعظم من هذه النعمة ؟ إنه ضمان من سيد الأنبياء ـ الذي لا ينطق عن الهوى ـ ان لا تضل امته في مسيرتها ، وتواكب الحق وتهتدي الى سواء السبيل .

انه صيانة لتوازن الأمة ، واستقامتها ، وضمان لرخائها وامنها ، وتطور لحياتها .

انه التزام من سيد الكائنات بان لا تصاب امته بنكسة أو ازمة في ميادينها السياسية والاقتصادية .

حقاً انها فرصة من أثمن الفرص وأندرها في تاريخ هذه الأمة ، ولكن القوم لم يستغلوها ، فقد علموا قصد الرسول (ص) وانه سينص على باب مدينة علمه وأبي سبطيه ، وتضيع بذلك اطماعهم ومصالحهم فرد عليه أحدهم :

« حسبنا كتاب الله . . . » .

ولو كان هذا القائل يحتمل أن النبي (ص) يوصي بحماية الثغور أو بالمحافظة على الشؤون الدينية لما رد عليه بهذه الجرأة ، ولكنه علم قصده من النص على خلافة امير المؤمنين .

وكثر الخلاف بين القوم فطائفة حاولت تنفيذ ما أمر به الرسول ، وطائفة اخرى اصرت على معارضتها خوفاً على فوات مصالحها ، وانطلقت النسوة من وراء الستر فأنكرن عليهم هذا الموقف المتسم بالجرأة على النبي صلى الله عليه وآله وهو في ساعاته الأخيرة من حياته ، فقلن لهم :

« ألا تسمعون ما يقول رسول الله ؟!! » .

فثار عمر وصاح فيهن خوفاً على الأمر ان يفلت منهم فقال لهن :

---

(١) الرواية أخرجها الطبراني في الأوسط ، والبخاري ، ومسلم وغيرهم

« إنكن صويحبات يوسف اذا مرض عصرتن اعينكن ، وإذا صح ركبتن عنقه . . » .

فرمقه الرسول وصاح به .

« دعوهن فانهن خير منكم . . » .

وبدا صراع رهيب بين القوم ، وكادت أن تفوز الجبهة التي ارادت تنفيذ ما أمر به الرسول ( ص ) ، فانبرى احدهم فسدد سهماً لما رامه النبي ( ص ) وأفسد عليه ما أراد قائلاً :

« ان النبي ليهجر . . » (١) .

لقد انستهم الأطماع السياسية مقام النبي ( ص ) الذي زكاه الله وعصمه من الهجر وغيره مما ينقص الناس .

ألم يسمعوا كلام الله يتلى عليهم في اناء الليل واطراف النهار ، وهو يعلن تكامل النبي ( ص ) وتوازن شخصيته ، قال تعالى : « ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى » وقال تعالى : « انــه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون » .

لقد وعى القوم آيات الكتاب في حق نبيهم لم يخامرهم شك في عصمته وتكامل شخصيته ، ولكن الأطماع السياسية دفعتهم الى هذا الموقف الذي يحز في نفس كل مسلم ، وكان ابن عباس اذا ذكر هذا الحادث الرهيب

---

(١) نص على الحادثة المؤلمة جميع المؤرخين في الاسلام ، وذكرها البخاري في صحيحه عدة مرات في ٤ / ٦٨ و ٦٩ ، و ٦ / ٨ ، الا انه كتم اسم القائل ، وفي نهاية غريب الحديث ، وشرح النهج المجلد الثالث ( ص١١٤ ) تصريح باسمه .

يبكي حتى تسيل دموعه على خديه كأنها نظام اللؤلؤ ، وهو يصعد آهاته ويقول :

« يوم الخميس ، وما يوم الخميس ؟ ! ! قال رسول الله ( ص ) : إئتوني بالكتف والدواة : أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فقالوا: إن رسول الله يهجر . . . » (١) .

حقاً انها رزية الاسلام الكبرى فقد حيل بين المسلمين وبين سعادتهم وتقدمهم في ميادين الحق والعدل .

## فجيعة الزهراء :

ونخب الحزن قلب بضعة الرسول ( ص ) وريحانته ، وبرّح بها الألم وأضناها الأسى حينما علمت أن أباها مفارق لهذه الحياة فقد جاءت اليه تتعثر بخطاها وهي مذهولة كأنها تعاني الآم الاحتضار فجلست الى جانبه وهي محدقة بوجهه وسمعته يقول : « وا كرباه » .

ويمتلىء قلبها الطاهر بالأسى والحزن والحسرات فتسرع اليه قائلة :

« وا كربي لكربك يا أبتي » .

فاشفق الرسول ( ص ) حينما رأى حبيبته كأنها صورة جثمان قد فارقته الحياة فقال لها مسلياً :

« لا كرب على أبيك بعد اليوم » (٢) .

فكانت هذه الكلمات أشد على نفسها من هول الصاعقة فقد علمت أن أباها سيفارقها ، ورآها النبي ( ص ) وهي ولهى حائرة ، قد خطف

(١) مسند أحمد ١ / ٣٥٥ وغيره .

(٢) حياة الامام الحسن ١ / ١١٢ .

الحزن لونها وهامت في تيارات مذهلة من الأسى فأراد أن يسليها فأمرها بالدنو اليه واسر اليها بحديث فلم تملك نفسها ان هامت عيناها بالدموع ثم أسر اليها ثانية فقابلته ببسمات فياضة بالبشر والسرور ، وعجبت عائشة من ذلك وراحت تقول :

« ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن ! ! » :

وسألتها عائشة عما أسر اليها أبوها فاشاحت بوجهها عنها وأبت أن تخبرها ، ولما انصرمت الأيام أخبرت سلام الله عليها عن ذلك فقالت أخبرني :

« إن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة ، وانه عارضني في هذا العام به مرتين ولا أراه الا قد حضر أجلي . . » .

وكان هذا هو السبب في لوعتها وبكائها ، وأما سبب سرورها وابتهاجها فتقول أخبرني :

« إنك أول أهل بيتي لحوقاً بي ، ونعم السلف أنا لك . . . الا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة . . » (١) .

لقد كان السبب في اخماد لوعتها اخباره لها أنها اول أهل بيته لحوقاً به ، وأخذ (ص) يخفف عنها لوعة المصاب قائلاً لها :

« يا بنية لا تبكي ، واذا مت فقولي انا لله وإنا اليه راجعون ، فان فيها من كل ميت معوضة » .

وقالت له بصوت خافت حزين النبرات :

« ومنك يا رسول الله ؟ » .

« نعم ومني » (٢) .

---

(١) حياة الامام الحسن ١ / ١١٣ .

(٢) انساب الأشراف ج١ ق١ ص١٣٣ .

واشتد الوجع برسول الله (ص) فجعلت تبكي وتقول لأبيها : أنت والله كما قال القائل :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه　　ثمال اليتامى عصمة للارامل

وأفاق رسول الله (ص) فقال لها : هذا قول عمك أبي طالب ؛ وقرأ قوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين » (١) .

وروى انس بن مالك قال : جاءت فاطمة ومعها الحسن والحسين الى النبي (ص) في مرضه الذي قبض فيه فانكبت عليه ، والصقت صدرها بصدره وهي غارقة في البكاء فنهاها النبي عن ذلك فانطلقت الى بيتها والنبي تسبقه دموعه ، وهو يقول :

« اللهم أهل بيتي ، وأنا مستودعهم كل مؤمن . . » .

وجعل يردد ذلك ثلاث مرات وهو مثقل بالهم لعلمه بما سيجري عليهم من المحن والخطوب .

## ميراث النبي لسبطيه :

ولما علمت سيدة النساء ان لقاء أبيها بربه قريب خفت الى دارها وصحبت معها ولديها الحسن والحسين ، وهي تذرف الدموع ، وتطلب منه أن يورثهما شيئاً من مكارم نفسه التي عطر شذاها العالم بأسره قائلة :

« أبه هذان ولداك فورثهما منك شيئاً . . » .

---

(١) أنساب الأشراف ج١ ق١ ( ص١٢٣ ) .

ويفيض عليهما الرسول ببعض خصائصه وذاتياته التي امتاز بها على سائر النبيين قائلاً :

« أما الحسن فان له هيبتي وسؤددي ، وأما الحسين فان له جرأتي وجودي » (١) .

ويقومان الحسنان من عند جدهما وقد ورثا منه الهيبة والسؤدد ، والجرأة والجود ، وهل هناك مما تحويه هذه الأرض أثمن وأعز من هذا الميراث الذي لا صلة له بعالم المادة وشؤونها ، وانما يحوي كمالات النبوة وخصائصها

## وصية النبي بالسبطين :

وأوصى النبي (ص) الامام علياً برعاية سبطيه ، وكان ذلك قبل موته بثلاثة ايام ، فقد قال له :

« يا أبا الريحانتين أوصيك بريحانتي من الدنيا فعن قليل ينهدم ركناك والله خليفتي عليك . . » .

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ٢ / ٤٦٥ ، وفي نظم درر السمطين (ص٢١٢) ان فاطمة (ع) قالت : يا رسول الله انحل ابني الحسن والحسين فقال : « انحل الحسن المهابة والحلم ، وانحل الحسين السماحة والرحمة » وفي رواية : « نحلت هذا الكبير المهابة والحلم ، ونحلت الصغير المحبة والرضى » وفي ربيع الأبرار (ص٣١٥) جاءت فاطمة بابنيها الى رسول الله (ص) فقالت : يا رسول الله انحلهما ، قال : فداك أبوك ما لأبيك مال فينحلهما ثم أخذ الحسن فقبله ، وأجلسه على فخذه اليمنى ، وقال : ( أما ابني هذا فنحلته خلقي وهيبتي ، وأخذ الحسين فقبله ووضعه على فخذه اليسرى ، وقال : نحلته شجاعتي وجودي » .

ولما قبض الرسول ( ص ) قال علي : « هذا أحد ركني الذي قال لي رسول الله » .

فلما ماتت فاطمة قال علي : « هـــذا الركن الثاني الذي قال لي رسول الله ( ص ) » (١) .

## لوعة النبي على الحسين :

وخف الامام الحسين ( ع ) الى جده الرسول ( ص ) حينما كان يعاني آلام المرض وشدائد الاحتضار ، فلما رآه ضمه الى صدره وذهل عن آلام مرضه وجعل يقول :

« مالي وليزيد ، لا بارك الله فيه ، اللهم يزيد . . . » .

ثم غشي عليه طويلاً ، فلما أفاق أخذ يوسع الحسين تقبيلاً ، وعيناه تفيضان بالدموع ، وهو يقول :

« أما ان لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عز وجل » (٢) .

لقد تمثلت كارثة الحسين ( ع ) أمام جده الرسول وهو في ساعاته الأخيرة فزادته آلاماً وأحزاناً .

## الى جنة المأوى :

وآن الوقت لتلك الروح العظيمة التي لم يخلق الله نظيراً لها فيما مضى

---

(١) أمالي الصدوق ( ص١١٩ ) .

(٢) نفس المهموم للشيخ عباس القمي ( ص٢٩ — ٣٠ ) نقله عن مثير الأحزان لابن نما الحلي .

من سالف الزمن وما هو آت ، أن تفارق هـــذه الحياة لتنعم بجوار الله ولطفه ، وجاء ملك الموت فاستأذن بالدخول على الرسول ( ص ) فأخبرته الزهراء بأن رسول الله ( ص ) مشغول بنفسه عنه ، فانصرف ، وعاد بعد قليل يطلب الاذن ، فأفاق الرسول ( ص ) من اغمائه ، وقال لابنته :

« أتعرفيه ؟ » .

« لا يا رسول الله »

« انه معمر القبور ، ومخرب الدور ، ومفرق الجماعات » .

وقُدّ قلب الزهراء ( ع ) وأحاط بهـــا الذهول وأخرسها الخطب ، واندفعت تقول :

« وا ويلتاه لموت خاتم الأنبياء ، وا مصيبتاه لممات خير الأتقياء ، ولانقطاع سيد الأصفياء ، وا حسرتاه لانقطاع الوحي من السماء ، فقـــد حرمت اليوم كلامك . . » .

وتصدع قلب النبي ( ص ) واشفق على بضعته فقال لها :

« لا تبكي فانك اول أهلي لحوقاً بي » (١) .

واذن النبي ( ص ) بالدخول لملك الموت ، فلما مثل أمامه قال له :

« يا رسول الله ، ان الله أرسلني اليك ، وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها وإن أمرتني ان اتركها تركتها . . »

فبهر النبي ( ص ) وقال له :

« أتفعل يا ملك الموت ذلك ؟ » .

« بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني » .

وهبط جبرئيل على النبي ( ص ) فقال له :

---

(١) درة الناصحين ( ص٦٦ ) .

« يا أحمد ان الله قد اشتاق اليك » (١) .

واختار النبي (ص) جوار ربه ، فاذن لملك الموت بقبض روحه العظيمة ولما علم أهل البيت (ع) ان النبي (ص) سيفارقهم في هذه اللحظات خفوا الى توديعه وجاء السبطان فالقيا بأنفسهما عليه وهما يذرفان الدموع والنبي (ص) يوسعهما تقبيلاً فأراد أمير المؤمنين (ع) أن ينحيهما عنه فأبى النبي (ص) وقال له :

« دعهما يتمتعان مني واتمتع منهما فستصيبهما بعدي إثرة . . » .

ثم التفت الى عواده فقال لهم :

« قد خلفت فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنتي ، والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض . . » (٢) .

وقال لوصيه وباب مدينة علمه الامام أمير المؤمنين (ع) :

« ضع رأسي في حجرك فقد جاء أمر الله ، فاذا فاضت نفسي فتناولها وامسح بها وجهك ، ثم وجهني الى القبلة ، وتولّى أمري ، وصل علي أول الناس ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي ، واستعن بالله عز وجل .. » .

وأخذ امير المؤمنين رأس النبي (ص) فوضعه في حجره ، ومد يده اليمنى تحت حنكه ، وقد شرع ملك الموت بقبض روحه الطاهرة ، والرسول صلى الله عليه وآله يعاني آلام الموت وشدة الفزع حتى فاضت روحه الزكية فمسح بها الامام وجهه (٣) .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ٤٨ .

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ١١٤ .

(٣) المناقب ١ / ٢٩ ، وتضافرت الأخبار بأن رسول الله (ص) توفي ورأسه في حجر علي انظر كنز العمال ٤ / ٥٥ ، طبقات ابن سعد وغيرهما

ومادت الأرض ، وخبا نور العدل والحق ، ومضى من كانت حياته رحمة ونوراً للناس جميعاً ، فما اصيبت الانسانية بكارثة اقسى من هذه الكارثة لقد مات القائد والمنقذ والمعلم ، واحتجب ذلك النور الذي أضاء الطريق للانسان وهداه الى سواء السبيل .

ووجم المسلمون وطاشت أحلامهم ، وعلاهم الفزع ، والجزع ، والذعر وهرعت نساء المسلمين ، وقد وضعن أزواج النبي الجلاليب عن رؤوسهن يلتدمن صدورهن ، ونساء الأنصار قد ذابت نفوسهن من الحزن وهن يضربن الوجوه حتى ذبحت حلوقهن من الصياح (١) .

وكان أكثر أهل بيته لوعة ، وأشدهم حزناً بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) فقد وقعت على جثمانه ، وهي تبكي أمر البكـــاء وأقساه ، وهي تقول :

« واأبتاه ، وارسول الله ، وانبي الرحمتاه ، الآن لا يأتي الوحي الآن ينقطع عنا جبرئيل ، اللهم الحق روحي بروحه ، واشفعني بالنظر الى وجهه ، ولا تحرمني أجره وشفاعته يوم القيامة » (٢) .

وأخذت تجول حول الجثمان العظيم ، وهي تقول :

« واأبتاه الى جبرئيل أنعاه . . . واأبتاه جنة الفردوس مأواه . . واأبتاه أجاب رباً دعاه !! » (٣) .

---

(١) أنساب الأشراف ق١ / ج١ / ٥٧٤ .

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ١٩٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢ / ٨٨ ، سنن ابن ماجة وجاء فيه ان حماد ابن زيد ، قال : رأيت ثابت راوي الحديث حينما يحدث به يبكي حتى تختلف أضلاعه .

وهرع المسلمون وهم ما بين واجم ونائح قـد مادت بهم الأرض وذهلوا حتى عن نفوسهم قد عرتهم الحيرة والذهول .

## تجهيز الجثمان المقدس :

وتولى الامام أمير المؤمنين (ع) تجهيز النبي (ص) ولم يشاركه أحد فيه فقام في تغسيله وهو يقول : « بأبي أنت وأمي ، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء ، وأخبار السماء خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك ، وعممت حتى صار الناس فيك سواء .
ولو لا انك امرت بالصبر ، ونهيت عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشؤون ، ولكان الداء مماطلاً ، والكمد محالفاً . . » (١) .
وكان العباس عم النبي (ص) واسامة يناولانه الماء من وراء الستر (٢)
وكان الطيب يخرج من بدن رسول الله (ص) والامـام يقول : « بأبي أنت وأمي يا رسول الله طبت حياً وميتاً » (٣) ، وكان الماء الذي

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٢ / ٢٥٥ .
(٢) وفاء الوفاء ١ / ٢٢٧ ، البداية والنهاية ٥ / ٢٦٣ ، وفي كنز العمال ٤ / ٥٣ ان علياً غسل رسول الله (ص) وكان الفضل بن عباس وأسامة يناولانه الماء ، وفي البداية والنهاية ٥ / ٢٦٠ ان اوس بن خولى الأنصاري ، وكان بدرياً ، نادى يا علي ننشدك الله وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال له علي : ادخل فدخل فحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يل من غسله شيئاً .
(٣) طبقات ابن سعد / القسم الثاني (ص٦٣) .

غسل فيه من بئر يقال لها الغرس كان ( ص ) يشرب منها (١) ، وبعد الفراغ من غسله ادرجه في اكفانه ، ووضعه على السرير .

## الصلاة عليه :

وأول من صلى على الجثمان المقدس هو الله تعالى من فوق عرشه ، ثم جبرئيل ، ثم اسرافيل ، ثم الملائكة زمراً زمراً (٢) ، ثم صلى عليه الامام امير المؤمنين ( ع ) وأقبل المسلمون للصلاة على جثمان نبيهم فقال لهم الامام امير المؤمنين ( ع ) : لا يقوم عليه امام منكم ، هو إمامكم حياً وميتاً فكانوا يدخلون عليه رسلا رسلا فيصلون عليه صفاً صفاً ليس لهم امام وأمير المؤمنين واقف الى جانب الجثمان وهو يقول :

« السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم انا نشهد انه قد بلغ ما أنزل اليه ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل اليه ، وثبتنا بعده واجمع بيننا وبينه » .

وكان الناس يقولون آمين (٣) .

وكانت الجموع تمر على الجثمان العظيم كاسفة البال كسيرة الطرف قد نخر الحزن قلوبها ، فقد مات من دعاهم الى الهدى والحق ، وأسس لهم دولة تدعو الى انصاف المظلوم ، والانتصاف من كل معتد أثيم ، ومن أشعل نور الهدى ، وأضاء الحياة الفكرية في جميع انحاء الأرض .

---

(١) البداية والنهاية ٥ / ٢٦١ .

(٢) حلية الأولياء ٤ / ٧٧ .

(٣) كنز العمال ٤ / ٥٤ .

## دفنـــه :

وبعد أن فرغ المسلمون من الصلاة على الجثمان العظيم وودعوه الوداع الأخير قام الامام امير المؤمنين (ع) في غلس الليل فوارى الجثمان المقدس في مثواه الأخير ووقف على حافة القبر وهو يروي ترابه بماء عينيه ، وقال بصوت خافت حزين النبرات :

« ان الصبر لجميل الا عنك ، وان الجزع لقبيح الا عليك ، وان المصاب بك لجليل ، وانه قبلك وبعدك لجلل . . » (١) .

لقد انطوت الوية العدل ، ومادت أركان الحق ، وارتفع ذلك اللطف الآلهي الذي غيّر مجرى الحياة الى واقع مشرق تتلاشى فيه آهات المظلومين والمعذبين ولا يكون فيه ظل للحاجة والحرمان ، ويجـــد فيه الانسان جميع ما يصبو اليه من الدعة والأمن والاستقرار .

## فزع العترة الطاهرة :

وفزعت العـــترة الطاهرة من موت الرسول (ص) كأشد وأقسى ما يكون الفزع فقد خافت من انتفاض العرب الذين وترهم الاسلام عليها فان نزعة الأخذ بالثأر متأصلة وذاتية عند العرب وغيرهم ، وقـــد كانت قلوبهم مليئة بالحقد والكراهية لأسرة النبي (ص) يتربصون بها الدوائر ، ويبغون لها الغوائل للانتقام منها ، وكانوا يرون ان علياً هو الذي وترها وأطاح برؤوس أبنائها ، فهي تتطلع اليه للاخذ بثأرها منه ، وقد أيقن علي

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٣ / ٢٢٤ .

وسائر أفراد اسرته بذلك ، فقد باتوا ليلة وفاة النبي ( ص ) وهم يتوسدون الأرق ، قد أحاطت بهم الهواجس ، والآلام ، وقد حكى مدى ذعرهم الامام الصادق عليه السلام بقوله :

« لما مات النبي ( ص ) بات أهل بيته كأن لا سماء تظلهم ولا ارض تقلهم لأنه وتر الأقرب والأبعد . . » (١) .

وقد عانى الامام الحسين ( ع ) وهو في سنه المبكر هذه المحنة الكبرى وعرف أبعادها ، وما تنطوي عليه من الرزايا التي ستعانيها اسرته ، كما انه قد فقد بموت جده العطف الذي كان يغدقه عليه ، وقد اضناه ما حل بأبويه من فادح الأسى والحزن بموت الرسول ( ص ) وقد ترك ذلك اسى في نفسه استوعب مشاعره وعواطفه .

لقد مضى الرسول ( ص ) الى جنة المأوى ، وكان عمر الامام الحسين عليه السلام — فيما يقول المؤرخون — ست سنين وسبعة أشهر (٢) وقد تكاملت في ذلك الدور جميع مظاهر شخصيته وعرف واقــع الأحداث التي جرت وما دبره القوم من المخططات الرهيبــة لصرف الخلافة عن اهل البيت (ع ) ، فقد تركوا جنازة نبيهم غير حافلين بها وذهبوا يختصمون على الحكم ويتنازعون على السلطان ، وقد عرفته تلك الأحداث طبيعة المجتمع وسائر غرائزه واتجاهاته ، فأعلن (ع ) رأيه فيه بقوله : « الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحيطونه حيث ما دارت معائشهم فاذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون ، وهذه الظاهرة الذاتية سائدة في جميع انحاء المجتمع لا تتخلف في جميع ادوار التاريخ .

---

(١) بحار الأنوار ج٦ / باب وفاة النبي .

(٢) منهاج السنة ٣ / ١١ ، وجاء فيه ان النبي (ص ) مات ولم يكمل الحسين سبع سنين .

لقد حفلت وفاة النبي (ص) باحداث رهيبة بالغة الخطورة كان من أفجعها وأقساها ابعاد العترة الطاهرة عن الشؤون السياسية في البلاد وجعلها في معزل عن واقع الحياة الاجتماعية ، في حين ان الامة لم تكن بأي حال في غنى عن ثرواتها الفكرية والعلمية المستمدة من الرسول الاعظم (ص) كما ان الهزات العنيفة التي مُنيت بها الامة إنما جاءت نتيجة حتمية لفصل الخلافة عن أهل البيت ، فقد انتشرت الاطماع السياسية بشكل سافر عند كثير من الصحابة مما أدى الى تشكيلهم للاحزاب النفعية التي لم تكن تنشد في مخططاتها السياسية سوى الوصول الى الحكم والتنعم بخيرات البلاد .

وعلى أي حال فان موت الرسول (ص) كان من أفجع الكوارث الاجتماعية التي دهمت المسلمين ، وقد حكى الذكر الحكيم مدى خطورتها قال تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً » ، وقد تحقق هذا الانقلاب الخطير الذي عناه الله على مسرح الحياة العامة ، وكان من أفجع أنواعه ابادة العترة الطاهرة على صعيد كربلاء ، ورفع رؤوس أبناء النبي (ص) على الحراب وسبي مخدرات الرسالة يطاف بها في الاقطار والامصار .

# حكومة الشيخين



والشيء المحقق ان الرسول ( ص ) قد اهتم اهتماماً بالغاً بتكييف حالة المسلمين وتقرير مصيرهم ، واستمرار حياتهم في طريقهــا الى التطور في مجالاتها الاجتماعية والسياسية ، ورسم لهــا الطريق على أساس من المنهج التجريبي الذي لا يخضع بأي حال لعوامل العاطفة أو المؤثرات الخارجية ، فعين لها الامام أمير المؤمنين ( ع ) لقيادتها الروحية والزمنية ، وذلك لما يتمتع به من القابليات الفذة التي هي باجماع المسلمين لم تتوفر في غيره ، ولعل من أهمها ما يلي :

١ ـ احاطته بالقضاء فقد كان المرجع الأعلى للعالم الاسلامي في ذلك وقد اشتهرت مقالة عمر فيه : « لو لا علي لهلك عمر » ولم ينازعه أحد من الصحابة في هذه الموهبة ، فقد أجمعوا على أنه أعلم الناس بعد رسول الله ( ص ) وأبصرهم بأمور الدين وشؤون الشريعة ، وأوفرهم دراية في الشؤون السياسية والادارية ، وعهده لمالك الأشتر من أوثق الأدلة على هذا القول ، فقد حفل هذا العهد بما لم يحفل به أي دستور سياسي في الاسلام وغيره فقــد عنى بواجبات الدولة تجاه المواطنين ومسؤوليتها بتوفير العدل السياسي والاجتماعي لهم ، كما حدد صلاحيات الحكام ومسؤولياتهم ، ونص على الشروط التي يجب أن تتوفر في الموظف في جهاز الحكم من الكفاءة ، والدراية التامة بشؤون العمل الذي يعهد اليه ، وأن يتحلى بالخلق والايمان ، والحريجة في الدين الى غير ذلك من البنود المشرقة التي حفل بها هذا العهد والتي لا غنى للأمة حكومة وشعباً عنها ، وقد ألمعت كثير من رسائله الى ولاته وعماله بالشؤون السياسية التي دلت على أنه ألمع سياسي في الاسلام وغيره ، وكما كان أعلم المسلمين بهذه الأمور فقد كان من أعلمهم بسائر العلوم الأخرى كعلم الكلام والفلسفة وعلم الحساب وغيرها ، وقد فتق أبواباً كثيرة من العلوم تربو على ثلاثين علماً حسب ما يقول المترجمون له ، ومع هذه الثروات العلمية الهائلة

التي يتمتع بها كيف لا ينتخبه الرسول ( ص ) أو يرشحه لمنصب الخلافة التي هي المحور الذي تدور عليه سيادة الأمة وأمنها .

ان الطاقات العلمية الضخمة التي يملكها الامام تقضي بحكم المنطق الاسلامي الذي يؤثر الصالح العام على كل شيء أن يكون هو المرشح للقيادة العامة دون غيره ، فان الله تعالى يقول : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وليس أدعى الى السخرية من القول بجواز تقديم المفضول على الفاضل ، فان هذا المنطق يوجب الغبن في العلم والزهد في الفضيلة وتأخير الأمة وانحطاط قيمها ومُثلها .

٢ ـ ان الامام أمير المؤمنين (ع ) كان من أشجع الناس ، وأثبتهم قلباً ، وقد استوعبت شجاعته النادرة جميع لغات الأرض ، وهو القائل سلام الله عليه : « لو تظافرت العرب على قتالي لما وليت عنها » ، وقد قام هذا الدين بسيفه وبُني على جهاده وجهوده ، وهو صاحب المواقف المشهورة يوم بدر ، ويوم حنين ، ويوم الأحزاب ، قد حصد رؤوس المشركين ، وأباد ضروسهم ، وأشاع فيهم القتل ، لم تنفتح ثغرة على الاسلام إلا تصدى الى اسكاتها ، وقدمه رسول الله (ص ) أميراً في جميع المواقف والمشاهد ، واسند إليه قيادة جيوشه العامة ، وما ولج حرباً إلا فتح الله على يده وهو الذي قهر اليهود ، وفتح حصون خيبر ، وكسر شوكتهم وأخمد نارهم .

والشجاعة من العناصر الأساسية التي تتوقف عليها القيادة العامة ، فان الأمة اذا منيت بالأزمات والنكسات وكان زعيمها ضعيف الارادة خائر القوى جبان القلب فانها تصاب حتماً بالكوارث والخطوب ، وتلاحقها الضربات والنكبات .

ومع توفر هذه الصفة بأسمى معانيها في الامام أمير المؤمنين ( ع )

كيف لا يرشحه النبي (ص) للخلافة الاسلامية ؟ انه بحكم شجاعته الفذة التي تصحبها جميع الصفات الفاضلة والمثل الكريمة كان متعيناً لقيادة الأمة وادارة شؤونها ، حتى لو لم يكن هناك نص من النبي (ص) عليه .

٣ ـ وأهم صفة لابد من توفرها عند من يتصدى لزعامة الأمة نكران الذات ، وايثار مصلحة الأمة على كل شيء ، وعدم الاستئثار بالفيء وغيره من أموال المسلمين ، وكانت هذه الظاهرة من أبرز ما عرف بـه الامام أيام حكومته فلم يعرف المسلمون ولا غيرهم حاكماً تنكر لجميع مصالحه الخاصة كالامام أمير المؤمنين (ع) فلم يدخر لنفسه ولا لأهل بيته شيئاً من أموال الدولة ، وتحرج فيها تحرجاً شديداً ، وقد أجهد نفسه على أن يسير بين المسلمين بسيرة قوامها الحق المحض والعدل الخالص ، وسنذكر ذلك بمزيد من التفصيل عند البحث عن حكومته .

٤ ـ العدالة : وهي من أبرز الصفات الماثلة في شخصية الامام فقد أترعت نفسه الشريفة بتقوى الله ، والتجنب عن معاصيه ، فلم يؤثر أي شيء على طاعة الله ، وقد تحرج أشد ما يكون التحرج عن كل ما لا يقره الدين وتأباه شريعة الله ، وهو القائل : « والله لو اعطيت الأقاليم السبع بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في جلب شعيرة أسلبها من فم جرادة ما فعلت » وكان من مظاهر عدالته النادرة انه امتنع من اجابة عبد الرحمان بن عوف حينما ألح عليه أن يقلده الخلافة شريطة الالتزام بسياسة الشيخين فأبى الا أن يسير على وفق رأيه واجتهاده الخاص ، ولو كان من طلاب الدنيا وعشاق السلطان لأجابه الى ذلك ثم يسير على وفق ما يراه ، ولكنه لا يلتزم بشيء لا يقره ، فلم يسلك أي طريق فيه التواء او انحراف عن مثل الاسلام وهديه.
لقد توفرت العدالة بارحب مفاهيمها في شخصية الامام (ع) وهي

من العناصر الرئيسية التي يجب أن يتحلى بها من يتقلد زمام الحكم ويلي أمور المسلمين .

هذه بعض خصائص الامام (ع) فكيف لا يرشحه النبي (ص) ولا ينتخبه لمنصب الخلافة ؟ ! ! على أنا لو التزمنا بمبدأ الوراثة الذي احتج به المهاجرون على الأنصار لكان الامام أولى من غيره بمقام النبي (ص) فهو ابن عمه وختنه على ابنته وأبو سبطيه ، يقول سيديو :

« لو كان قد تم الاعتراف بمبدأ الوراثة وهو في صالح علي منذ البداية لكان بوسع ذلك أن يمنع المنازعات النكباء التي اغرقت الاسلام في الدم . كان زوج فاطمة يضم في شخصه حق الوراثة كوارث شرعي للرسول كما يضم الحق بالانتخاب » (١) .

إن التأمل الدقيق الذي لا يخضع لعوامل العاطفة والتقليد يقضي بأن النبي (ص) قد عين من ينوب عنه في ادارة شؤون الخلافة ، ولم يهمل هذه الجهة المصيرية لأمته ، وانه قد نصّ على الامام أمير المؤمنين لا لقاعدة الوراثة وغيرها من الاعتبارات العاطفية ، وانما لتوفر الصفات القيادية في شخصيته . . . وان من أوهى الأقوال وأكثرها بُعداً عن منطق الدليل القول بأن النبي (ص) قد أهمل أمر الخلافة ، ولم يعرض لها بشيء ، وانما ترك أمرها للمسلمين ، وجعل لهم الحرية في اختيار من شاؤا فان ذلك — حسب ما يقوله علماء الشيعة — تدمير للبناء الاجتماعي الذي أقامه الاسلام والقاء للأمة في الفتن والأزمات ، وفعلاً قد تحقق ذلك على مسرح الحياة الاسلامية حينما عمدت الأمة الى إلغاء النصوص الواردة من النبي في حق الامام (ع) فقد واجهت هزات عنيفة ، وعصفت بها الفتن والأهواء فقد سادت الأطماع السياسية عند الكثيرين من قادة المسلمين ، وتهالكوا على

---

(١) روح الاسلام ( ص٢٩٢ ) .

الأمرة والسلطان ، فدفعوا بالقطاعات الشعبية الى الحروب الطاحنة ، تحقيقاً لأهدافهم ومطامعهم حتى شاع الثكل والحداد في جميع أنحاء العالم الاسلامي يقول الاستاذ محمد سيد الكيلاني :

« لقد تنازع القوم على منصب الخلافة تنازعاً قلّ أن نجد له مثيلاً في الأمم الأخرى ، وارتكبوا في سبيل ذلك مانتعفف نحن عن ارتكابه الآن ، فترتب على ذلك ان أزهقت أرواح ، ودمرت مدن ، وهدمت قرى ، وأحرقت دور ، وترملت نساء ، وتيتمت أطفال ، وهلك من المسلمين خلق كثير . . » (١) .

ومن الطبيعي ان ذلك الدمار الذي حل بالمسلمين كان نتيجة حتمية لانحراف الخلافة عن مجراها الأصيل الذي اراده الله لها من جعلها في العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم .

وعلى أي حال فاني أحاول بكل جهد في هذه البحوث أن اتجه صوب الحق ، واصور الأحداث التي رافقت بيعة الشيخين ، اصور ذلك بدقة وتجرد شأن الباحث الذي يهمه الوصول الى الواقع مهما استطاع اليه سبيلا .

## مؤتمر السقيفة :

لا أرى هناك حادثة أخطر على الأمة من مؤتمر السقيفة الذي عقده الأنصار للاستيلاء على الحكم ، والاستبداد بشؤون الدولة ، فقد كان الحجر الأساسي لتدهور الأمة ، وما عانته من الكوارث والخطوب ، فقد انبثت فيها الأطماع ، وسادت فيها الأهواء يقول بولس سلامة :

(١) أثر التشيع في الأدب العربي ( ص١٥ ) .

وتوالت تحت السقيفة أحـداث أثارت كوامنـا وميولا
نزعات تفرقت كغصون الـعوسج الغض شائكاً مدخولا

لقد جر هذا المؤتمر السياسي سلسلة طويلة من الأحداث المريعة التي كان منها – فيما يقول المحققون – رزية كربلاء ، يقول الامام كاشف الغطاء رحمه الله :

تا الله ما كربلا لو لا (سقيفتهم) ومثل ذا الفرع ذاك الأصل ينتجه

ولابد لنا من وقفة قصيرة للبحث عن هذا المؤتمر الخطير ، وكيف فاز فيه أبو بكر ؟

## بواعث المؤتمر :

أما البواعث التي أدت الى تسابق الأنصار الى عقـد مؤتمرهم بتلك السرعة الخاطفة ، وعدم التريث في الأمر حتى يوارى النبي (ص) في مثواه الأخير فهي :

١ – إنهم رأوا التحرك السياسي من قبل المهاجرين الذين يمثلون الجبهة القرشية المعارضة للامام ، فقد أجمعوا على صرف الخلافة عن علي ، وظهرت منهم – بوضوح – بوادر التمرد ، فقد امتنعوا من الالتحاق بسرية أسامة وحالوا بين النبي (ص) وبين ما رامه من الكتابة التي وصفها بأنها تضمن لأمته سعادتها وأصالتها .

وأكبر الظن ان الانصار وقفوا على حقد المهاجرين وكراهيتهم للامام قبل وفاة النبي (ص) بزمان بعيد ، وانهم لا يخضعون لحكمه ، ولا يرضون بسلطانه لأن الامام قد وترهم ، وحصد رؤوس أعلامهم ، يقول عثمان بن عفان للامام :

« ما أصنع ان كانت قريش لا تحبكم ، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين رجلاً كأن وجوههم شنوف الذهب تصرع آنافهم قبل شفاههم » (١)

ودلل عثمان على مدى لوعة قريش وحزنها على من قتل منها في واقعة بدر من الرجال الذين كانت وجوههم شبيهة بشنوف الذهب لنضارتها وحسنها وقد صرعت أنافهم ذلاً قبل شفاههم ، ومما لا شك فيه انها كانت ترى الامام (ع) هو الذي وترها ، فهي تطالبه بذحلها والدماء التي سفكها ، يقول الكناني محرضاً لقريش على الوقيعة بالامام والطلب بثأرها منه :

في كل مجمع غاية أخزاكم ... جذع أبر على المذاكى القرح
لله دركم ألما تذكروا ... قد يذكر الحر الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة (٢) الذي أفناكم ... ذبحاً بقتلة بعضه لم يذبح
اين الكهول واين كل دعامة ... في المعضلات واين زين الأبطح (٣)

ويروي ابن طاووس عن أبيه يقول : قلت لعلي بن الحسين (ع) : ما بال قريش لا تحب علياً ؟ فأجابه (ع) « لأنه أورد أولهم النار والزم آخرهم العار . . » (٤) .

وعلى أي حال فان الأنصار قد علمت أن المهاجرين من قريش يدبرون المؤامرات ويبغون الغوائل للامام ، وانهم لا يرضون بحكمه ، وقد أعلنوا ذلك يوم غدير خم فقد قالوا : « لقد حسب محمد أن هذا الأمر قد تم لابن عمه وهيهات أن يتم » وقد أيقن الأنصار انهم سيصيبهم الجهد والعناء ان استولى المهاجرون على زمام الحكم ، وذلك بسبب مودتهم للامام ، فلذلك

---

(١) شرح النهج ٩ / ٢٢ .

(٢) فاطمة : هي بنت أسد أم الامام أمير المؤمنين .

(٣) شرح النهج .

(٤) معجم ابن الاعرابي ٤ / ١٦ .

بادروا الى عقد مؤتمرهم ، والعمل على ترشيح أحدهم للخلافة .

٢ ـ واستبان للانصار فيما أخبر به النبي ( ص ) أن أهل بيته لاينالون الخلافة ، وانهم المستضعفون من بعده ، فقد روى شيخ الإمامية الشيخ المفيد أنه بقي عند النبي ( ص ) في مرضه عمه العباس ، وابنه الفضل ، وعلي ابن أبي طالب ، وأهل بيته خاصة ، فقال له العباس : إن يكن هذا الأمر مستقراً فينا من بعدك فبشرنا ، وإن كنت تعلم أنا نُغلب عليه فأوصي بنا فقال ( ص ) : « أنتم المستضعفون من بعدي » (١) وسبق النبي ( ص ) أن أذاع ذلك بين المسلمين فاحتاطت الأنصار لأنفسها فبادرت لعقد مؤتمرها للاستيلاء على الحكم لئلا يسبقهم إليه المهاجرون من قريش .

٣ ـ ان الأنصار كانوا العمود الفقري للقوات الاسلامية المسلحة وقد أنزلوا الضربات القاصمة بالقرشيين فأبادوا اعلامهم وأشاعوا في بيوتهم الحزن والحداد في سبيل الاسلام ، وقد علموا ان الأمر اذا استتب للقرشيين فانهم سيمعنون في قهرهم واذلالهم طلباً بثأرهم وقد أعلن ذلك الحباب بن المنذر بقوله :

« لكننا نخاف أن يليها بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم واخوانهم » وتحقق هذا التنبؤ فانه لم يكد ينتهي حكم الخلفاء القصير الأمد حتى آل الحكم الى الأمويين فسعوا جاهدين في اذلال الأنصار وقهرهم واشاعة الفقر والحاجة فيهم ، وقد بالغ معاوية في الانتقام منهم ، ولما ولي الأمر من بعده يزيد جهد على الوقيعة بهم فأباح أموالهم ودماءهم وأعراضهم بجيوشه في واقعة الحرة التي لم يشاهد التاريخ لها نظيراً في فظاعتها وقسوتها .

هذه بعض العوامل التي أدت الى مبادرة الأنصار لعقد مؤتمرهم الذي أحاطوه بكثير من السر والكتمان .

---

(١) الارشاد ( ص٩٩ ) .

## الخطاب السياسي لسعد :

ولما اجتمع الآوس والخزرج في سقيفة بني ساعدة انبرى سعد بن عبادة زعيم الخزرج الى افتتاح مؤتمرهم ، وكان مريضاً فلم يتمكن ان يجهر بكلام وإنما كان يقول : ويبلغ مقالته بعض أقربائه وهذا هو نص خطابه :

« يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين ، وفضيلة في الاسلام ليست لأحد من العرب ، إن محمداً ( ص ) لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمان وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن به الا القليل ما كانوا يقدرون على منعه ، ولا على اعزاز دينه ، ولا على دفع ضيم حتى اذا أراد الله بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، ورزقكم الايمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والاعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً وأعطى البعيد المقادة صاغراً ، فدانت لرسوله بأسيافكم العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض ، وبكم قرير العين ، استبدوا بهذا الأمر دون الناس فانه لكم دونهم . . » (١) وحفل خطابه بالنقاط التالية :

١ ـ الاشادة بنضال الأنصار وبسالتهم الفذة في نصرة الاسلام ، واعزاز كلمته ، وقهر القوى المعادية له ، حتى استقام أمره وهو عبل الذراع ، فلهم الفضل الأكبر في نشره ، وازدهاره فهم الذين حموا النبي صلى الله عليه وآله أيام محنته وغربته ، فإذن هم أولى بالنبي ( ص ) وأحق بمنصبه من غيرهم لأن من كان عليه العزم فهو أولى بالغنم .

٢ ـ التنديد بالأسر القرشية التي ما آمنت بالنبي ( ص ) وناهضت

(١) الكامل ٢ / ٢٢٢ ، الطبري ٣ / ٣٠٧ .

رسالته ، وناجزته الحـــرب ، حتى اضطر الى الهجرة ليثرب ، وان من آمن به منهم لم يتمكن ان يحميه ويذب عنه ، وبذلك فلا حق لهم في الحكم ولا نصيب لهم في ادارة شؤون الدولة الاسلامية التي أقامها الرسول (ص) والتي ما قامت الا على سواعد الأنصار وجهادهم .

## المؤاخذة على سعد :

ومما يؤخذ به على سعد أنه قد تناسى العترة الطاهرة التى هي عديلة القرآن الكريم فلم يعرض الى سيدها الامام امير المؤمنين الذى هو باب مدينة علم النبي ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى ، فقد تجاهله ، ودعا إلى نفسه وقومه ، وأول سهم ســـدد إلى آل البيت ( ع ) كان من ذلك اليوم الذي تعمد فيه الأنصار والمهاجرون على الغض من كرامة عترة نبيهم في سبيل الوصول الى كراسي الحكم ، والتنعم بخيرات الدولة ومناصبها .

وعلى أي حال فان سعداً قد أخطأ الى حد بعيد في تجاهله لحق الامام عليه السلام ، ولا نرى له أي مبرر في ذلك فقد جر للأمة الفتن والويلات وألقاها في شر عظيم ، فقد انحرفت الخلافة عمـــا ارادها الله ورسوله من جعلها في العترة الطاهرة التي هي أحرص ما تكون على الالتزام بحرفيـــة الاسلام وتطبيق شؤونه وأحكامه .

وقد لاقى سعد جزاء عمله فانه لم يكد يستقر الحكم الى أبي بكر حتى جهد في ملاحقته وفرض الرقابة عليه حتى اضطر إلى الهجرة من يثرب إلى أرض الشام فتبعه خالد بن الوليد مع صاحب له فكمنا له ليـــلاً وطعناه وألقياه في البئر ، وتحدثوا أن الجن هي التى قتلته ، ورووا على لسانها شعراً تفتخر فيه بقتله وهو :

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبـــاده
ورميناه بسهمين فـــلم نخطيء فـــؤاده

ومن الغريب أن سياسة الحكم في تلك العصور قد استخدمت الجن واتخذته من أدواتها ، وقد آمن بذلك السذج والبسطاء من غـــير وعي وادراك للاهداف السياسية .

## وهن الأنصار :

ولم تكن للانصار ارادة صلبة ، ولا عزم ثابت كما لا دراية لهم في الشؤون السياسية ، فقد مُنوا - على كثرتهم - بالوهن والضعف والتخاذل فكانوا بعد خطاب سعد - فيما يقول المؤرخون - قد ترادوا الكلام فيما بينهم ، فقالوا : فان أبى المهاجرون من قريش ، وقالوا : نحن المهاجرون وأصحابه الأولون ، وعشيرته وأولياؤه فعلامَ تنازعون هذا الأمر بعده ؟ فقالت طائفة منهم : فانا نقول : منا أمير ، ومنكم أمير ، وان نرضى بدون هذا أبداً ، وثار سعد حينما رأى هذه الروح الانهزامية قد سرت في نفوس قومه فقال : « هذا أول الوهن » (١) .

أجل إن هذا أول الوهن وآخره فقد كشف عن ضعف نفوسهم ، وتفلل صفوفهم ، وعدم نضوجهم في الميادين السياسية فانهم انمـــا عقدوا اجتماعهم ، وأحاطوه بكثير من الكتمان ليسبقوا الأحداث ، ويظفروا بالحكم قبل أن يعلم المهاجرون من قريش ، ولكنهم ضلوا قابعين في هذا الصراع الفارغ حتى أضاعوا عليهم الفرصة فقد دهمهم المهاجرون ، وأشاعوا بينهم الاختلاف والفرقة حتى سيطروا على الوضع ، واستولوا على زمام الحكم .

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٢٢ .

## احقاد واضغان :

وشيء آخر كان السبب في انهزام الأنصار هو شيوع الأحقاد والأضغان فيما بينهم .

لقد كانت هناك ثورات وأحقاد بين الأوس والخزرج منذ عهد بعيد أدت الى اراقة الدماء واشاعة الفرقة والعداء فيما بينهم ، وكان آخر أيام حروبهم – فيما يقول المؤرخون – هو يوم ( بغاث ) وذلك قبل ان يهاجر النبي ( ص ) الى يثرب بست سنين ، ولما أطل النبي ( ص ) عليهم عمل جاهداً على نشر المحبة والوئام فيما بينهم ، واذابة الأحقاد والاضغان ولكنها لم تزل كامنة في نفوسهم ، تظهر في كثير من الأحيان حينما تحدث عوامل التنافس فيما بينهم حسب ما نص عليه المؤرخون ، وقد ظهرت بشكل سافر يوم السقيفة ، فقد حقد خضير بن أسيد زعيم الأوس على سعد حينما رشحه القوم لمنصب الخلافة فكان يقول لقومه :

« لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة لا زالت لهم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر . . » (١) .

ودل ذلك على مدى الحقد الكامن في نفوس الأوس للخزرج فان سعداً ان ولي الحكم مرة واحدة فتكون بذلك فضيلة للخزرج على الأوس وهذا مما يثقل على زعيم الأوس ، وفعلاً قد انبرى مع قومه فبايع أبا بكر ولولاه لما تم الأمر له .

ومضافاً الى ذلك فان بعض الأوس ممن كانوا يحقدون على سعد ، ويستكثرون عليه هذا المنصب فان بشير بن سعد الخزرجي كان من أهم

(١) تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٢٤ .

المنافسين له فانحاز مع الخزرج فبايع أبا بكر ، وأفسد على سعد أمره .

وعلى أي حال فان هذا الاختلاف والتشاحن مما أوجب أن يفلت الأمر من أيدي الأنصار ويظفر به المهاجرون من قريش .

### فذلكة عمر :

وشيء خطير بالغ الأهمية قام به عمر لتجميد الأوضاع ، وايقاف أي عملية تؤدي الى انتخاب من يخلف الرسول ( ص ) ، لأن زميله أبا بكر لم يكن في يثرب عند وفاة النبي ( ص ) وانما كان في ( السنح ) (١) . فبعث خلفه من يأتي به إلا أنه خشي أن يتقدم الى الساحة أحد قبل مجيئه ، فانطلق بحالة رهيبة ، وهو يجوب في أزقة يثرب وشوارعها ويقف عند كل تجمع من الناس ، ويهز بيده سيفه ، وينادي بصوت عال قائلاً :

« إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ( ص ) قد مات ، وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران . . . والله ليرجعن رسول الله فيقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجفوا بموته » .

وجعل لا يمر بأحد يقول : مات رسول الله إلا خبطه بسيفه وتهدده وتوعده (٢) ، وذهل الناس ، وساورتهم الأوهام والشكوك ، وعصفت بهم أمواج رهيبة من الحيرة فلا يدرون أيصدقون مزاعم عمر بحياة النبي صلى الله عليه وآله وهي من أعز ما يأملون ، ومن أروع ما يحلمون ؟

---

(١) السنح : محل يبعد عن المدينة بميل ، وقيل هو أحد عواليها ، ويبعد عنها بأربعة أميال .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد .

أم يصدقون ما عاينوه من جثمان النبي (ص) وهو مسجى بين أهلـه لا حراك فيه ؟ ! !

ويستمر عمر يبرق ويرعد حتى « أزبد شدقاه » وهو يتهدد بالقتل ويتوعد بقطع الأيدي والأرجل ممن أرجف بموت النبي (ص) إلا انه لم يمض قليل من الوقت حتى جاء خدنه وصاحبه أبو بكر من ( السنح ) فانطلق معه الى بيت النبي (ص) فكشف أبو بكر الرداء عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ليتحقق وفاته ، وبعدما اطمئن بموته خرج الى الناس وهو يفند مزاعم عمر ، والتفت الى الجماهير الحائرة التي أخرسها الخطب بموت منقذها العظيم قائلاً :

« من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . . وتلا قوله تعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين » .

ولم يلبث عمر ان أسرع الى الاذعان والتصديق ، وانبرى يقول : « فوالله ما هو الا اذ سمعتها فعقرت حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي ، وقد علمت أن رسول الله قد مات » (١) .

## نقاط مهمة :

ونحن إذا تأملنا بدقة وامعان هذه البادرة الغريبة التي صدرت من الشيخين نجد فيها عدة نقاط مهمة تسترعي الاهتمام والتحليل وهي :

١ ــ ان عمر قد أنكر بصورة جازمة ، وباصرار بالغ موت النبي

(١) الكامل ٢ / ٢١٩ .

صلى الله عليه وآله فقد زعم أنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران وانه لابد ان يرجع الى الأرض وينكل بالمرجفين بموته ، ومما لا شك فيه ان ذلك لم يكن عن ايمان منه بحياة النبي ( ص ) وانما كان ذلك استغلالاً للفرص ، وتوصلاً الى أهدافه السياسية حسب المخططات التي وضع برامجها اقطاب حزبه كأبي بكر ، وأبي عبيدة ، ويدل على ذلك ما يلي :

أ – ان عمر بالذات كان من المتفائلين بموت النبي ( ص ) في ذلك فكان يقول لأسامة : « مات رسول الله ( ص ) وأنت علي أمير ؟ ) هذا ورسول الله ( ص ) كان حياً ، وقد اطمأن بوفاته حينما نعى ( ص ) نفسه الى المسلمين ، وساق لهم الامارات التي تدل على وفاته حسبما تقدمت في البحوث السابقة .

ب – انه وقف امام النبي ( ص ) في مرضه الذي توفي فيه وقد صده عما رامه من الكتابة التي تقي أمته من الفتن والضلال ، وقال له : « حسبنا كتاب الله » . ومن الطبيعي انه انما قال ذلك حينما أيقن بوفاة النبي ( ص ) .

ج – ان كتاب الله العظيم أعلن أن كل انسان لابد ان يتجرع كأس المنية قال تعالى : « كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون » وقال تعالى : في خصوص نبيه : « انك ميت وانهم لميتون » وقال تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وهذه الآيات تتلى في وضح النهار ، وفي غلس الليل ، أفهل خفيت على عمر ، وهو ممن يسمع كتاب الله ، ويصابح رسول الله ( ص ) ويماسيه ؟

د – ان سكون عمر وهدوء ثورته الجامحة حينما جاء خدنه أبو بكر وتصديقه بلا مناقشة لمقالته حينما أعلن وفاة النبي ( ص ) كل ذلك يقضي – بلا شبهة – انه انما قام بهذه العملية توصلاً الى مأربه وأهدافه .

٢ ـ ان حكم عمر بأن رسول الله (ص) سوف يرجع الى الأرض ويقطع أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجفوا بموته، لايخلو من وهن فان تقطيع الايدي والأرجل والحكم بالاعدام انما يكون للذين يخرجون عن دين الله ، أو يسعون في الارض فساداً ، وليس القول بموت النبي (ص) مما يوجب ذلك قطعاً

٣ ـ إن أبا بكر أعلن في خطابه الذي نعى به النبي (ص) : « من كان يعبد محمــداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت » ومن المقطوع به انه لم يؤثر عن أي أحد من المسلمين انه كان يعبد رسول الله (ص) أو اتخذه رباً من دون الله ، وانما أجمع المسلمون على انه عبد الله ورسوله اختاره الله لوحيه واصطفاه لرسالته .

## مباغتة الانصار :

وحينما كان الأنصار في سقيفتهم يدبرون أمرهــم ويتداولون الرأي في شؤون الخلافة والبيعة ، اذ خرج من مؤتمرهم وهم لا يشعرون عويم ابن ساعدة الاوسي ، ومعن بن عدي حليف الانصار ، وكانا من أولياء أبي بكر على عهد رسول الله (ص) ومن اعضاء حزبه ، وكانت نفوسهما مترعة بالحقد والكراهية لسعد وانطلقا مسرعين واخبرا أبا بكر وعمر بذلك ففزعا وانطلقا مسرعين ومعهما أبو عبيدة بن الجراح (١) وسالم مولى أبي حذيفة وتبعهم جماعة آخرون من المهاجرين فكبسوا الانصار في ندوتهم ، واسقط ما بأيدي الانصار وذهلوا وغاض لون سعد ، وتخوف من خروج الامر عنهم ، وذلك لعلمه بضعف الانصار وتفلــل قواهم ، وتصدع وحدتهم ، فهو قد أحاط مؤتمرهم بكثير من السر والكتمان ، خوفاً من

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٦٢ .

المهاجرين وبدخولهم المفاجأ ، فقد انهارت جميع مخططاته ، وفشلت جميع مساعيه في عقد البيعة له .

## خطاب أبي بكر :

وبعد أن ولج المهاجرون في مؤتمر الأنصار أراد عمر أن يفتح الحديث فنهره أبو بكر وذلك لعلمه بشدته وهي لا تنجح في مثل هذا الموقف الملبد والمليء بالاضغان والأحقـــاد ويجب أن تستعمل فيه الأساليب السياسية والبراعة الفائقة والكلمات الناعمة لكسب الموقف ، وأنبرى أبو بكر فخاطب القوم وقابلهم ببسمات فياضة بالبشر قائلاً :

« نحن المهاجرون أول الناس اسلاما ، وأكرمهم احسابا ، وأوسطهم داراً وأحسنهم وجوهاً ، وأمسهم برسول الله ( ص ) وأنتم أخواننا في الاسلام وشركاؤنا في الدين نصرتم وواسيتم فجزاكم الله خيراً ، فنحن الامراء وأنتم الوزراء ، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على اخوتكم المهاجرين ما فضلهم الله به ، فقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين – يعني عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح – . . » (١) .

## دراسة وتحليل :

ولابد لنا من وقفة قصيرة للنظر في هذا الخطاب :

١ – انه لم يعن بوفاة النبي ( ص ) التي هي أعظم رزية مُني بها المسلمون ، وأفجع كارثة تصدعت من هولها القلوب ، وكان الأجدر به

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٦٢ .

أن يعزيهم بوفاة منقذهم ، ويذكرهم باحسانه وبره بدينهـــم ودنياهم ، ويدعوهم الى القيام بتشييع جثمانه الطاهر حتى يواروه في مثواه الأخير ويعودوا بعد ذلك الى عقدمؤتمر عام يضم جميع الطبقات الشعبية من المسلمين لينتخبوا عن ارادتهم وحريتهم من يرضونه خليفة لهم على تقدير أن النبي (ص) لم يعهد لأحد من بعده .

٢ — ان منطق هذا الخطاب هو طلب الأمرة والسلطان ، ولا يعني بأي شيء آخر غير ذلك ، وقد عرض فيـــه على الأنصار أن يتنازلوا لأخوانهم المهاجرين عن الخلافة ولا ينافسوهم في شؤون الملك ، ومناهم عوض ذلك أن يكونوا الوزراء إلا أنه لما تم له الأمر أجحف في حقهم فلم يمنحهم أي منصب من شؤون دولته ، وأقصاهم عن جميع مراتب الحكم

٣ — ان هذا الخطاب قد تجاهل بالمرة حق العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم ، أو كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى حسبما يقول النبي (ص) : فكان الأولى التريث بالأمـــر حتى يتم تجهيزه (ص) ويؤخذ رأي أهل بيته في ذلك لتحمل الخلافة طابعاً شرعياً ، ولا توصم بالفلتة كما وصفها عمر إذ يقول : « إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها » ويقول الامام شرف الدين :

« فلو فرض أن لا نص بالخلافة على أحد من آل محمد (ص) وفُرض كونهم غير مبرزين في حسب أو نسب أو أخلاق أو جهاد أو علم أو عمل ، أو ايمان ، أو اخلاص ، ولم يكن لهم السبق في مضامير كل فضل بل كانوا كسائر الصحابة ، فهل كان مانع شرعي ، أو عقلي ، أو عرفي يمنع من تأجيل عقد البيعة الى فراغهم من تجهيز رسول الله (ص) ؟ ولو بأن يوكل حفظ الأمن الى القيادة العسكرية موقتاً حتى يستتب أمر الخلافة ؟ أليس هذا المقدار من التريث كان أرفق بأولئك المفجوعين ؟ وهم

وديعة النبي (ص) لديهم وبقيته فيهم ، وقد قال الله تعالى : « ولقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » أليس من حق هذا الرسول – الذي يعز عليه عنت الامة ويحرص على سعادتها ، وهو الرؤوف بها الرحيم لها – أن لا تعنت عترته فلاتفاجأ بمثل ما فوجئت به – والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر . » (١) :

٤ – ان المنطق الذي استند اليه أبو بكر لاحقية المهاجرين من قريش بالخلافة هو انهم أمس الناس رحماً برسول الله (ص) وأقربهم اليه ، وهذا الملاك على أكمل وجوهه ، وأتم رحابه متوفر في أهل البيت (ع) فهم ألصق الناس به ، وأمسهم به ، وما أروع قول الامام أمير المؤمنين (ع) : « احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة » وخاطب (ع) أبا بكر بقوله :

فان كنت بالقربى حججت خصيمهم ... فغيرك أولى بالنبي وأقرب
وان كنت بالشورى ملكت أمورهم ... فكيف بهذا والمشيرن غيب

ويقول الكميت :

بحقكم أمست قريش تقودنا ... وبالفذ منها والرديفين نركب
وقالوا : ورثناها أبانا وأمنا ... وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
يرون لهم فضلاً على الناس واجباً ... سفاها وحق الهاشميين أوجب (٢)

وعرض الامام (ع) في حديث له عن شدة قربه من النبي (ص) وبعض مواهبه فقال :

« والله إني لأخوه – أي أخ النبي (ص) – ووليه ، وابن عمه ، ووارث علمه فمن أحق به مني . . » .

لقد انساب القوم وراء أطماعهم وأهوائهم ، وتهالكوا على الحكم ،

(١) النص والاجتهاد (ص٧) .
(٢) الهاشميات (ص٣١ – ٣٣) .

والظفر بخيراته ، وأعرضوا عما الزمهم به النبي (ص) من التمسك بعترته وعدم التقدم عليها ، ووجوب رعايتها في كل شيء .

## بيعة أبي بكر :

وربح أبو بكر في خطابه السالف ، وكسب به الموقف ، فقد أثنى فيه على الأنصار ، ومجد فيه جهادهم وجهودهم في خدمة الاسلام ، وبذلك قد أخمد نار الثورة في نفوسهم ، كما مناهم بالحكم فجعلهم الوزراء ، وفند ما كان يختلج في نفوسهم من استبداد المهاجرين بالأمر ، واستئثارهم بالحكم وافهمهم انه انما قدم المهاجرين عليهم لأن العرب لا تدين إلا لهم ، وكأن هذه القضية الاسلامية الكبرى من قضايا العرب وحدهم ، وليس لبقية المسلمين فيها حق ؟ !!

وهنا نكتة بارعة عمد اليها أبو بكر وهو انه جعل نفسه حاكماً في هذا الأمر ، وجرد نفسه من جميع الاطماع السياسية ، وبذلك فقد غزا نفوس الأنصار ، وملك قلوبهم وعواطفهم . . . وانبرى عمر فأيد مقالة صاحبه فقال : « هيهات لا يجتمع اثنان في قرن . والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع ان تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم . ولنا بذلك على من أبى الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ذا ينازعنا سلطان محمد وامارته ؟ ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط في هلكة . . . » .

وليس في هذا الخطاب شيء جديد سوى التأكيد لما قاله أبو بكر من أحقية المهاجرين بخلافة النبي (ص) منهم أولياؤه وعشيرته ، يقول الاستاذ محمد الكيلاني : « انه احتج عليهم بقرابة المهاجرين للرسول . ومع

ذلك فقد كان واجب العدل يقضي بأن تكون الخلافة لعلي بن أبي طالب ما دامت القرابة اتخذت سنداً لحيازة ميراث الرسول . لقد كان العباس أقرب الناس الى النبي وكان أحق الناس بالخلافة ولكنه تنازل بحقه هذا لعلي ، فمن هنا صار لعلي الحق وحده في هذا المنصب » (١) :

وانبرى الحباب فرد على عمر قائلاً :

« يا معشر الانصار املكوا عليكم امركم ، ولا تسمعوا مقالة هـذا واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان ابوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الامور فأنتم — والله — أحق بهذا الامر منهم ، فانه بأسيافكم دان الناس لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين ، انا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، انا شبل في عرينة الأسد ، والله لو شئتم لنعيدنها جذعة ، والله لا يرد احد علي ما اقول الا حطمت أنفه بالسيف . . . » .

وحفل هذا الكلام بالعنف والتهديد ، والدعوة الى الحرب ، واجلاء المهاجرين عن يثرب ، كما عنى بالاعتزاز بنفسه ، والافتخار بشجاعته ، وقد رد عليه عمر وصاح به قائلاً :

« إذاً يقتلك الله » .

فقال له الحباب : « بل إياك يقتل » وخاف ابو بكـر من تطور الاحداث فالتفت الى الانصار فرشح للخلافة صاحبيه عمر وابا عبيدة فاسرع اليه عمر فاجابه بلباقة قائلاً :

« يكون هذا وانت حي ؟ ما كان احد ليؤخرك عن مقامك الذي اقامك فيه رسول الله (ص) » .

— ويقول بعض المحققين — : لا نعلم انه متى اقامه رسول الله (ص)

(١) اثر التشيع في الادب العربي ( ص٥ ) .

او دلل عليه ، وانما كان مع بقية اخوانه من المهاجرين جنوداً في سرية اسامة ، ولو كان قد رشحه لمنصب الخلافة واقامه علماً ومرجعاً للامة لاقامه معه في يثرب ، وما اخرجه الى ساحات الجهاد ، وهو ( ص ) في ساعاته الاخيرة من حياته .

وعلى أي حال فقد بادر اعضاء حزبه بسرعة خاطفة الى بيعته خوفاً من تطور الاحداث فبايعه عمر وبشير ، واسيد بن حضير وعويم بن ساعدة ومعن بن عدي ، وابو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى ابي حذيفة ، وخالد ابن الوليد ، واشتد هؤلاء في حمل الناس وارغامهم على مبايعته ، وكان من أشدهم اندفاعاً وحماساً عمر بن الخطاب فقد جعل يجول ويصول ويدفع الناس دفعاً الى البيعة وقد لعبت درته شوطاً في الميدان ، وسمع الانصار وهم يقولون :

« قتلتم سعداً » .

فاندفع يقول بثورة وعنف :

« اقتلوه قتله الله فانه صاحب فتنة » (١) .

وكادوا يقتلون سعداً ، وهو مزمل وجع ، وحُمل الى داره وهو صفر اليدين قد انهارت آماله ، وتبددت احلامه ، ولما تمت البيعة الى أبي بكر اقبل به حزبه يزفونه الى مسجد رسول الله ( ص ) زفاف العروس (٢) والنبي ( ص ) مسجى في فراش الموت لم يغيبه عن عيون القوم مثواه قد انشغل الامام امير المؤمنين بتجهيزه ، ولما علم ( ع ) ببيعة ابي بكر تمثل بقول القائل :

(١) العقد الفريد ٣ / ٦٢ .

(٢) شرح النهج ٢ / ٨ .

واصبح اقوام يقولون ما اشتهوا     ويطغون لما غال زيداً غوائل (١)

لقد تمت البيعة لابي بكر بهذه السرعة الخاطفة ، وقد اهمل فيها رأي العترة الطاهرة ولم يعن بها ، ومن ذلك اليوم واجهت جميع الوان الرزايا والنكبات ، وما كارثة كربلا وغيرها من المآسي التي حلت بآل البيت (ع) الا وهي متفرعة من يوم السقيفة حسب ما نص عليه المحققون

سرور القرشيين :

وابتهجت قريش حينما آل الحكم الى أبي بكر واعتبرته فوزاً لها ، فقد تحققت آمالها وأحلامها ، وقد عبر عن مدى سرورها أبو عبرة القرشي بقوله:

شكراً لمن هو بالثناء حقيق     ذهب اللجاج وبويع الصديق
من بعد ما زلت بسعد نعله     ورجا رجاءً دونه العيوق
ان الخلافة في قريش مالكم     فيها ورب محمد معروق (٢)

وفي هذا الشعر التنديد والهجاء للانصار ، واظهار السرور البالغ بحرمانهم من الخلافة . . وممن أبدى سروره ببيعة أبي بكر عمرو بن العاص ولم يكن في يثرب آنذاك وانما كان في سفر له فلما قدم وسمع ببيعة أبي بكر قال :

قل لأوس اذا جئتها     وقل اذا ما جئت للخزرج
تمنيتم الملك في يثرب     فانزلت القدر لم تنضج (٣)

لقد عمت الأفراح والمسرات جميع القبائل القرشية ، ووقفت موقف التأييد لحكومة أبي بكر ، ولما بلغ أهل مكة موت النبي (ص) أرادوا أن

(١) شرح النهج ٢ / ٥ .
(٢) شرح النهج ٦ / ٨ ، الموفقيات ( ص٨٠ ) .
(٣) شرح النهج .

يعلنوا الردة والخروج عن الاسلام إلا أنهم لما علموا بخلافة أبي بكر اذعنوا وأعلنوا الرضا والسرور .

## موقف أبي سفيان :

وعمد أبو سفيان الى اعلان المعارضة لحكومة أبي بكر ، فقد وقف على الامام أمير المؤمنين يحفزه على مناجزة أبي بكر ، ويعده بنصرته وهو يقول :

« إني لارى عجاجة لا يطفئها الا دم يا آل عبد مناف ، فيم أبوبكر من أموركم ؟ اين المستضعفان ؟ » .

اين الاذلان ؟ علي والعباس ؟ ! !

ما بال هذا الأمر في أقــل حي من قريش ؟ ثم قال لعلي : ابسط يدك أبايعك فوالله لئن شئت لاملأنها عليه خيلاً ورجالاً ، وتمثل بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به　　　الا الاذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته　　　وذا يشج فلا يبكي له أحد

لقد استغل أبو سفيان العنصرية القبلية لأحداث الثورة والانقلاب على حكومة أبي بكر لكن الامام كان يفقه دوافعه ، ويعرف ذاتياته فلم يستجب له ، وانما نهره وأغلظ له في القول قائلاً :

« والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وانك والله طالما بغيت للاسلام شراً لا حاجة لنا في نصيحتك . . » (١) .

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٢٠ .

وراح أبو سفيان يشتد في اثارة الفتنة ، ويدعو الامام الى اعـلان الثورة على أبي بكر وكان ينشد :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ... ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيـكم وإليـكم ... وليس لهـا إلا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم ... فانك بالأمر الذى يرتجى علي (١)

ومن المقطوع به أنه لم تكن معارضة أبي سفيان عن ايمان منه بحق الامام ( ع ) وإنما كانت ظاهرية أراد بها الكيد للاسلام ، والبغي عليه وقد أعرض الامام عنه ولم يعن بعواطفه الكاذبة ، فان علاقة أبي بكر مع أبي سفيان كانت وثيقة للغاية فقد روى البخاري أن أبا سفيان اجتاز على جماعة من المسلمين منهم أبو بكر وسلمان وصهيب وبلال فقال بعضهم :

« أما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها ؟ » :

فزجرهم أبو بكر وقال لهم :

« أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ ! ! » .

ومضى مسرعاً الى النبي ( ص ) يخبره بمقالة القوم فرد عليه الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً :

« يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ؟ لئن كنت أغضبتهم لقد اغضبت الله » (٢)

ودلت هذه البادرة على مدى الصلة الوثيقة بينهما ، وقد جهد أبو بكر في خلافته على استمالة أبي سفيان ، وكسب وده فقد استعمله عاملاً على ما بين آخر حد للحجاز ، وآخر حد من نجران (٣) كما عين ولده يزيد والياً على الشام ومنذ ذلك اليوم قد علا نجم الأمويين وقويت شوكتهم :

---

(١) شرح النهج ٦ / ٧ .
(٢) صحيح البخاري ٢ / ٣٦٢ .
(٣) شرح النهج ٦ / ١٠ - ١١ .

## اندحار الأنصار :

وأفل نجم الانصار ، وضاعت أمانيهم ، وعراهم الذل والهوان ، وقد عبر عن خيبة أملهم حسان بن ثابت بقوله :

نصرنا وآوينا النبي ولم نخف ... صروف الليالي والبلاء على وجل
بذلنا لهم انصاف مال اكفنا ... كقسمة أيسار الجزور من الفضل
فكان جزاء الفضل منا عليهم ... جهالتهم حمقاً وما ذاك بالعدل (١)

وقوبلت الانصار بمزيد من الهوان في كثير من عهود الخلفاء ، وقد استبان لهم الخطأ الفظيع في تقصيرهم بحق الامام أمير المؤمنين (ع) وانهم قذفوا بنفوسهم في متاهات سحيقة من هذه الحياة .

## موقف آل البيت (ع) :

واتفق المؤرخون على أن موقف أهل البيت (ع) تجاه خلافة أبي بكر قد تميز بالكراهية فقد كانوا لا يخالجهم ريب في أنهم أحق بالأمر وأولى به من غيرهم لأنهم أقرب الناس وألصقهم برسول الله (ص) بالاضافة الى ما تتوفر فيهم من القابليات الفذة والقدرة على تحمل المسؤولية وقيادة الامة ، ولكن القوم لم يعنوا بهم وتجاهلوا عامدين مكانتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وقابلوهم بمزيد من العنف مما ادى الى تشعب صدع الامة وجر الويلات والخطوب لها في جميع مراحل التاريخ .

(١) شرح النهج ٦ / ١٠ — ١١ .

## امتناع الامام عن البيعة :

ونقم الامام امير المؤمنين (ع) على بيعة أبي بكر ، واعتبرها اعتداءً صارخاً عليه ، فهو يعلم ان محله من الخلافة محل القطب من الرحى ينحدر عنه السيل ، ولا يرقى اليه الطير – على حد تعبيره – وما كان يظن ان القوم يزعجون هذا الامر ويخرجونه عن أهل بيت نبيهم ، فقد بادر اليه عمه العباس قائلاً له :

« يابن أخي امدد يـــدك أبايعك ، فيقول الناس : عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان » . فقال له الامام :

« ومن يطلب هذا الأمر غيرنا ؟ » (١) .

وعلق الدكتور طه حسين على ذلك بقوله : « نظر العباس في الأمر فرأى ابن أخيه ، أحق منه بوراثة السلطان لأنه ربيب النبي ، وصاحب السابقة في الاسلام وصاحب البلاء الحسن الممتاز في المشاهد كلها ، ولأن النبي كان يدعوه أخاه حتى قالت له أم ايمن : ذات يوم مداعبة تدعوه أخاك وتزوجه ابنتك ؟ ! ولأن النبي قال له : أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي ، وقال للمسلمين يوماً آخر : من كنت مولاه فعلي مولاه . من أجل ذلك أقبل العباس بعد وفاة النبي على ابن أخيه ، وقال له : ابسط يدك أبايعك » (٢) .

لقد تخلف الامام (ع) عن بيعة ابي بكر ساخطاً ، وأعلن شجاه

---

(١) الامامة والسياسة ١ / ٤ .

(٢) علي وبنوه ( ص١٩ ) .

وأساه على ضياع حقه ، واستبداد القوم بالامر من دون أن يعنوا به وفي نهجه شذرات من بليغ كلامه عرض فيها لذلك .

## ارغامه على البيعة :

وأجمع رأي القوم على ارغام الامام ( ع ) وقسره على البيعة لابي بكر فأرسلوا حفنة من الشرطة فأحاطت بداره ، وأخرجوه منها ، وهو مهان الجانب ، وجيء به الى ابي بكر ، فصاح القوم به بعنف :

« بايع أبا بكر » .

فأجابهم الامام بمنطقه الفياض ، وهو غير وجل من جبروتهم وسطوتهم قائلاً :

« أنا أحق بهذا الامر منكم ، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الامر من الانصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ( ص ) وتأخذونه منا أهل البيت غصباً !! ألستم زعمتم للانصار أنكم أولى بهذا الامر منهم لما كان محمد ( ص ) منكم فاعطوكم المقادة ، وسلموا إليكم الإمارة ؟ وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الانصار ، نحن اولى برسول الله حياً وميتاً ، فانصفونا إن كنتم تؤمنون ، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون . . » .

ووضع الامام ( ع ) النقاط على الحروف بهذا الاحتجاج الرائع ، ودلل على انه اولى وأحق بالامر منهم لانه اقرب الى النبي ( ص ) وألصق به من غيره ، فان القرب من النبي ( ص ) هي الجهة التي تمسك بها القوم في التغلب على الانصار ، وهي متوفرة في الامام اكثر من غيره ، فهو ابن عم النبي ( ص ) وختنه على بنته . وثار ابن الخطاب بعد

أن أعوزته الحجة في الرد على الامام فسلك طريق العنف قائلاً له :

« انك لست متروكاً حتى تبايع » .

فزجره الامام قائلاً :

« احلب حلبا لك شطره ، واشدد له اليوم امره يردده عليك غداً »

وكشف ( ع ) السر في اندفعات ابن الخطاب وحماسه ، فانه لم يقف هذا الموقف الصارم تجاه الامام الا من أجل ان ترجع اليه الخلافة وشؤون الملك بعد أبي بكر ، وثار الامام ، وهتف يزأر قائلاً :

« والله يا عمر ، لا أقبل قولك ولا ابايعه » .

وخاف أبو بكر من تطور الأحداث ، وخشي من غضب الامام فاقبل عليه ، فخاطبه بناعم القول قائلاً :

« إن لم تبايع فلا أكرهك » .

وانبرى اليه أبو عبيدة محاولاً اخماد ثورته ، وكسب وده قائلاً له :

« يابن عم انك حدث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً واضطلاعاً به ، فسلم لأبي بكر هذا الأمر ، فانك إن تعش ويطل بك بقاء ، فأنت لهذا الأمر خليق ، وبه حقيق في فضلك ودينك وعلمك ، وفهمك ، وسابقتك ، ونسبك وصهرك . . . » .

وأثارت هذه المخاتلة والمخادعة كوامن الألم والاستياء في نفس الامام فاندفع يخاطب المهاجرين من قريش ويذكرهم مآثر أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم قائلاً :

« الله الله يا معشر المهاجرين ! . . لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره ، وقعر بيته الى دوركم ، وقعور بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه . . فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به

لأنا أهل البيت ، ونحن أحق بهذا الأمر منكم ، ما كان فينا القارىء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، الدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، والله انه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بُعداً . . » (١) .

ولو انهم استجابوا النداء الامام الذي فيه ضمان أكيد لصالح الأمة ، وصيانة لها من الزيغ والانحراف في مجالاتها العقائدية وغيرها ، لجنبوا الامة كثيراً من المضاعفات السيئة ولكن هيهات من ذلك فقد انساب الانسان منذ أقدم عصوره وراء شهواته واطماعه مضحيا بكل شيء في سبيل ذلك .

وعلى أي حال فان القوم لم يعوا منطق الامام وتجاهلوه ، وقدموا مصالحهم الخاصة على كل شيء .

## الاجراءات الصارمة :

واقتضت سياسة أبي بكر أن يتخذ جميع الاجراءات الصارمة ضد الامام ( ع ) وان يسلك جميع الوسائل التي من شأنها اضعاف جبهته والتغلب عليه لانه يمثل القوى المعارضة لحكومته فقد كانت الاكثرية الساحقة من الانصار تميل للامام ، وترغب في أن يتولى زمام الحكم ، وهذه بعض الوسائل التي سلكتها حكومة أبي بكر :

## الحصار الاقتصادي :

والحصار الاقتصادي من أوثق الطرق وأدقها ، وأكثرها نجاحاً لشل

(١) الامامة والسياسة ١ / ١١ — ١٢ .

الحركة المعارضة وابادتها فان المال في جميع فترات التاريخ هو الأداة الفعالة التي تعتمد عليها الجبهة المعارضة لقلب نظام الحكم ، ولا تزال الدول في جميع أنحاء العالم تسلك هذا الطريق فتصادر أموال خصومها ، أو تمنعهم من التصرف بها خوفاً من أن تستخدمه للاطاحة بها ، وقد أمعن أبو بكر في ذلك فبادر الى فرض الحصار الاقتصادي على الامام لئـلا يقوى على الانتفاضة عليه ، وقد نفذ ما يلي :

## اسقاط الخمس :

والخمس حق مفروض لآل رسول الله (ص) نصّ عليه القرآن الكريم قال تعالى : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله ، وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » (١) وقد أجمع المسلمون على أن النبي (ص) كان يختص بسهم من الخمس ، ويخص أقاربه بسهم آخر منه ، وكانت هذه سيرته الى أن اختاره الله الى الرفيق الأعلى ، ولما ولي أبو بكر أسقط سهم النبي (ص) وسهم ذي القربى ومنع بني هاشم من الخمس ، وجعلهم كغيرهم (٢) وقد ارسلت اليه بضعة الرسول وريحانته فاطمة الزهراء (ع) تسأله أن يدفع اليها ما بقي من خمس خيبر فأبى أن يدفع اليها شيئاً (٣) وقـد ترك شبح الفقر مخيماً على آل النبي (ص) وحجب عنهم أهم مواردهم الاقتصادية التي فرضها الله لهم :

(١) سورة الانفال : آية ٤١ .

(٢) الكشاف في تفسير آية الخمس .

(٣) صحيح البخاري ٣ / ٣٦ ، صحيح مسلم ٢ / ٧٢ .

## الاستيلاء على تركة النبي :

واستولى أبو بكر على جميع ما تركه النبي ( ص ) من بلغة العيش فلم يبق ولم يذر منه أي شيء وانما حازه الى بيت المال ، وقد سدّ بذلك على العترة الطاهرة أي نافذة من مواردها المعاشية ، وفرض عليها حصاراً اقتصادياً لا تطيق معه من القيام بأي حركة ضده .

### حجته :

وكانت حجة أبي بكر في مصادرته لتركة النبي ( ص ) وحرمان ورثته منها ما رواه عن رسول الله ( ص ) أنه قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » (١) ولهذا الحديث استند أبو بكر في حجب سيدة النساء فاطمة عليها السلام عن ارثها من أبيها ، وقد وصم هذا الحديث بالوهن والضعف

١ — إنه لو كان صحيحاً ومعتبراً لعرفته سيدة النساء فاطمة ( ع ) وما دخلت ميدان المخاصمة والمحاججة معه ، وكيف تطالبه وهي سليلة النبوة بأمر لم يكن مشروعاً لها ؟

٢ — ان النبي ( ص ) كيف يحجب عن بضعته أمراً يرجع الى تكليفها الشرعي ، فان في ذلك تعريضاً للامة للهلاك والقاءً لها في ميدان الخصومة

٣ — انه من الممتنع ان يحجب النبي هذا الحديث عن الامام ، وهو حافظ سره ، وباب مدينة علمه ، وباب دار حكمته وأقضى أمته ، وأبو

---

(١) بلاغات النساء ( ص١٩ ) ، اعلام النساء ٣ / ١٢٠٧ ، شرح ابن ابي الحديد .

سبطيه ، ومن المقطوع به أنه لو كان لهذا الحديث أي نصيب من الصحة لعرفه الامام ، وما كتمه النبي ( ص ) عنه .

٤ - لو كان صحيحاً لعرفه الهاشميون وهم عيبة النبي ( ص ) وأهله فلماذا لم يبلغهم به ؟

٥ - انه لو كان له أي مدى من الصحة لما خفي على امهات المؤمنين وقد ارسلن الى عثمان بن عفان يسألنه أن يسأل لهن ميراثهن من رسول الله صلى الله عليه وآله . . . هذه بعض المؤاخذات التي تواجه الحديث ، وهي تجعله من الضعف بأقصى مكان .

## حوار الزهراء مع ابي بكر :

وضاقت الدنيا على بضعة النبي ( ص ) وأرهقت ارهاقاً شديداً من الاجراءات الصارمة التي اتخذها أبو بكر ضدها ، ويقول الرواة إنها سلام الله عليها استقلت غضبا فلاثت خمارها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلت في لمة من حفدتها ، ونساء قومها ، تطأ ذيولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر ، وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة (١) . ثم أنّت أنة اجهش لها القوم بالبكاء ، وارتج المجلس ، فأمهلتهم حتى اذا سكن نشيجهم ، وهدأت فورتهم ، افتتحت خطابها بحمد الله والثناء عليه ، وانحدرت في خطابها كالسيل ، فلم يسمع أخطب ولا أبلغ منها ، وقد تحدثت في خطابها الرائع عن معارف الاسلام وفلسفته ، وألقت الأضواء على علل أحكامه ، وحكم تشريعاته ، وعرضت الى ما كانت عليه حالة الأمم قبل أن يشرق عليها

(١) الملاءة : الازار .

نور الاسلام من التناحر والانحطاط ، ووهن العقول وضحالـة التفكير ، خصوصاً الجزيرة العربية فقد منيت بالذل والهوان ، فكانت على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب ، ونهـزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطىء الاقدام ، وقد بلغت من الانحطاط في حياتها الاقتصادية الى حد كانت الأكثرية الساحقة تقتاد القد ، وتشرب الطرق ، وظلت على هذا الحال المرير ترسف في قيود الفقر ، الى أن أنقذها الله بنبيه ورسوله ( ص ) فدفعها الى واحات الحضارة ، وجعلها سادة الأمم والشعوب ، فما أعظم فضله على العرب وعلى الناس جميعاً . . وعرضت سيدة النساء ( ع ) الى فضل ابن عمها الامام أمير المؤمنين ( ع ) وجهاده المشرق في نصرة الاسلام ، والذب عن حياضه في حين أن المهاجرين من قريش كانوا في رفاهية من العيش وادعين آمنين لم يكن لهم أي ضلع في نصرة القضية الاسلامية وانما كانوا — على حد تعبيرها — ينكصون عند النزال ، ويفرون من القتال ، كما كانوا يتربصون بأهل البيت الدوائر ، ويتوقعون بهم نزول الأحداث وأعربت ( ع ) في خطابها عن أسفها البالغ على ما مُني به المسلمون من الزيغ والأنحراف ، والاستجابة لدواع الهوى والغرور ، وتنبأت عما سيواجهونه من الأحداث الخطيرة والكوارث المؤلمة نتيجة لما ارتكبوه من الأخطـاء والانحراف عما أراده الله منهم من التمسك بالعترة ، وبعدما أدلت بهذه النقاط المشرقة عرضت الى حرمانها من ارث أبيها رسول الله ( ص ) فقالت :

« وانتم الآن تزعمون : ان لا أرث لي من أبي « أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » .

أفلا تعلمون . . — بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية — أني ابنته ويهاً أيها المسلمون أأغلب على تراث أبي ؟

يابن أبي قحافة ؟ ! ! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ؟

لقد جئت شيئاً فريا أفعلى عمد تركتم كتاب الله ، ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول : « وورث سليان داود » وقال فيا اقتص من خبر يحيي بن زكريا إذ يقول : « رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيـــاً » وقال : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وقال : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » وقال : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين » .

وزعمتم أن لا حظوة لي ، ولا ارث من أبي ، ولا رحم بيننا أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي .

أم تقولون : هل ملتين لا يتوارثان ؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ؟

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟

ثم وجهت خطابها الى أبي بكر فقالت له :

« فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحـــكم الله ، والزعيم محمد والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم إذ تندمون « ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم » .

واتجهت نحو فئة المسلمين تستنهض هممهم ، وتوقظ عزائمهم للمطالبة بحقها ، والثأر لها قائلة :

« يا معشر الفتية واعضاد الملة ، وحضنة الاسلام ما هذه الغميزة في حقي ، والسنة عن ظلامتي ؟ ! ! أما كان رسول الله أبي يقول : « المرء يحفظ في ولده » سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا اهالة ، ولكم طاقة بما أحاول وقوة على ما أطلب وأزاول ، أتقولون : مات محمد فخطب جليل استوسع وهيه ، واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه ، وأظلمت الأرض لغيبته ، وكسفت

الشمس والقمر ، وانتشرت النجوم لمصيبته ، وأكدت الآمال وخشعت الجبال ، واضيع الحريم ، وأديلت الحرمة عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى التي لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة ، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً ، وتلاوة والحاناً ولقبله ما حلت بانبياء الله ورسله ، حكم فصل وقضاء حتم ، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين »

وأخذت تحفز الأنصار ، وتذكرهم بجهادهم المضيء وكفاحهم المشرق في نصرة الاسلام وحماية أهدافه ومبادئه ، طالبة منهم الانتفاضة والثورة على قلب الحكم القائم قائلاً :

« ايها بني قيلة (١) أأهضم تراث أبي وأنتم بمرىء ومسمع ومنتدى ومجمع تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعدة ، والأداة والقوة ، وعندكم السلاح والجنة (٢) توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون ، وانتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح والنخبة التي انتخبت ، والخيرة التي اختيرت لنا — أهل البيت — قاتلتم العرب وتحملتم الكد والتعب ، وناطحتم الأمم وكافحتم البهم ، فلا نبرح وتبرحون نأمركم فتأتمرون ، حتى اذا دارت بنا رحى الاسلام ، ودرّ حلب الأيام وخضعت نعرة الشرك ، وسكنت فورة الافك ، وخمدت نيران الكفر وهدأت دعوة الهرج واستوسق نظام الدين فانى جرتم (٣) بعد البيان وأسررتم بعد الاعلان ، ونكصتم بعد الاقدام ، واشركتم بعد الايمان ، بؤساً

(١) بنو قيلة : هم الأوس والخزرج من الأنصار .
(٢) الجنة — بالضم — ما يستتر به من السلاح .
(٣) جرتم : أي ملتم .

لقوم ( نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة ) أتخشونهم ؟ « والله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين » .

ولما رأت وهن الأنصار ، وتخاذلهم وعدم استجابتهم لنداء الحق ، وجهت لهم أعنف اللوم ، وأشد العتب والتقريع قائلة :

« ألا وقد قلت : ما قلت : على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، وبثة الصدر ، ونفثة الغيظ ، وتقدمة الحجة ، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر ، نقبة الخف ، باقية العار ، موسومة بغضب الله ، وشنار الأبد ، موصومة بـ « نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة انها عليهم موصدة » فبعين الله ما تفعلون « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

وأنا ابنة نذيركم بين يدي عذاب شديد « فاعملوا انا عاملون ، وانظروا إنا منتظرون » (١) .

وقد وجلت القلوب ، وخشعت الأبصار ، وبخعت النفوس ، وأوشكت أن ترد شوارد الأهواء ، ويرجع الحق الى نصابه ومعدنه ، إلا أن ابا بكر قد استطاع بلباقته الهائلة ، وقابلياته الدبلوماسية ان يسيطر على الموقف وينقذ حكومته من الانقلاب ، وقد قابل بضعة الرسول (ص) بكل تكريم واحتفاء واظهر لها انه يخلص لها اكثر مما يخلص لابنته عائشة ، وانه يكن لها في اعماق نفسه الاحترام والتقدير ، كما اظهر لها حزنه العميق على وفاة ابيها رسول الله (ص) وانه ود ان يكون مات قبل موته ، وعرض لها انه لم يتقلد منصب الحكم ولم يتخذ معها الاجراءات الصارمة عن رأيه الخاص ، وإنما كان عن رأي المسلمين واجماعهم ، وقد جلب له بذلك القلوب بعد ما نفرت منه ، واخمد نار الثورة وقضى على جميع معالمها .

(١) اعلام النساء ٣ / ١٢٠٨ ، بلاغات النساء ( ص١٢–١٩ ) .

## حجة الزهراء :

اما حجة الزهراء (ع) على ارثها من ابيها ، فقد كانت وثيقة للغاية فقد كان استدلالها بآيات محكمات لا ترد ، ولا تكابر ، احتجت – اولاً – على توريث الأنبياء الشامل لأبيها بآيتي داود وزكريا ، وهما صريحتان بتوريثها ، واحتجت – ثانياً – بعموم آيات المواريث ، وعموم آية الوصية ويجب الأخذ بتلك العمومات وهي بالطبع شاملة لابيها وخروجه عنها ، انما هو من باب التخصيص بلا مخصص ، ثم ذكرت لهم ان ما يوجب التخصيص والخروج عن هذه العمومات انما هو فيما اذا اختلف الوارث ومورثه في الدين وتقول لهم : فهل لكم اذ منعتموني عن ارثي من ابي اني واياه من اهل ملتين وهما لا يتوارثان ، أولست واياه من اهل ملة واحدة . . . وقد بلغت بهذا المنطق الى ابعد الغايات ، وقدمت اروع الحجج في الدفاع عن حقها .

## تأميم فدك :

وبقي هناك شيء آخر ذات اهمية بالغة في المجال الاقتصادي وهي واردات فدك ، فقد كانت تقوم بسد جميع ما تحتاجه العترة الطاهرة من النفقات الاقتصادية ، وتوفر لها اسباب المعيشة برخاء إلا انها اممت ، واضيفت وارداتها الى بيت المال لئلا تقوى شوكة علي (ع) على مناهضة الحكم القائم .

وهنا بحوث بالغة الأهمية انفقنا على تحقيقها وقتاً غير قليل ، وقد حذفت واعرضنا عن ذكرها ، فانه لم تكن عندنا – يعلم الله – أية رغبة في الخوض

في هذه البحوث المؤلمة إلا ان دراسة حيـاة الامام الحسين ( ع ) دراسة منهجية سليمة وشاملة تتوقف على دراسة هذه الأحداث التى لعبت دورها الخطير في مسرح السياسة الاسلامية ، فقد اخذت تجري كلهـا في فصل واحد مترابط ، واعقبت اشد المحن والخطوب .

## مآسي الزهراء :

وطافت موجات قاسيـة من الهموم والأحزان ببضعة النبي (ص) ووديعته فقد احتل الاسى قلبها الرقيق المعذب ، وغشيتها سحب قاتمة من الكدر واللوعة على فقد أبيها الذي كان اعز عندها من الحياة ، فكانت تزور جدثه الطاهر فتطوف حوله ، وهي حيرى ذاهلة اللب ، منهدة الكيان فتلقي بنفسها عليه ، وتأخذ حفنة من ترابه الطاهر فتضعه على عينيها ووجهها وتطيل من شمه ، وتقبيله ، فتجد في نفسها راحة ، وهي تبكي امر البكاء واشجاه ، وتقول بصوت حزين النبرات :

ماذا على من شمّ تربة أحمـد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صُبت علي مصائب لو أنهـا ... صبت على الأيام صرن لياليـا
قل للمغيب تحت أطباق الثرى ... إن كنت تسمع صرختي وندائيا
قد كنت ذات حمى بظل محمد ... لا اختشي ضيماً وكان جماليا
فاليوم أخضع للذليـل وأتقي ... ضيمي وادفع ظالمي بردائيـا
فاذا بكت قمريـة في ليلهـا ... شجناً على غصن بكيت صباحيا
فلاجعلن الحزن بعـدك مؤنسي ... ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا (١)

وتصور هذه الأبيات أروع تصوير وأصدقه للوعة الزهراء وشجونها

(١) المناقب لابن شهراشوب ٢ / ١٣١ .

فقد مثلت أحزانها المرهقة على فراق أبيها الذي أخلصت له في الحب كما أخلص لها أبوها ، ولو صبت مصائبها الموجعة على الأيام لخلعت زينتها . . . كما صورت هذه الأبيات الحزينة مدى منعتها وعزتها أيام أبيها فقد كانت من أعز نساء المسلمين شأناً واعلاهن مكانة ، ولكنها بعدما فقدت أباها تنكر لها القوم ، وأجمعوا على الغض من شأنها ، حتى صارت تخضع للذليل ، وتتقى ممن ظلمها بردائها اذ لم يكن هناك من يحميها ، ولم تكن تأوي الى ركن شديد.

وقد خلدت الى البكاء والحزن حتى عُدت من البكائين الخمس (١) الذين مثلوا الحزن والأسى في هذه الحياة ، وقد بلغ من عظيم وجدها على أبيها ان أنس بن مالك استأذن عليها ليعزيها بمصابها الأليم ، وكان ممن وسد رسول الله ( ص ) في مثواه الأخير فقالت له :

« أنس بن مالك ؟ » .

« نعم يا بنت رسول الله » .

فقالت له وهي تلفظ قطعاً من قلبها المذاب :

« كيف طابت نفوسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ( ص ) » (٢).

وقطع أنس كلامه ، وطاش لبه ، وخرج وهو يذرف الدموع قد غرق في عالم من الأسى والشجون .

وألحت بضعة رسول الله ( ص ) على ابن عمها أمير المؤمنين أن يريها القميص الذي غسل فيه أباها رسول الله ( ص ) فجاء به اليهـــا فاخذته بلهفة وهي توسعه تقبيلاً وشماً لأنها تجد فيه رائحة أبيها الذي غاب في مثواه ، ووضعته على عينيها ، وقلبها الزاكي يتقطع من الم الحزن والاسى

---

(١) البكاؤون الخمس : آدم ويعقوب ، ويوسف ، وعلي بن الحسين وفاطمة ، جاء ذلك في بحار الأنوار ١٠ / ٤٤ .

(٢) سنن ابن ماجة ( ص١٨ ) المواهب اللدنية للقسطلاني ٢ / ٣٨١ .

حتى غشي عليها وخلدت وديعة النبي ( ص ) الى البكاء في وضح النهار وفي غلس الليل وظل شبح أبيها يتابعها في كل فترة من حياتهـا القصيرة الأمد ، وقـد ثقل على القوم فيما يقول المؤرخون ، بكاؤها فشكوها الى الامام أمير المؤمنين ( ع ) وطلبوا منه ان تجعل لبكائها وقتاً خاصاً لأنهم لا يهجعون ولا يستريحون فكلمها أمير المؤمنين ( ع ) فأجابتـه الى ذلك فكانت في نهارها تخرج خارج المدينة وتصحب معها ولديها الحسن والحسين فتجلس تحت شجرة من الأراك ، فتستظل تحتها ، وتبكي أباها طيلة النهار فاذا أوشكت الشمس أن تغرب تقدمها الحسنان مع أبيهما ورجعوا قافلين الى الدار التي خيم عليها الحزن والأسى ، وعمد القوم الى تلك الشجرة فقطعوها فكانت تبكي في حر الشمس ، فقام أمير المؤمنين ( ع ) فبنى لها بيتاً أسماه « بيت الأحزان » ظل رمزاً لأساها على ممر العصور ، ونسب الى قائم آل محمد ( ص ) انه قال فيه :

ام تراني اتخذت لا وعلاها بعد بيت الأحزان بيت سرور

وكانت حبيبة رسول الله تمكث نهارها في ذلك البيت الحزين تناجى أباها وتبكيه أمر البكاء وأقساه ، واذا جاء الليل أقبل علي فأرجعها الى الدار مع ولديها الحسن والحسين .

وأثر الحزن المرهق ببضعة النبي وريحانته حتى فتكت بها الأمراض فلازمت فراشها ، ولم تتمكن من النهوض والقيـام فبادرت السيدات من نساء المسلمين الى عيادتها فقلن لها :

« كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله ؟ » .

فرمقتهن بطرفها ، واجابتهن بصوت خافت مشفوع بالحزن والحسرات قائلة :

« أجدني كارهة لدنياكن ، مسرورة لفراقكن ، ألقى الله ورسوله

بحسراتكن ، فما حفظ لي الحق ، ولا رعيت مني الذمة ، ولا قبلت الوصية ولا عرفت الحرمة . . » (١) .

وخيم على النسوة صمت رهيب ، وأنعكس على وجوههن حزن شديد وغامت عيونهن بالدموع ، وانطلقن الى بيوتهن بخطى ثقيلة ، فعرضن على أزواجهن كلمات زهراء الرسول ، فكانت وقعها عليهم أشد من ضربات السيوف ، فقد عرفوا مدى تقصيرهم تجاه وديعة نبيهم وهرعن بعض امهات المؤمنين الى عيادتها فقلن لها :

« يا بنت رسول الله . . . صيري لنا في حضور غسلك حظاً » .

فلم تجبهن الى ذلك وقالت :

« أتردن أن تقلن فيّ كما قلتن في امي لا حاجة لي في حضوركن » .

## الى جنة المأوى :

وتوالت الأمراض على وديعة النبي ( ص ) وفتك الحزن بجسمها النحيل المعذب حتى انهارت قواها ، واصبحت لا تقوى على النهوض من فراشها وأخذت تذوي كما تذوي الأزهـــار عند الظماء ، فقد مشى اليها الموت سريعاً وهي في شبابها الغض الاهاب ، وقد حان موعد اللقاء القريب بينها وبين أبيها الذي غاب عنها وغابت معه عواطفه الفياضة ولما بدت لها طلائع الرحيل عن هذه الحياة طلبت حضور ابن عمها الامام أمير المؤمنين ، فعهدت اليه بوصيتها ، وقد جاء فيها ان يواري جثمانها المقدس في غلس الليـــل البهيم ، وان لا يشيعها أحد من الذين هضموها ، لأنهم اعداؤها وأعداء أبيها – على حد تعبيرها – كما عهدت اليه أن يتزوج من بعدها بابنت

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٩٥ .

اختها أمامة لأنها تقوم برعاية ولديها الحسن والحسين اللذين هما أعز عندها من الحياة ، وعهدت اليه ان يعفي موضع قبرها ليكون رمزاً لغضبها غير قابل للتأويل على ممر الأجيال الصاعدة ، وضمن لها الامام جميع ما عهدت اليه ، وانصرف عنها وهو غارق في الأسى والشجون .

وأسرت بضعة الرسول (ص) الى اسماء بنت عميس فقالت لها :

« إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء بعد موتهن » فقد كانت العادة أن يدرج على المرأة ثوب فيصفها لمن رأى وقد كرهت ذلك فاحبت أن يصنع لها سرير لا يبدو فيه جسدها ، فعملت لها أسماء سريراً يستر من فيه قد شاهدته حينما كانت في الحبشة ، فلما نظرت اليه سرت به ، وابتسمت وهي أول ابتسامة شوهدت لها منذ ان لحق ابوها بالرفيق الأعلى (١) .

وفي آخر يوم من حياتها أصبحت وقد ظهر بعض التحسن على صحتها ، وكانت بادية الفرح والسرور فقد علمت أنها في يومها تلحق بأبيها ، وعمدت الى ولديها فغسلت لهما ، وصنعت لهما من الطعام مايكفيهم يومهم ، وأمرت ولديها بالخروج لزيارة قبر جدهما ، وهي تلقي عليهما نظرة الوداع ، وقلبها يذوب من اللوعة والوجد ، وخرج الحسنان ، وقد هاما في تيار من الهواجس ، واحسا ببوادر مخيفة اغرقتهما بالهموم والأحزان

والتفت وديعة النبي الى سلمى بنت عميس ، وكانت تتولى تمريضها وخدمتها فقالت لها :

« يا أماه » .

« نعم يا حبيبة رسول الله » .

« اسكبي لي غسلاً » .

فانبرت واتتها بالماء فاغتسلت فيه ، وقالت لها ثانياً :

---

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ١٦٢ .

« ايتيني بثيابي الجدد » .

فناولتها ثيابها ، وهتفت بها مرة اخرى :

« اجعلي فراشي وسط البيت » .

وذعرت سلمى وارتعش قلبها فقد عرفت ان الموت قد حل بوديعة النبي ، وصنعت لها سلمى ما أرادت فاضطجعت على فراشها ، واستقبلت القبلة والتفتت الى سلمى قائلة بصوت خافت :

« يا امه . . اني مقبوضة الآن ، وقد تطهرت فلا يكشفني أحد » وأخذت تتلو آيات من الذكر الحكيم حتى فارقت الحياة ، وسمت تلك الروح العظيمة الى بارئها لتلتقي بابيها الذي كرهت الحياة بعده .

لقد ارتفعت تلك الروح الى جنان الله ورضوانه ، فما اظلت سماء الدنيا في جميع مراحل هذه الحياة مثلها قداسة وفضلاً وشرفاً وعظمة ، وقد انقطع بموتها آخر من كان في دنيا الوجود من نسل رسول الله .

وقفل الحسنان الى الدار فلم يجدا فيها امها فبادرا يسألان سلمى عن امها ففاجئتهما وهي غارقة في العويل والبكاء قائلةً :

« يا سيدي ان امكما قد ماتت فاخبرا بذلك اباكما » .

فكان ذلك كالصاعقة عليهما فهرعا مسرعين الى جثمانها ، فوقع عليها الحسن ، وهو يقول :

« يا اماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني » .

والقى الحسين نفسه عليها وهو يعج بالبكاء قائلاً :

« يا اماه انا ابنك الحسين كلميني قبل ان ينصدع قلبي » .

وأخذت اسماء توسعهما تقبيلاً ، وتعزيهما وتطلب منهما ان يسرعا الى ابيهما فيخبراه ، فانطلقا الى مسجد جدهما رسول الله وهما غارقان في البكاء

فلما قربا من المسجد رفعا صوتهما بالبكاء ، فاستقبلهما المسلمون ، وقد ظنوا انهما تذكرا جدهما فقالوا :

« ما يبكيكما يا بني رسول الله ؟ لعلكما نظرتما موقف جدكما فبكيتما شوقاً اليه ؟ » .

فأجابا :

« أو ليس قد ماتت أمنا فاطمة ؟ » .

واضطرب الامام أمير المؤمنين وهز النبأ المؤلم كيانه ، وطفق يقول :

« بمن العزاء يا بنت محمد ؟ كنت بك أتعزى ففيم العزاء من بعدك ؟ »

وخف مسرعاً الى الدار ، وهو يذرف الدموع ، ولما القى نظرة على جثمان حبيبة رسول الله أخذ ينشد :

لكل اجتماع من خليلين فرقة　　　وكل الذي دون الفراق قليل

وان افتقادي فاطماً بعد أحمد　　　دليل على أن لا يدوم خليل

وهرع الناس من كل صوب نحو بيت الامام ، وهم يذرفون الدموع على وديعة نبيهم فقد انطوت بموتها آخر صفحة من صفحات النبوة ، وتذكروا بموتها عطف الرسول وحدبه عليهم ، وقد ارتجت يثرب من الصراخ والعويل .

وعهد الامام الى سلمان الفارسي أن يعرف الناس أن موارة بضعة النبي صلى الله عليه وآله تأخر هذه العشية ، وتفرقت الجماهير ، وأقبلت عائشة وهي تريد الدخول الى بيت الامام لتلقي نظرة الوداع على جثمان بضعة الرسول فحجبتها أسماء وقالت لها :

« لقد عهدت إليّ أن لا يدخل عليها أحد . . . » (١) .

ولما مضى من الليل شطره قام الامام فغسل الجسد الطاهر ، ومعه

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ٣ / ٣٦٥ .

أسماء والحسنان ، وقد أخذت اللوعة بمجامع قلوبهم ، وبعد أن أدرجها في أكفانها دعا بأطفالها الذين لم ينتهلوا من حنان امهم ليلقوا عليهــا النظرة الأخيرة ، وقد مادت الأرض من كثرة صراخهم وعويلهم ؛ وبعد انتهاء الوداع عقد الامام الرداء عليها ، ولما حل الهزيع الأخير من الليل قام فصلى عليها ، وعهد الى بني هاشم وخلص اصحابه أن يحملوا الجثمان المقدس الى مثواه الأخير ، ولم يخبر أي أحد بذلك سوى تلك الصفوة من أصحابه وأهل بيته وأودعها في قبرها وأهال عليها التراب ، ووقف على حافة القبر ، وهو يروي ثراه بدموع عينيه ، واندفع يؤبنها بهذه الكلمات التي تمثل لوعته وحزنه على هذا الرزء القاصم قائلاً :

« السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك ، السريعة اللحاق بك . . . قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي الا أن في التأسي بعظيم فرقتك ، وفادح مصيبتك موضع تعز ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك . . إنا لله وإنا اليه راجعون ، لقد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد الى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم ، وستنبئك ابنتك بتضافر امتك على هضمها ، فاحفها السؤال ، واستخبرها الحال . . هذا ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر ، والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم ، فان انصرف فلا عن ملالة ، وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين . . . » (١) .

وطفحت هذه الكلمات بالألم الممض والحزن العميق فقد أعلن فيها شكواه للرسول على ما ألم بابنته من الخطوب والنكبات ، ويطلب منــه أن يلح في السؤال منها ، لتخبره بما جرى عليها من الظلم والضيم في تلك

(١) النهج محمد عبده ٢ / ٢٠٧ — ٢٠٨ .

الفترة القصيرة الأمد التي عاشتها .

كما اعلن سلام الله عليه عن شجاه المرهق على بضعة النبي ( ص ) فهو في حزن دائم لا تنطفيء فيه نار اللوعة حتى يلتحق الى جوار الله وينصرف الامام عن قبر الصديقة لكن لا عن سأم ولا عن كراهية وانما استجابة لتعاليم الاسلام الآمرة بالخلود الى الصبر .

وعاد الامام الى بيته كئيباً حزيناً ، ينظر الى أطفاله وهم يبكون على أمهم أمر البكاء وأشجاه فتهيج أحزانه ، وقد آثر ( ع ) العزلة عن الناس وعدم الاشتراك بأي أمرٍ من أمورهم فقد أعرض عن القوم وأعرضوا عنه لا يشاركونه بأي أمر من امورهم اللهم الا اذا حلت في ناديهم مشكلة لا يهتدون الى حلها فزعوا اليه لينتهلوا من نمير علمه .

وقد قطع الحسين (ع ) دور الطفولة في هذه المرحلة المحزنة وقلبه قد أترع بالأحزان والآلام ، فقد َفقَدَ َ في تلك الفترة الحزينة جده الذي كان يفيض عليه بالعطف والحنان وفقد أمه الرؤوم التي عاشت في هذه الدنيا وعمرها كعمر الزهور ، وفاجأها الموت وهي في شبابها الغض الأهاب .

ومن الطبيعي أنه ليس اكثر حزناً ولا اقوى صدمة على الطفل من فقد امه العطوف فانه يفقد معها جميع آمال حياته .

لقد رأى الامام الحسين (ع ) وهو في سنه المبكر ما عانته امه من عظيم الرزايا والخطوب فكان لها أعمق الاثر وأقساه في نفسه ، وقد اعطته هذه الأحداث دراسة عن ميول الناس واتجاهاتهم وانهم لا يندفعون نحو الحق ، وانما ينسابون وراء اطماعهم وشهواتهم .

## ولاة أبي بكر :

كان جهاز الحكم الاداري في عهد أبي بكر خاضعاً لارادة عمر بن الخطاب فهو المخطط لسياسة الدولة ، والواضع لبرامجها الداخلية والخارجية قد وثق به أبو بكر ، وأسند اليه جميع مهام حكومته ، فلم يعقد أي عقد أو يقطع أي عهد إلا عن رأيه ، ومشورته ، كما لم يوظف أي عامل إلا بعد عرضه عليه .

أما تعيين الولاة على الأقطار والأقاليم الاسلامية ، أو اسناد أي منصب حساس من مناصب الجيش فانه لا يمنح لاحد إلا بعد احراز الثقة بـه والاخلاص منه للحكم القائم ، والتجاوب مع مخططاته السياسية ، فمن كانت له أدنى ميول معاكسة لرغبات الدولة ، فانه لا يرشح لأي عمل من اعمالها ويقول المؤرخون : إن أبا بكر عزل خالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي بعثه لفتح الشام ، ولم يكن هناك أي موجب لعزله إلا لأن عمر نبهه على ميوله لعلي وبيّن له مواقفه يوم السقيفة التي كانت مناهضة لأبي بكر (١) .

ولم يعهد أبو بكر بأي عمل أو منصب لأحد من الهاشميين ، وقد كشف عمر الغطاء عن سبب حرمانهم في حواره مع ابن عباس من انه يخشى اذا مات وأحد الهاشميين والياً على قطر من الأقطار الاسلاميـة ان يحدث في شأن الخلافة ما لا يحب (٢) .

كما حرم الأنصار من وظائف الدولة ، وذلك لميولها الشديد الى علي

---

(١) شرح النهج ١ / ١٣٥ .

(٢) مروج الذهب المطبوع على هامش ابن الأثير ٥ / ١٣٥ .

عليه السلام ، أما عماله وولاته فقد كان معظمهم من الأسرة الأموية وهم :

١ - أبو سفيان :

استعمله عاملاً له على ما بين آخر حد للحجاز وآخر عهد من نجران (١) :

٢ - يزيد بن أبي سفيان :

استعمل يزيد بن أبي سفيان والياً على الشام (٢) ويقول المؤرخون انه خرج مودعاً له الى خارج يثرب .

٣ - عتاب بن أسيد :

عين أبو بكر عتاب بن أسيد بن أبي العاص والياً على مكة (٣) .

٤ - عثمان بن أبي العاص :

جعله والياً على الطائف (٤) ومنذ ذلك اليوم علا نجم الأمويين ، واستردوا كيانهم بعد ان فقدوه في ظل الاسلام .

وأبدى المراقبون لسياسة أبي بكر دهشتهم من حرمان بني هاشم من التعيين في وظائف الدولة ومنحها للعنصر الأموي الذي ناهض النبي (ص) وناجزه في جميع المواقف ، يقول العلائلي :

« فلم يفز بنو تيم بفوز أبي بكر بل فاز الأمويون وحدهم ، لذلك صبغوا الدولة بصبغتهم ، وآثروا في سياستها ، وهم بعيدون عن الحكم كما يحدثنا المقريزي في رسالته « النزاع والتخاصم » (٥) .

ان القابليات الدبلوماسية والإحاطة بشؤون الادارة والحكم ، والمعرفة

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ( ص١٠٣ ) .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٩ .

(٣) الاصابة ٢ / ٤٤٤ .

(٤) تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٨٩ .

(٥) الامام الحسين ( ص١٩١ ) .

بشؤون الدين كانت متوفرة عند الكثيرين من المهاجرين والأنصار من صحابة النبي (ص) فكان الأجدر تعيين هؤلاء في مناصب الدولة ، وابعاد الاسرة الاموية عنها لوقاية المجتمع الاسلامي من مكائدها وشرورها .

## سياسته المالية :

وقبل ان نعرض الى السياسة المالية التي نهجها أبو بكر نود ان نعرض الى السياسة المالية التي وضع براجها الاسلام ، فقد استهدف فيها اذابة الفقر ، ومكافحة الحرمان وتطوير الحياة الاقتصادية بحيث تتحقق الفرص المتكافئة لعامة المواطنين ، بحيث لا يبقى أي ظل للبؤس والحاجة ، ويعيش الجميع حياة يسودها الرخاء والرفاه .

وكان اهم ما يعني به الاسلام الزام الولاة بالاحتياط في اموال الدولة فلم يجز لهم باي حال أن يصطفوا منها لأنفسهم شيئاً كما لم يجز لهم ان ينفقوا اي شيء منها لتوطيد حكمهم ودعم سلطانهم . وكان الطابع العام لهذه السياسة المساواة بين المسلمين في العطاء فليس لرئيس الدولة ان يميز قوماً على آخرين فان ذلك يخلق الطبقية ، ويوجد الأزمات الحادة في الاقتصاد العام ، ويعرض المجتمع الى كثير من الويلات والخطوب ، ويقول المؤرخون إن أبا بكر قد ساوى في العطاء بين المسلمين ولم يشذ عما سنه الرسول صلى الله عليه وآله في هذا المجال الا ان بعض البوادر التي ذكرت تجافي ذلك فقد وهب لأبي سفيان ما كان في يده من اموال الصدقة كسباً لعواطفه التي تشترى وتباع بالاموال (١) كما قام بتوزيع شطر من الاموال على

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٢٠٢ .

المهاجرين والانصار فبعث الى امرأة من بني عدي بقسم من المال مع زيد ابن ثابت فأنكرت ذلك وقالت :

– ما هذا ؟

– قسم قسمه أبو بكر للنساء .

– اترشونني عن ديني ، والله لا أقبل منه شيئاً ؟ ! !

وردت المال عليه (١) هذه بعض المؤاخذات التي ذكرها بعض النقاد لسياسته المالية .

## عهده لعمر :

ولم يطل سلطان أبي بكر فقد ألمت به الأمراض بعد مضي ما يزيد على سنتين من حكمه وقد صمم على تقليد زميله عمر بن الخطاب شؤون الخلافة إلا ان ذلك لاقى معارضة الكثيرين من الصحابة فقد انبرى اليه طلحة قائلاً :

« ماذا تقول لربك : وقد وليت علينا فظاً غليظاً ؟ تفرق منه النفوس وتنفض منه القلوب » (٢) .

وسكت أبو بكر فاندفع طلحة يوالي انكاره عليه قائلاً :

« يا خليفة رسول الله ، إنا كنا لا نحتمل شراسته ، وأنت حي تأخذ على يديه ، فكيف يكون حالنا معه ، وأنت ميت وهو الخليفة . . » (٣)

---

(١) شرح النهج ١ / ١٣٣ .

(٢) شرح النهج ١ / ٥٥ .

(٣) شرح النهج ٦ / ٣٤٣ ط دار احياء الكتب العربية .

وبادر أكثر المهاجرين والأنصار الى أبي بكر يعلنون كراهيتهم لخلافة عمر فقد قالوا له :

« نراك استخلفت علينا عمر ، وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا ، وأنت بين أظهرنا ، فكيف إذا وليت عنا ، وأنت لاق الله عز وجل فسائلك ، فما أنت قائل ؟ » .

فأجابهم أبو بكر :

« لئن سألني الله لأقولن استخلفت عليهم خيرهم في نفسي . . » (١)

وكان الأجدر به فيما يقول المحققون أن يستجيب لعواطف الأكثرية الساحقة من المسلمين فلا يولي عليهم أحداً إلا بعد أخذ رضاهم واتفاق الكلمة عليه ، أو يستشير أهل الحل والعقد عملاً بقاعده الشورى إلا أنه استجاب لعواطفه الخاصة المترعة بالحب لعمر ، وقد طلب من معقيب الدوسي أن يخبره عن رأي المسلمين في ذلك فقال له :

« ما يقول الناس في استخلافي عمر ؟ » .

« كرهه قوم ورضيه آخرون . . » .

« الذين كرهوه أكثر أم الذين رضوه ؟ » .

« بل الذين كرهوه » (٢) .

ومع علمه بأن اكثرية الشعب كانت ناقمة عليه في هذا الأمر فكيف فرضه عليهم ، ولم يمنحهم الحرية في انتخاب من شاؤا لرئاسة الحكم .

وعلى أي حال فقد لازم عمر أبا بكر في مرضه لا يفارقه خوفاً من التأثير عليه ، وكان يعزز مقالته ورأيه في انتخابه له قائلاً :

---

(١) الامامة والسياسة ١ / ١٩ .

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١ / ٤٩ .

« أيها الناس ، اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله (ص) » (١)

وطلب أبو بكر من عثمان بن عفان أن يكتب للناس عهده في عمر ، وكتب عثمان ما أملاه عليه ، وهذا نصه :

« هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة ، آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها . وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فان تروه عدل فيكم فذلك ظني به ، ورجائي فيه ، وإن بدل وغيَّر فالخير أردت ولا أعلم الغيب « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . . » (٢) .

ووقع أبو بكر الكتاب فتناوله عمر ، وانطلق به يهرول الى الجامع ليقرأه على الناس فانبرى اليه رجل وقد انكر عليه ما هو فيه قائلاً :

« ما في الكتاب يا أبا حفص ؟ » .

فنفى عمر علمه بما فيه إلا أنه أكد التزامه بما جاء فيه قائلاً :

« لا أدري ، ولكني أول من سمع وأطاع . . » .

فرمقه الرجل ، وقد علم واقعه قائلاً :

ولكني والله أدرى ما فيه ، أمرته عام أول ، وأمرك العام . » (٣)

وانبرى عمر الى الجامع فقرأه على الناس ، وبذلك تم له الأمر بسهولة من دون منازع إلا أن ذلك قد ترك أعمق الأسى في نفس الامام أمير المؤمنين عليه السلام فراح بعد سنين يدلي بما انطوت عليه نفسه من الشجون يقول عليه السلام في خطبته الشقشقية :

« فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا ، حتى

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٥٢ .

(٢) الامامة والسياسة ١ / ١٩ ، طبقات ابن سعد ، تاريخ الطبري .

(٣) الامامة والسياسة ١ / ٢٠ .

مضى الأول لسبيله ، فادلى بها الى فلان – يعني عمر – بعده ، ثم تمثل بقول الأعشى :

شتان ما يومي على كورهـــا        ويوم حيـــان أخي جابر

فيا عجباً !! بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعـــد وفاته لشدّ ما تشطرا ضرعيها . . » (١) .

وكشفت هذه الكلمات عن مدى أحزانه وآلامه على ضياع حقه الذي تناهبته الرجال ، فقد وضعوه في تيم مرة وفي عدي تارة اخرى ، وتناسوا جهاده المشرق في نصرة الاسلام ، وما له من المكانة القريبة من رسول الله صلى الله عليه وآله .

وعلى أي حال فقد تناهبت الأمراض جسم أبي بكر ، ودفعتـــه الى النهاية المحتومة ، التي ينتهي اليها كل انسان ، وقد راح يبدي ندمه وأساه على ما فرط تجاه حبيبة رسول الله وبضعته قائلاً :

« وددت أني لم اكشف بيت فاطمة ، ولو انهم اغلقوه على الحرب » .

كما انه ودّ لو سأل رسول الله عن ميراث العمة وبنت الأخ ، وثقل حاله فدخلت عليه بنته عائشة تعوده فلما رأته يعالج سكرات الموت أخذت تتمثل بقول الشاعر :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى        اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فغضب أبو بكر وقال لها : ولكن قولي : « وجاءت سكرت الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » (٢) ولم يلبث قليلاً حتى وافاه الأجل المحتوم ، وانبرى صاحبه عمر الى القيام بشؤون جنازته ، فغسله ، وصلى عليـــه وواراه في بيت النبي (ص) وألصق لحده بلحده ، ويذهب النقاد من الشيعة الى أن

---

(١) مروج الذهب ٢ / ١٩٥ .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٩٠ .

هذا البيت إن كان من تركة النبي (ص) فانه لم يؤثر عنه انه وهبه لعائشة فلابد أن يكون خاضعاً لقواعد الميراث حسبما تراه العترة الطاهرة في تركة النبي (ص) وعلى هذا الرأي فلا يحل دفنه فيه إلا بعد الأذن منها ، ولا موضوعية لأذن عائشة لأنها انما ترث من البناء لا من الأرض حسب ماذكره الفقهاء في ميراث الزوجة وإن كان البيت خاضعاً لعملية التأميم حسبما يرويه أبو بكر عن النبي (ص) من أن الأنبياء لا يورثون أي شيء من متع الدنيا وانما يورثون الكتاب والحكمة ، وما تركوه فهو صدقة لعموم المسلمين ، فلابد إذن من ارضاء جماعة المسلمين في دفنه فيه ، ولم يتحقق كل ذلك بصورة مؤكدة :

وعلى أي حال فقد انتهت خلافة أبي بكر القصيرة الأمد ، وقد حفلت بأحداث رهيبة ، وكان من أخطرها فيما يقول المحققون معاملة العترة الطاهرة كاشخاص عاديين قد جرد عنها اطار التقديس والتعظيم الذي اضفاه النبي صلى الله عليه وآله عليها ، وقد مُنيت بكثير من الضيم والجهد ، فقد كانت ترى انها أحق بمقام النبي (ص) وأولى بمكانته من غيرها ، وقد أدى نزاعها مع أبي بكر الى شيوع الاختلاف واذاعة الفتنة والفرقة بين المسلمين ، كما أدى الى امعان الحكومات التي تلت حكومة الخلفاء الى ظلمهم واستعمال البطش والقسوة معهم ، ولعل أقسى ما عانوه من الكوارث هي فاجعة كربلا التي لم ترع فيها أي حق لرسول الله (ص) في عترته وابنائه .

## حكومة عمر :

ومهد أبو بكر الخلافة من بعده الى عمر فتولاها بسهولة ويسر من غير أن يلاقي أي جهد أو عناء وقد قبض على الحكم بيد من حديد ، فساس

البلاد بشدة وعنف بالغين حتى تحامى لقاءه أكابر الصحابة فان درته – كما يقولون – كانت أهيب من سيف الحجـــاج حتى ان ابن عباس مع ما له من المكانة المرموقة والصلات الوثيقة به لم يستطع ان يجاهر برأيه في حلية المتعة إلا بعد وفاته ، وقد خافه وهابه حتى عياله ، وابناؤه ، فلم يستطع أي واحد منهم أن يفرض ارادته عليه ، ونعرض – بايجاز – الى بعض مناهج سياسته :

سياسته المالية :

واتفقت مصادر التاريخ الاسلامي على أن عمر عدل في سياسته عن منهج أبي بكر فلم يساو بين المسلمين في العطاء وانما ميز بعضهم على بعض وكان قد اشار على أبي بكر في أيام خلافته العدول عن سياسته فلم يقبل وقال : « إن الله لم يفضل أحداً على أحد ولكنه قال : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » ولم يخص قوماً دون آخرين » (١) ، ولما أفضت اليه الخلافة عمل بما كان قد أشار به على أبي بكر ، وقال : « إن أبا بكر رأى في هذا الحال رأياً ولي فيه رأي آخر لا اجعل من قاتل رسول الله (ص) كمن قاتل معه » وقد فرض للمهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً خمسة آلاف خمسة آلاف ، وفرض لمن كان اسلامه كاسلام أهل بدر ولم يشهد بدراً أربعة آلاف اربعة آلاف وفرض لأزواج النبي (ص) اثني عشر الفاً إلا صفية وجويرية فقد فرض لها ستة آلاف فأبتا ان يقبلا بذلك ، وفرض للعباس عم رسول الله (ص) اثني عشر الفاً ، وفرض لاسامة بن زيـــد أربعة آلاف ، وفرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف فانكر عليه ذلك وقال

(١) شرح النهج ٨ / ١١١ .

« يا أبت لم زدته علي الفاً ؟ ما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لأبي ، وكان له ما لم يكن لي . . » .

فقال له عمر :

« إن أبا اسامة كان احب الى رسول الله (ص) من أبيك ، وكان اسامة أحب الى رسول الله منك . . » (١) .

وقد فضل عمر العرب على العجم ، والصريح على المولى (٢) وقد أدت هذه السياسة الى ايجاد الطبقية بين المسلمين ، كما استدعت الى تصنيف الناس بحسب قبائلهم واصولهم فنشط النسابون لتدوين الأنساب وتصنيف القبائل بحسب أصولها (٣) مما أدى الى حنق الموالى على العرب ، وكراهيتهم لهم ، والتفتيش عن مثالبهم ، وظهور النعرات الشعوبية والقومية في حين ان الاسلام قد أمات هذه الظاهرة وجعل رابطة الدين أقوى من رابطة النسب ، والزم السلطة بالمساواة والعدالة بين الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم حتى لا تحدث ثغرة في صفوف المجتمع .

## الناقدون :

وقد أثارت هذه السياسة موجة من السخط والانكار عند الكثيرين من المحققين ، وفيما يلي بعضهم .

١ ـ الدكتور عبد الله سلام :

يقول الدكتور عبد الله سلام : لست ادري كيف اتخذ عمر هـذا

---

(١) الخراج (ص٢٤٢) .

(٢) شرح النهج ٨ / ١١١ .

(٣) العصبية القبلية (ص١٩٠) .

الاجراء ؟ ولماذا اتخذه ؟ إنه اجراء اوجد تفاوتاً اجتماعياً واقتصادياً ، اجراء أوجد بذور التنافس والتفاضل بين المسلمين » (١) .

٢ ـ الدكتور محمد مصطفى :

وممن أنكر هـذه السياسة الدكتور محمد مصطفى هدارة يقول : « وفرض العطاء على هذه الصورة قد أثر تأثيراً خطيراً في الحياة الاقتصادية للجماعة الاسلامية إذ خلق شيئاً فشيئاً طبقة ارستقراطية غنية يأتيها رزقها رغداً دون ان تنهض بعمل ما مقابل ما يدخل اليها من أموال . ذلك ان فرض العطاء كان يرتكز على ناحيتين القرابة من رسول الله ، والسابقة في الاسلام ولهذه القرابة ولتلك السابقة درجات ودرجات ، وبهذا لم يرع عمر فرض العطاء ذلك المقابل الذي لابد ان تأخذه الدولة في صورة عمل وجهاد » (٢)

٣ ـ العلائلي :

وانكر ذلك الشيخ العلائلي بقوله : « هذا التنظيم المالي أوجد تمايزاً كبيراً ، وأقام المجتمع العربي على قاعدة الطبقات بعد أن كانوا سواء في نظر القانون ( الشريعة ) فقد أوجد ارستقراطية وشعباً وعامة » (٣) .

هؤلاء بعض الناقدين للسياسة المالية التي انتهجها عمر ، وهي حسب مقررات الاقتصاد الاسلامي لا تحمل أي طابع من التوازن الاقتصادي فقد خلقت الراسمالية عند عدد من الصحابة وتضخمت الأموال الهائلة عندهم مما أوجب تغيير الحياة الأسلامية ، وسيطرة الرأسماليين على سياسة الدولة وتسخير أجهزتها لمصالحهم ، وقيامهم بدور المعارضة لكل حركة اصلاحية أو سياسية عادلة في البلاد ، وقد اشتدت تلك الزمرة في معارضة حكومة علي ( ع )

---

(١) الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية ( ص٢٥١ ) .

(٢) اتجاهات الشعر العربي ( ص١٠٨ ) .

(٣) الامام الحسين ( ص٢٣٢ ) .

وزجت بجميع ما تملك من الوسائل الاقتصادية وغيرها لاسقاط حكمه لأن سياسته العادلة كانت تهدف الى منعهم من الامتيازات ومصادرة ثرواتهم التي ابتزوها بغير حق .

## حجة عمر :

واعتذر عمر عن الغائه المساواة ، وايجاده لهذه الطبقية في الاسلام من أن لبعض الصحابة فضلاً على بعض باعتبار سبقهم الى الاسلام ، وقيامهم بعمليات الحروب وحركات الجهاد ، وهذا الاعتذار – فيما يبدو – لا موضوعية له ، فان النبي (ص) لم يؤثر بشيء من أموال الدولة ، أي أحـــد من أصحابه ، من الذين سبقوا للايمان وتعرضوا لأنواع المحن والعذاب ، أمثال عمار بن ياسر ، وبلال الحبشي ، وأبي ذر ، كما لم يؤثر بأي شيء ابن عمه علياً ، وهو بطل الاسلام ، والمنافح عنه في جميع المواقف والمشاهد ، وانما جعل أجر المجاهدين وثوابهم عند الله في الدار الآخرة فهو الذي يتولى جزاءهم ويثيبهم على ذلك .

ان السياسة المالية التي انتهجها النبي (ص) كانت تقضي ببسط العطاء على الجميع ، والمساواة فيما بينهم من أجل تماسك المجتمع ووحدته ، والقضاء على جميع الوان الطبقية والحزازات .

## ندم عمر :

وندم عمر كأشد ما يكون الندم حينما رأى انتشار الثراء الفاحش عند كثير من الصحابة ولم تطب به نفسه ، وانما راح يقول : « لو استقبلت من

أمري ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء وفيما نحسب ان هذا الاجراء الذي يرتأيه في معالجة التضخم المالي لا يخلو من تأمل فان فضول أموال الأغنياء ان كانت من فضل الاعطيات التي كان يغدقها عليهم فهي — من دون شك — من أموال الدولة واللازم يقضي بتأميمها حفظاً للتوازن الاقتصادي ، وان كانت من أموال التجارة — ولا أظنها — فان الواجب أخذ الضرائب المالية منها من دون أن يمنى نفسه بمصادرتها .

وعلى أي حال فان الأموال التي تأتي من الفي ، ومن جباية الجزية والخراج هي ملك للمسلمين ، ولا يجوز أن يستأثر بها فريق من الرعيــة دون غيرها بل لابد من توزيعها على الجميع بالسواء كما كان يصنع النبي صلى الله عليه وآله .

## سياسته الداخلية :

وجهد عمر على فرض سلطانه بالقوة والعنف ، فخافه القريب والبعيد وبلغ من عظيم خوفهم ان امرأة جاءت تسأله عن امر ، وكانت حاملاً ، ولشدة خوفها منه اجهضت حملها (١) وكان شديداً بالغ الشدة ، خصوصاً مع من كان يعتد بنفسه ، يقول الرواة : إنه كان يقسم مالاً بين المسلمين ذات يوم ، وقد ازدحم الناس عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص ، وبلاؤه معروف في فتح فارس ، فزاحم الناس حتى خلص الى عمر ، فلما رأى اعتداده بنفسه علاه بالــدرة ، وقال : لم تهب سلطان الله في الأرض ، فاردت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك ، وقصته مع جبلة تدل على

(١) شرح النهج ١ / ٧٤ .

مدى صرامته وشدته ، فقد أسلم جبلة وأسلم من كان معه ، وفرح المسلمون بذلك ، وحضر جبلة الموسم ، وبينا يطوف حول البيت إذ وطأ ازاره رجل من فزارة فحله فانف جبلة وسارع الى الفزاري فلطمه ، فبلغ ذلك عمر فاستدعى الفزاري ، وأمر جبلة أن يقيده من نفسه أو يرضيه ، وضيق عليه في ذلك غاية التضييق ، فارتد جبلة وخرج عن الاسلام وولى الى هرقل فاحتفى به وأضفى عليه النعم ، إلا أن جبلة كان يبكي أمر البكاء على ما فاته من شرف الاسلام وقد اعرب عن حزنه وأساه بقوله :

تنصرت الاشراف من أجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة ... وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت الى القول الذي قال لي عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر

وقد أراد عمر أن يقوده باول بادرة تبدو منه ببرة (١) محاولاً بذلك اذلاله ويحدثنا ابن أبي الحديد عن شدة عمر مع أهله فيقول : كان اذا غضب على واحد منهم لا يسكن غضبه حتى يعض على يده عضاً شديداً فيدميها (٢) .

وعرض عثمان الى شدة عمر حينما نقم عليه المسلمون ، واشتدوا في معارضته فأخذ يذكرهم بغلظته وقسوته لعلهم ينتهون عنه قائلاً :

---

(١) البرة : حلقة من صفر توضع في أنف الجمل الشرود فيربق بها جبل يقاد به .

(٢) شرح النهج ٦ / ٣٤٢ .

« لقد وطئكم ابن الخطاب برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه فخفتموه ورضيتم به . . . » (١) .

ووصف الامام أمير المؤمنين ( ع ) بعد حقبة من السنين سياسة عمر ومدى محنة الناس فيها بقوله :

« فصيرها - يعني أبا بكر في توليته لعمر - في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسها ، ويكثر العثار فيها ، والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة إن اشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحم ، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض . . » (٢) .

وتتجافى هذه السياسة عن سيرة الرسول ( ص ) وسياسته ، فقد سار بين الناس بالرفق واللين ، وساسهم بالرأفة والرحمة ، وكان لهم كالأب الرؤف ، وكان يشجب جميع مظاهر الرعب التي تبدو من بعض الناس تجاهه فقد جاءه رجل ، وقد أخذته الرهبة منه ، فنهره ( ص ) وقال له : « انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » وقد سار ( ص ) بين أصحابه سيرة الصديق مع صديقه والأخ مع أخيه من دون أن يشعرهم بأن له أية مزية أو تفوق عليهم ، وقد مدح الله تعالى معالي أخلاقه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » .

## الحصار على الصحابة :

ويقول المؤرخون : إن عمر فرض الحصار على صحابة الرسول ، ولم يسمح لهم بمغادرة يثرب ، فكانوا لا يخرجون إلا باذن خاص منه ،

(٢) حياة الامام الحسن بن علي ١ / ١٧٥ .

(٣) نهج البلاغة ١ / ١٦٢ .

وقد خالف بهذا الاجراء ما أثر عن الاسلام في منحه الحريات العامة للناس جميعاً ، فقد منحهم حرية الرأي والقول ، وحرية العقيدة ، وحرية العمل وجعلها من الحقوق الذاتية للانسان ، والزم الدولة بحمايتها ، ورعايتها وتوفيرها وليس للسلطة أن تقف موقفاً معاكساً أو مجافياً لها شريطة أن لا يستغلها الانسان في الاضرار بالغير أو يحدث فساداً في الأرض .

## دفاع طه حسين :

وبرر الدكتور طه حسين ما اتخذه عمر من فرض الحصار على الصحابة بقوله : « ولكنه خاف عليهم الفتنة ، وخاف منهم الفتنة ، فامسكهم في المدينة ، لا يخرجون منها إلا بإذنه ، وحبسهم عن الأقطار المفتوحة ، لا يذهبون اليها إلا بأمر منه خاف أن يفتتن الناس بهم ، وخاف عليهم أن يغرهم افتتان الناس بهم وخاف على الدولة أعقاب هذا الافتتان . . » (١) .

ولا يحمل هذا التوجيه أي طابع من العمق والتحقيق ، فان الصحابة الذين حاولوا السفر من يثرب الى الأقطار المفتوحة إن كانوا من الأخيار والمتحرجين في دينهم فانهم بكل تأكيد يكونون مصدر هداية وخير للشعوب المتطلعة لهدي الاسلام فانهم — من دون شك — يذيعون فيهم أحكام الدين وآداب الاسلام ويعملون على تثقيفهم وان كانوا من الذين غرتهم الدنيا ، وخدعتهم مظاهر الفتوحات الاسلامية ، فله الحق في منعهم عن السفر رسمياً لا شرعاً حفظاً على مصالح الدولة ، ووقاية للناس من الفتنة بهم ، ولكنه لم يؤثر عنه أنه فرض الحصار على فريق من الصحابة دون فريق ،

---

(١) الفتنة الكبرى ١ / ١٧ .

وانما فرضه عليهم جميعاً ، ومن الطبيعي انه بذلك قد شق على كثير من أصحاب النبي (ص) فقد حال بينهم وبين حرياتهم .

## ولاته وعماله :

وسلك عمر ما سلكه أبو بكر في ابعاد الاسرة الهاشمية عن جهاز الحكم ، فلم يجعل لها أي نصيب فيه ، وانما عهد الى من ولاهم أبو بكر، فأقرهم في مناصبهم ، ومن الغريب أنـــه لم يعين أي واحد من الصحابة النابهين أمثال طلحة والزبير ، وقد قيل له : انك استعملت يزيد بن أبي سفيان ، وسعيد بن العاص ، وفلاناً وفلاناً من المؤلفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء ، وتركت ان تستعمل علياً والعباس والزبير وطلحة ؟!!

فقال : أما علي فأنبه من ذلك ، وأما هؤلاء النفر من قريش ، فاني أخاف أن ينتشروا في البلاد فيكثروا فيها الفساد ، وعلق ابن أبي الحديد على كلامه هذا بقوله :

« فمن يخاف من تأميرهم لئلا يطمعوا في الملك ، ويدعيه كل واحد منهم لنفسه كيف لم يخف من جعلهم ستة متساويين في الشورى ، مرشحين للخلافة ! وهل شيء أقرب الى الفساد من هذا . . » (١) .

## مراقبة الولاة :

وكان عمر شديد المراقبة لعماله وولاته ، فكان لا يولي عاملاً إلا أحصى عليه ماله ، واذا عزله أحصاه عليه حين العزل فان وجد عنده فرقاً قاسمه

(١) نهج البلاغة ٩ / ٢٩ ـ ٣٠ .

ذلك الفرق فترك له شطراً ، والشطر الآخر ضمه الى بيت المال (١) واستعمل أبا هريرة الدوسي والياً على البحرين ، وقد بلغه عنه أنــه استأثر بأموال المسلمين فدعاه اليه ، ولما حضر عنده زجره وقال له :

« علمت أني استعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين ، ثم بلغني أنك ابتعت افراساً بالف وستمائة دينار . . » .

واعتذر أبو هريرة فقال له : « كانت لنا أفراس تناتجت ، وعطايا تلاحقت » ولم يعن به عمر وانما زجره وصاح به .

« قد حسبت لك رزقك ، ومؤنتك ، وهذا فضل فاده » .

وراوغ أبو هريرة فقال له :

« ليس لك ذلك .

« بلى والله وأوجع ظهرك » .

وغضب عمر فقام اليه، وعلاه بدرته حتى ادماه ، ولم يجد أبوهريرة بُدآ من احضار الأموال التي انتهبها بغير حق فقال له :

« أئت بها ، واحتسبها عند الله » .

فرد عليه منطقه الهزيل وقال له :

« ذلك لو أخذتها من حلال ، واديتها طائعاً ، أجئت بها من أقصى حجر البحرين يجبي الناس لك لا لله ، ولا للمسلمين ما رجعت بك اميمة (٢) إلا لرعية الحمر (٣) وشاطره جميع أمواله ، وقد شاطر من عماله ما يلي :

١ ـ سمرة بن جندب .

٢ ـ عاصم بن قيس .

---

(١) الفتنة الكبرى ١ / ٢٠ .

(٢) أميمه : ام أبي هريرة .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣ / ١٦٣ .

٣ – مجاشع بن مسعود .
٤ – جزء بن معاوية .
٥ – الحجاج بن عتيك .
٦ – بشير بن المحتفز .
٧ – أبو مريم بن محرش .
٨ – نافع بن الحرث .

هؤلاء بعض عماله وولاته الذين شاطرهم أموالهم ، ويقول المؤرخون إن السبب في اتخاذه لهذا الاجراء هو يزيد بن قيس فقد حفزه الى ذلك ودعاه اليه بهذه الأبيات :

ابلـــغ أمـــير المؤمنين رسالـــة ... فأنت أمين الله في النهي والأمر
وأنت أمين الله فينا ومن يكن ... أميناً لرب العرش يسلم له صدري
فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى ... يسيغون مال الله في الأدم والوفر
فارسل الى الحجاج فاعرف حسابه ... وارسل الى جزء وارسل الى بشر
ولا تنسين النـــافعين كليهمـــا ... ولا ابن غلاب من سراة بني نصر
وما عاصم منهـــا بصفر عيابـــه ... وذاك الذي في السوق مولى بني بدر
وارسل الى النعمان واعرف حسابه ... وصهر بني غزوان إني لذو خبر
وشبلا فسله المـــال وابن محرش ... فقد كان في أهل الرساتيق ذا ذكر
فقاسمهم أهـــلى فداؤك إنهـــم ... سيرضون ان قاسمتهم منك بالشطر
ولا تدعوني للشهادة انني أغيب ... ولكـــني أرى عجب الـــدهر
نؤوب اذا آبوا ونغزوا اذا غزوا ... فانى لهـــم وفر ولسنا اولي وفر
اذا التاجر الداري جاء بفـــارة ... من المسك راحت في مفارقهم تجري

وعلى أثر ذلك قام فشاطر عماله نعلاً بنعل (١) ومعنى هذا الشعر إن

(١) الغدير ٦ / ٢٧٥ – ٢٧٦ .

هؤلاء الولاة قد اقترفوا جريمة السرقة ، وخانوا بيت مال المسلمين ولكن الحكم بمشاطرة أموالهم لا يلائم السنة ، وإنما الواجب يقضي بتقديمهم الى ساحة القضاء ، فان ثبتت خيانتهم فلابد من اقامة الحد عليهم ، ومصادرة الأموال التي اختلسوها ، ولا وجه لمشاطرتها ، كما يجب عزلهم عن وظائفهم وسلب الثقة منهم .

وعلى أي حال فانه بالرغم من شدة عمر ومراقبته لولاته فان هناك كانت شكوى متصلة منهم ، فقد ارسل اليه بعضهم شكوى من الولاة ، وخاصة على القائمين بالخراج ، وقد ارسل شكواه ببيتين من الشعر وهما :

نؤوب إذا آبوا ونغزوا اذا غزوا فانى لهم وفر ولسنا أولي وفر
اذا التاجر الداري جاء بفارة من المسك راحت في مفارقهم تجري (١)

لقد لاحظ عليهم ثراءاً حادثاً وترفاً لم يجده في غيرهم من عامة الناس ومن الطبيعي ان ذلك كان ناجماً من اختلاسهم الأموال التي لم تكن خاضعة في ذلك الوقت للحساب والتدقيق .

بقى هنا شيء يدعو الى التساؤل وهو ان عمر قد استعمل الشدة والصرامة مع ولاته وعماله إلا معاوية بن أبي سفيان فانه كان يحدب عليه ولم يفتح معه أي لون من الوان التحقيق ، تتواتر اليه الاخبار انه قد خان بيت المال ، وبالغ في السرف والبذخ فيعتذر عنه ، ويقول مشيداً به :

« تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية » (٢) .

وليس في هدي الاسلام – والحمد لله – كسروية أو قيصرية ففي الحديث « هلك كسرى ، ثم لا يكون كسرى بعده ، وقيصر ليهلكن ثم

(١) فتوح البلدان ( ص ٣٨٤ ) .
(٢) تاريخ الطبري ٦ / ١١٤ .

لا يكون قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » .

لقد كان عمر يبالغ في تسديد معاوية ، ويقول الرواة ان جماعة من الصحابة عرضوا عليه ان معاوية قد جافى السنة بسيرته فهو يلبس الحرير والديباج ويستعمل أواني الذهب والفضة ولا يتحرج في سلوكه عما خالف الشرع فانكر عليهم واندفع يؤنبهم قائلاً :

« دعونا من ذم فتى من قريش من يضحك في الغضب ، ولا ينال ما عنده من الرضا ، ولا يؤخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدمه . . » (١) .

ويقول المؤرخون : إنه ذهب الى رفع شأنه وتسديده الى أبعد من ذلك كله ، فقد نفخ فيه روح الطموح ، وهدد به أعضاء الشورى الذين انتخبهم لتعيين من يلي الأمر بعده قائلاً لهم :

« إنكم إن تحاسدتم ، وتدابرتم ، وتباغضتم غلبكم على هذا معاوية بن أبي سفيان . . » (٢) .

ولما أمن معاوية من العقوبة ، وعرف انه ملتزم من قبل الخليفة راح يعمل في الشام عمل من يريد الملك والسلطان .

## اعتزال الامام :

ولم يختلف المؤرخون في ان الامام ( ع ) قد انطوت نفسه على حزن عميق ، وأسى شديد على ضياع حقه ، وسلب تراثه ، فقد جهد القوم على الغض من شأنه ، ومعاملته كشخص عادي غير حافلين بمواهبه ، ومواقفه ومكانته من النبي ( ص ) فكان في معزل عنهم ، لا يشاركهم في أي أمر

(١) الاستيعاب المطبوع على هامش الاصابة ٣ / ٣٧٧ .

(٢) نهج البلاغة الطبعة الأولى ١ / ١٨٧ .

من أمور الملك والسلطان ، ولا يشاركونه فيها ، واعرض عنهم واعرضوا عنه ، حتى الصق خده بالتراب ، كما يقول المؤرخون : يقول محمد بن سليمان في اجوبته عن اسئلة جعفر بن مكي عما دار بين علي وعثمان قال :

« إن علياً دحضه الاولان - يعني الشيخين - واسقطاه ، وكسرا ناموسه بين الناس ، فصار نسياً منسياً » (١) .

ويعزو الامام ( ع ) في حديث له مع عبد الله بن عمر الى أبيه جميع ما لاقاه من النكبات التي منها تقدم عثمان عليه (٢) .

وعلى أي حال فان الامام ( ع ) قد اعتزل عن الناس في عهد عمر كما اعتزلهم في عهد أبي بكر ، فصار جليس بيته يساور الهموم ، ويسامر النجوم ، ويتوسد الأرق ، ويفترش الأرق ، ويتجرع الغصص ، قد كظم غيظه فلم يتصل بأحد إلا بخلص أصحابه الذين عرفوا واقعه ، ومكانته كعمار ابن ياسر ، وأبي ذر ، والمقداد ، وقد عكف على جمع القرآن ، وكتابته والامعان في آياته .

وأجمع المؤرخون على ان عمر كان يرجع اليـه في مهام المسائل التي يسأل عنها ، والامام لم يضن عليه بالجواب ، اظهاراً لأحكام الله التي يجب على العلماء اذاعتها بين الناس . . . وكان عمر يذيع فضل الامام، ويقول :

« لولا علي لهلك عمر » .

والشيء المحقق ان عمر كان في أكثر المسائل الفقهية اذا سئل عنها لم يهتد لجوابها ، وانما يفزع الى الامام ( ع ) والى سائر الصحابة ، وقد اشتهرت كلمته « كل الناس افقه من عمر حتى ربات الحجال » وقال :

---

(١) نهج البلاغة ٩ / ٢٨ طبع دار احياء الكتب العربية .
(٢) نهج البلاغة ٩ / ٥٤ .

« كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في البيوت » وقد دلل المحقق الأميني على ذلك بما لا مزيد عليه (١) .

## عمر والحسين :

وانطوت نفس الامام الحسين على حزن لاذع ، وأسى عميق على من احتل مقام أبيه فبعث ذلك في نفسه عنصراً من عناصر الأستياء والتذمر ، وكان يشعر بالمرارة بكل وعي ، وهو في سنه المبكر ويقول المؤرخون : ان عمر كان يخطب على المنبر ، فلم يشعر إلا والحسين قد صعد إليه ، وهو يهتف :

« انزل . . انزل عن منبر أبي ، واذهب الى منبر أبيك » .

وُبهت عمر ، واستولت الحيرة على اهابه ، وراح يصدقه ويقول له :

« صدقت لم يكن لأبي منبر »

وأخذه فأجلسه الى جنبه ، وجعل يفحص عمن أوعز اليـــه بذلك قائلاً له :

« من علمك ؟ » .

« والله ما علمني أحد » (٢) .

شعور طافح بالألم انبعث عن عبقرية وادراك واسع ، نظر الى منبر جده الذي كان مصدر النور والوعي ، فرأى أنه لا يليق بأن يرقاه أحد من بعده غير أبيه رائد العلم والحكمة في الأرض .

ويقول المؤرخون : إن عمر كان معنياً بالامام الحسين ( ع ) وطلب

---

(١) الغدير ٦ / ٨٣ – ٣٣٣ .

(٢) الاصابة ١ / ٣٣٢ .

منه أن يأتيه اذا عرض له أمر ، وقصده يوماً ، وهو خال بمعاوية ، ورأى ابنه عبد الله فطلب الأذن منه فلم يأذن له فرجع معه ، والتقى به عمر في الغد فقال له :

« ما منعك يا حسين أن تأتيني ؟ » .

« إني جئت ، وانت خال بمعاوية ، فراجعت مع ابن عمر » .

« أنت أحق من ابن عمر ، فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم » (١) .

واقتضت سياسته أن يقابل سبطي الرسول (ص) الحسن والحسين عليهما السلام بمزيد من التكريم ، فقد جعل لهما نصيباً فيما يغنمه المسلمون ، ووردت إليه حلل من وشي اليمن ، فوزعها على المسلمين ، ونساهما ، فبعث الى عامله على اليمن ان يرسل له حلتين ، فارسلهما اليه فكساهما ، وقد جعل عطاءهما مثل عطاء أبيهما ، والحقهما بفريضة أهل بـــدر ، وكانت خمسة آلاف (٢) ولم تظهر لنا أي بادرة عن الامام الحسين في عهد عمر سوى ما ذكرناه ، ويعود السبب في ذلك الى انعزال الامام أمير المؤمنين مــع أبنائه عن جهاز الحكم ، وايثارهم الانطواء عن القوم ، وعدم الاشتراك معهم في أي شأن من شؤون الدولة ، فقد اترعت نفوسهم بالأسى المرير والحزن العميق ، وقد أعلن الامام أساه وأحزانه في كثير من المواقف ، ويقول المؤرخون : إن عمر نزلت به نازلة فحار في التخلص منها ، وعرض على اصحابه ذلك فقال لهم :

ــ ما تقولون في هذا الأمر ؟

ــ أنت المفزع ، والمنزع .

---

(١) الاصابة ١ / ٣٣٢ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٢١ .

فلم يرضه ذلك ، وتلا قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً » (١) .

ثم قال لهم :

« أما والله إني وإياكم لنعلم ابن بجدتها والخبير بها » .

ـ كأنك أردت ابن أبي طالب .

ـ وأنى يعدل بي عنه ، وهل طفحت حرة مثله .

ـ لو دعوت به يا أمير المؤمنين .

ـ إن هناك شمخاً من هاشم وأثرة من علم ، ولحمة من رسول الله صلى الله عليه وآله يؤتى ولا يأتي ، فامضوا بنا اليه .

وخفوا جميعاً اليه فالفوه في حائط له ، وعليه تبان ، وهو يتركل على مسحاته ويقرأ « أيحسب الانسان ان يترك سدى » إلى آخر السورة ودموعه تهمي على خديه ، فاجهش القوم بالبكاء ، ثم سكتوا فسأله عمر عما ألم به فاجابه عنه ، فقال له عمر :

ـ أما والله لقد أرادك الحق ، ولكن أبى قومك .

ـ يا أبا حفص خفض عليك من هنا ، ومن هنا ، وقرأ قوله تعالى : « ان يوم الفصل كان ميقاتا » .

وذهل عمر ، فوضع احدى يديه على الاخرى ، وخرج كأنما ينظر في رماد (٢) .

## الحسين وآل عمر :

ويقول بعض المؤرخين : ان العلاقة بين الامام الحسين وآل عمر

---

(١) سورة الاحزاب : آية ٧٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١٢ / ٧٩ ـ ٨٠ .

كانت غير ودية ويعود السبب في ذلك الى ان عاصم بن عمر شرب الخمر فشهد عليه الحسين بذلك في مجلس القضاء أيام عثمان فاقيم عليه الحد، وقد أوجبت هذه البادرة شيوع التباغض بين الاسرتين (١) .

## اغتيال عمر :

ولم نبسط القول في خلافة عمر ، ولم نلم بسيرته ، ولا بما اثر عنه من الأحداث خصوصاً ما صدر عنه من الفتاوى التي كانت بعضها من الاجتهاد قبال النص كتحريم المتعة وغيرها ، لم نعرض لذلك فقد آثرنا الايجاز في أمثال هذه البحوث ، وانما عرضنا للاحداث المتقدمة لأنها تصور الحياة الاجتماعية والفكرية التي عاشها الامام الحسين في ذلك العصر ، كما تلقي الأضواء على حياته .

وعلى أي حال فان الذي يهمنا أن نعرض الى اغتيال عمر وما رافقه من الأحداث الخطيرة ، فقد عزا بعض الكتاب من المحدثين الى أن اغتياله كان وليد مؤامرة حاكها الأمويون للتخلص من حكمه ، وفرض سلطانهم على المسلمين (٢) وقد أيدوا ذلك بأن أبا لؤلؤة الذي اغتاله كان مولى للمغيرة بن شعبة ، وصلة المغيرة بالأمويين كانت وثيقة للغاية ، وفيما أحسب أن هذا الرأي لا يحمل أي طابع من التحقيق لأن علاقة عمر كانت مع الأمويين طبيعية ، وقوية ، فلم تقع بينها أية منافسة أو كراهية ، وكان عمر شديد الميل لهم ، فقد استعمل أعلامهم ولاة على الأقطار والأقاليم الاسلامية

(١) المنمق في اخبار قريش ( ص٤٩٩ ) .

(٢) من أنصار هذا الرأي الاستاذ العلائلي ، وقد نص عليه في سمو المعنى في سمو الذات ( ص٣١ ) ، الطبعة الثانية .

أمثال يزيد بن أبي سفيان ، وسعيد بن أبي العاص ، ومعاوية ، ولم يشاطر أي واحد منهم أمواله كما شاطر بقية عماله ، بل كان معنياً حتى بشؤون نسائهم فقد اقرض هند بنت عتبة أم معاوية أربعة آلاف من بيت المال تتجر فيها (١) فلم يعمل عمر أي عمل يتنافى مع مصالحهم وأطماعهم ، فكيف اذن يقومون بتدبير المؤامرة لاغتياله ؟

وعلى أي حال فمن المقطوع به أن أبا لؤلؤة انما قام بوحي نفسه لا بدافع أموي لاغتيال عمر ، أما بواعث ذلك — فيما نحسب — فهي انه كان شاباً متحمساً لامته ووطنه ، فقد رأى بلاده قد فتحت عنوة فذهب مجد قومه وانطوى عزهم ورأى ان عمر قد بالغ في احتقار الفرس والاستهانة بهم فقد تمنى أن يحول بينه وبين الفرس جبل من حديد ، وقد حضر عليهم دخول يثرب إلا من كان سنه دون البلوغ (٢) واصدر فتواه بعدم ارثهم إلا من ولد منهم في بلاد العرب (٣) كما كان يعبر عنهم بالعلوج (٤) ثم هو بالذات قد خف الى عمر يشكو اليه مما ألم به من ضيق وجهد من جراء ما فرض عليه المغيرة من ثقل الخراج فزجره عمر ولم يعن به ، وقال له :

« ما خراجك بكثير من أجل الحرف التي تحسنها . . . » .

وقد أوجدت هذه الامور في نفسه حنقاً وحقداً على عمر فاضمر له الشر ، وقد اجتاز عليه فسخر منه ، وقال له :

« بلغني انك تقول : لو شئت أن أصنع رحى تطحن بالريح لفعلت ولذعته هذه السخرية فاندفع يقول :

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٣ .

(٢) شرح النهج ١٢ / ١٨٥ .

(٣) الموطأ ٢ / ١٢ .

(٤) شرح النهج .

« لاصنعن لك رحى يتحدث الناس بها . . » .

وفي اليوم الثاني قام بعملية الاغتيال (١) فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت السرة فخرقت الصفاق (٢) وهي التي قضت عليه، ثم انحاز الى أهل المسجد فطعن من يليه حتى طعن أحد عشر رجلاً سوى عمر ثم عمد الى نفسه فانتحر (٣) وحمل عمر الى داره، وجراحاته تنزف دماً، وقال لمن كان حوله :

– من طعنني ؟

– غلام المغيرة .

– الم أقل لكم : لا تجلبوا لنا من العلوج أحداً فغلبتموني (٤) .

وأحضر له أهله طبيباً فقال له :

« أي الشراب أحب اليك ؟ »

« النبيذ » .

فسقوه منه فخرج من بعض طعناته، فقال الناس : خرج صديداً، ثم سقوه لبناً، فخرج من بعض طعناته فيئس منه الطبيب، وقال له : « لا أرى أن تمسي » (٥) ولما أيقن بدنو الأجل المحتوم منه أوصى ولده عبد الله فقال له : انظر ما علي من دين، فاحصوه فاذا به ستة وثمانون الفاً، فقال :

---

(١) مروج الذهب ٢ / ٢١٢ .

(٢) الصفاق : الجلد الأسفل الذي تحت الجلد .

(٣) شرح النهج ١٢ / ١٨٥ .

(٤) شرح النهج ١٢ / ١٨٧ .

(٥) الامامـــة والسياسة ١ / ٢١، الاستيعاب المطبوع على هامش الاصابة ٢ / ٤٦١ .

« إن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلا فسل في بني عدي ابن كعب فان لم تف بـه أموالهم ، فسل في قريش ، ولا تعدهم الى غيرهم » (١) .

ونحن اذا تأملنا في هذه الوصية ، نجد فيها عـدة أمور تدعو الى التساؤل وهي :

١ - إن هذه الأموال الضخمة التي استدانها من بيت المال لم ينفقها إلا في شؤونه الخاصة ، ولو كان قد انفقها على شؤون المسلمين لمـا كان هناك أي مجال لاسترجاعها من آل الخطاب ، وهذا - من دون شك - لا يتفق مع ما نقله الرواة عن سيرته من أنـه كان متحرجاً أشد التحرج وأقساه في أموال الدولة وانه لم يكن ينفق منها أي شيء على شؤونه الخاصة .

٢ - انه عهد الى ابنه عبد الله أن يستوفي هذه الديون من آله فان وفت أموالهم بها فهو وإلا فيسأل أسرته عن وفائها ، وهذا يكشف أنه قد منحها لهم وإلا فما هو المبرر لاستيفائها منهم إذ لا سلطان له على مال الغير وان كان قريباً منه ، وفيما نحسب أن هذه الأموال قد وهبها لهم ، وهو يتصادم مع ما نقل عنه من أنه كان يشتد على أهله حتى يرهقهم من أمرهم عسراً ، وانه قد أخذهم بضروب من الشدة والعنف ، وساوى بينهم وبين بقية المسلمين في العطاء .

٣ - ان وصيته لولده عبد الله أن يسأل من قريش خاصة بتسديد ما عليه من ديون اذا لم تف أموال اسرته بها ، يكشف عن مدى صلته العميقة ، وارتباطه الوثيق بهم ، وقد كان فيما يقول المؤرخون : الممثل الوحيد للفئات القرشية ، وانه كان يعكس في تصرفاته جميع رغباتها وميولها .

هذه بعض الملاحظات التي تواجه هذه الوصية ، ولم ينص المؤرخون

(١) شرح النهج ١٢ / ١٨٨ .

على أن عبد الله قام بتسديد ما على أبيه من ديون لبيت المال ، فقد أهملوا هذه الجهة ، ولم يعرضوا لها .

وعلى أي حال فان عبد الله لما أيقن بموت أبيه طلب منه أن يعين أحداً لمركز الخلافة ، ولا يهمل شؤون الأمة قال له :

« يا أبة استخلف على أمة محمد ( ص ) فانه لو جاء راعي إبلك أو غنمك ، وترك إبله أو غنمه لا راعي لها ، وقلت له : كيف تركت امانتك ضائعة فكيف بامة محمد ( ص ) ؟ فاستخلف عليهم » .

فنظر اليه نظرة ريبة وشك ، واندفع يجيبه :

« إن استخلف عليهم ، فقد استخلف أبو بكر ، وان اتركهم فقد تركهم رسول الله ( ص ) » (١) .

أما حديث عبد الله فقد كان حافلاً بالوعي والمنطق ، فانه ليس من الحكمة في شيء أن يهمل الرئيس شؤون رعيته ، من دون ان يعين لها القائد من بعده الذي يعني بامورها السياسية والاجتماعية ، فان اهماله لهذه الجهة الخطيرة يعرضها للازمات ، ويلقيها في شر عظيم ، وقد زعم عمر ان رسول الله ( ص ) لم يعن بالقيادة الروحية والزمنية من بعده ، ولم يعهد بأمره لاحد ، ولعل « الوجع » قد غلب عليه فاذهله ، وأنساه قيام النبي ( ص ) بنصب الامام امير المؤمنين (ع ) خليفة من بعده يوم « غديرخم » والزامه للمسلمين بمبايعته ، وكان عمر بالذات ممن بايعه ، وقال له : « بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة » .

وعلى أي حال فان عمر قد فتكت به جراحاته ، وأخذ منه الألم القاسي مأخذاً عظيماً ، وقد جزع جزعاً شديداً وأخذ يقول :

---

(١) مروج الذهب ٢ / ٢١٧ .

« لو أن لي ما في الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل ان أراه » (١) .

وقال لولده عبد الله : ضع خدي على الأرض ، فلم يعن به وظن أنه قد اختلس عقله ، فأمره ثانياً بذلك فلم يجبه ، وفي المرة الثالثة صاح به:

« ضع خدي على الأرض لا أم لك ! » .

وبادر عبد الله فوضع خد أبيه على الارض فاخذ يجهش بالبكاء ، وهو يقول بنبرات متقطعة :

« يا ويل عمر !! وويل ام عمر !! إن لم يتجاوز الله عنه » (٢) .

وطلب عمر من ابنه أن يستأذن من عائشة ليدفنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وابي بكر ، فسمحت له بذلك (٣) وعلقت الشيعة على ذلك كما علقت على دفن ابي بكر فقالت : إن ما تركه النبي ( ص ) إن كان لا يرثه أهله ، وانما هو اولي الأمر من بعده حسب ما يرويه أبوبكر فلا موضوعية للاذن من عائشة ، وان كان يرجع الى ورثته - كما يقول به أهل البيت - فليس لعائشة فيه أي نصيب لأن الزوجة لا ترث من الأرض حسبما قرره فقهاء المسلمين ، ولابد له من الاذن من ورثة النبي صلى الله عليه وآله ولم يتحقق ذلك .

## الشورى :

نحن أمام كارثة مذهلة ، ومفزعة امتحن بها المسلمون امتحاناً عسيراً

---

(١) شرح النهج ١٢ / ١٩٢ .

(٢) شرح النهج ١٢ / ١٩٣ .

(٣) شرح النهج ١٢ / ١٩٠ .

وأخلدت لهم الفتن والمصاعب ، وجرت لهم الويلات والخطوب ، والقتهم في شر عظيم ، تلك هي قصـــة الشورى التي حكت عن تآمر مفضوح في اقصاء الامام أمير المؤمنين عن ساحة الحكم ، وتسليمه الى بني أمية ارضاءاً للعواطف القرشية المترعة بالحقد والكراهية للامام .

ونحن — يعلم الله — لم نكن نقصد بهذه البحوث الا دراسة الأحداث التي عاشها الامام الحسين وهي — فيما نعتقد — مصدر الفتنة الكبرى التي أدت الى مجزرة كربلا الرهيبة ، وغيرها من الأحداث التي غيرت منهج الحياة الكريمة في الاسلام .

وعلى أي حال فان عمر لما يئس من حياته ، وأيقن بدنو الأجل المحتوم منه أخذ يمعن النظر ويطيل التفكير فيمن يتولى شؤون الحكم من بعده ، وقد تذكر أقطاب حزبه الذين شاركوه في تمهيد الأمر لأبي بكر فرأى أنهم قد اقتطفتهم المنية فراح يصعد أهاته وحسراته ، ويبدي أساه عليهم قائلاً :

« لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته لأنه أمين هذه الأمة ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته لأنه شديد الحب لله تعالى . . » .

ولماذا لم يستعرض عمر الأحياء من الذين ساهموا في بناء الاسلام ؟ كسيد العترة الطاهرة الامام أمير المؤمنين (ع) والصفوة الطيبة من صحابة النبي (ص) كعمار بن ياسر وأبي ذر وغيرهم من الأنصار ليرشحهم لهذا المنصب الخطير ! !

لقد انطلق يفتش في قائمة الأموات فتمنى حياة أبي عبيدة ، وسالم ليقلدهما رئاسة الدولة ، مع العلم أنه لم تكن لهما أية سابقة من الجهاد والخدمة في سبيل الاسلام . .

وطلب منه القوم أن يعين أحداً من بعده ليتولى شؤون المسلمين فأبى وقال :

« أكره أن اتحملها حياً وميتاً ! » .

ولكنه لم يلبث أن نقض رأيـــه ، فانتخب أعضاء الشورى الستة ، وفوض اليهم أمر الأمة ، كما فرض رأيهم على جميع المسلمين ، وبذلك فقد تحمل الخلافة حياً ، وميتاً يقول ابن أبي الحديد : « وأي شيء يكون من التحمل أكثر من هذا ! ! وأي فرق بين أن يتحملها ، بان ينص على واحد بعينه ، وبين أن يفعل ما فعله من الحصر والترتيب . . » (١) .

## عمر مع اعضاء الشورى :

ودعا عمر أعضاء الشوري الذين أنتخبهم ، وزكاهم ، وزعـــم ان النبي ( ص ) قال فيهم إنهم من أهل الجنة (٢) إلا أنه لما اجتمعوا عنده وجه اليهم اعنف النقد وأقساه وطعن في كل واحد منهم طعناً لاذعـــاً ، ورماهم بالنزعات الشريرة التي توجب القدح في ترشيحهم لمنصب الامامة والخلافة ، وقد روى المؤرخون حديثه بصور مختلفة ، وفيما يلي بعضها .

١ ـ انه لما نظر اليهم قال : قد جاءني كل واحد منهم يهز عفريته يرجو أن يكون خليفة . . أما أنت يا طلحة ، أفلست القائل : إن قبض النبي ( ص ) أنكح أزواجه من بعده ؟ فما جعل الله محمداً أحق ببنات اعمامنا منا ، فانزل الله فيك « وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا ازواجه من بعده أبداً » (٣) .

وأما انت يا زبير فوالله ما لان قلبك يوماً ولا ليلة ، وما زلت جلفاً

---

(١) شرح النهج ١٢ / ٢٦٠ .

(٢) الكامل لابن الأثير ٣ / ٣٥ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٥٣ .

جافياً ، واما انت يا عثمان فوالله لروثة خير منك ، واما انت يا عبد الرحمان فانك رجل عاجز تحب قومك جميعاً ، واما انت يا سعد فصاحب عصبية وفتنة ، واما أنت يا علي فوالله لو وزن ايمانك بايمان اهل الأرض لرجحهم

وقام علي ، مولياً ، فالتفت عمر الى حضار مجلسه فقال :

« والله إني لأعلم مكان رجل لو وليتموه أمركم لحملكم على المحجة البيضاء ؟ . . »

« من هو ؟ » .

« هذا المولي من بينكم » .

« ما يمنعك من ذلك ؟ » .

« ليس الى ذلك من سبيل » (١) .

وقد خدش في كل واحد منهم ، سوى الامام امير المؤمنين (ع) فانه أبدى اكباره له ، واعترف بقابلياته وصلاحيته للحكم ، وانه لو ولي أمور المسلمين لحملهم على المحجة البيضاء والطريق الواضح الا انه لا يجد سبيلا الى ذلك .

٢ - يقول المؤرخون : انه لما التقى باعضاء الشورى قالوا له : قل فينا يا أمير المؤمنين مقالة نستدل فيها برأيك ، ونقتدي به ، فقال : والله ما يمنعني ان استخلفك يا سعد إلا شدتك وغلظتك مع انك رجل حرب وما يمنعني منك يا عبد الرحمان إلا انك فرعون هذه الأمة ، وما يمنعني منك يا زبير الا انك مؤمن الرضا ، كافر الغضب ، وما يمنعني من طلحة إلا نخوته وكبره ، ولو وليها وضع خاتمه في اصبع امرأته ، وما يمنعني منك يا عثمان الا عصبيتك ، وحبك قومك وأهلك ، وما يمنعني منك ياعلي

---

(١) شرح النهج ١٢ / ١٥٩ .

إلا حرصك عليها ، وانك احرى القوم إن وليتها ان تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم (١) .

وقد وصم اعضاء الشورى بمساوىء الصفات ، فوصف عبد الرحمان ابن عوف بانه فرعون هذه الأمة ، ومن الغريب حقاً انه لم يلبث أن فوض اليه شؤون الانتخاب وجعل قوله منطق الفصل ، وفصل الخطاب . . كما اتهم الامام بالحرص على الخلافة ، إلا ان سيرة الامام المشرقة تـدل على عكس ذلك ، فانه ( ع ) لم يكن من عشاق السلطة ولا من طلاب الملك ، وانه انما نازع الخلفاء ، واقام عليهم الحجة بانه اولى بالأمر منهم لاليتخذ من الحكم وسيلة للتمتع بخيرات البـلاد كما اتخذه بعضهم ، ولا من أجل التمتع بالرغبات النفسية التي تتطلب السلطان ، وتتهالك عليه لبسط نفوذها واستعلائها على الناس ، ان الامام ( ع ) لم يكن باي حال ينشد مثل هذه الأهداف الرخيصة ، وانما كان يبغي الحكم لنشر العدل ، واقامة الحق ، وتطبيق شريعة الله على واقع الحياة من اجل هذه الغايات النبيلة كان ( ع ) حريصاً على الخلافة ، وقد ادلى بذلك بقوله :

« اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، وتقام المعطلة من حدودك ، ويأمن المظلومون من عبادك ! ! » .

واعرب ( ع ) في حديث له مع ابن عباس بذي قار عن مدى زهده بالسلطة . واحتقاره للحكم ، فقد كان (ع ) يخصف بيده نعلاً له فالتفت الى ابن عباس .

– يا بن عباس ما قيمة هذا النعل ؟

– يا امير المؤمنين لا قيمة له .

---

(١) الامامة والسياسة ١ / ٢٤ .

— انه خير من خلافتكم هذه الا ان اقيم حقا ، وادفع باطلاً .

إنه انما كان حريصاً على الخلافة من اجل اقامة المثل العليا ، وتحقيق العدالة الاجتماعية وتطوير الوعي الاجتماعي ، وازدهار الحياة العامة .

٣ — وفي رواية ثالثة ان عمر دعا اعضاء الشورى فلما مثلوا عنده قال لهم :

« اكلكم يطمع بالخلافة بعدي ؟؟ » .

ووجموا عن الكلام ، فاعاد القول عليهم ثانياً ، فانبرى اليه الزبير ، راداً عليه مقالته :

« وما الذي يبعدنا منها ؟ ! وليتها انت فقمت بها ، ولسنا دونك في قريش ، ولا في السابقة ، ولا في القرابة » .

ولم يسعه الرد عليه ، وقال لهم :

« افلا اخبركم عن انفسكم ؟ » .

« قل : فانا لو استعفيناك لم تعفنا ! ! » .

واخذ يدلي عليهم اتجاهاتهم وميولهم ، ويحدثهم عن نفسياتهم فاتجه صوب الزبير فقال له :

« اما انت يا زبير فوعق لقس (١) مؤمن الرضا ، كافر الغضب يوماً انسان ، ويوماً شيطان ، ولعلها لو افضت اليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير ! ! افرأيت إن افضت اليك ، فليت شعري ، من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ، ومن يكون يوم تغضب ؟ ! ! وما كان الله ليجمع لك امر هذه الأمة ، وانت على هذه الصفة » .

إن الزبير حسب هذا التحليل النفسي لشخصيته مبتلى بآهات خطيرة وهي :

(١) الوعق : الضجر المتبرم ، اللقس : من لا يستقيم على وجه .

١ ــ الضجر والتبرم .

٢ ــ عدم الاستقامة في سلوكه .

٣ ــ الغضب الهائل الذي يفقده الرشد والتوازن .

٤ ــ الحرص والبخل ، وهما يجرانه الى ملاطمة النـــاس على مد من شعير .

وهذه النزعات من مساوىء الصفات ، ومن اتصف ببعضها لا يصلح لأن يتولى اى منصب حساس في جهاز الدولة فضلاً عن ان يكون خليفة وإماماً للمسلمين .

واقبل على طلحة فقال له :

« اقول : ام اسكت ؟ » .

فزجره طلحة ، وقال له :

« إنك لا تقول : من الخير شيئاً » .

« اما اني اعرفك منذ اصيبت اصبعك يوم احد وائياً (١) بالذي حدث لك ولقد مات رسول الله ( ص ) ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم انزلت آية الحجاب » .

واذا كان رسول الله ( ص ) ساخطاً على طلحة كيف يرشحه خليفة وإماماً للمسلمين ؟ كما ان هذا يناقض ما قالـــه : ان رسول الله ( ص ) مات وهو راض عن اعضاء الشورى ، وعلق الجاحظ على هذا بقوله :

« لو قال لعمر قائل : انت قلت : إن رسول الله (ص) مات وهو راض عن الستة فكيف تقول الآن لطلحة ؟ انه مات عليه السلام ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها لكان قد رماه بمشاقصه (٢) ولكن من

---

(١) وائياً : غاضباً .

(٢) المشاقص : جمع مشقص وهو نصل السهم .

الذي كان يجسر على عمر ان يقول : له ما دون هذا ، فكيف هذا ؟ ! ! » .

واتجه صوب سعد بن أبي وقاص فقال له :

« إنما أنت صاحب مقنب (١) من هذه المقانب تقاتل به ، وصاحب قنص وقوس وسهم ، وما زهرة والخلافة وأمور الناس ! ! » .

ان سعد رجل عسكري لا يفقه إلا عمليات الحروب ، ولا خبرة له بالشؤون الادارية والاجتماعية للامة ، فكيف يرشحه للخلافة ؟ كما طعن في صلاحية قبيلة سعد لتولي شؤون الحكم .

وأقبل على عبد الرحمان بن عوف فقال له :

« أما أنت يا عبد الرحمان ، فلو وزن نصف ايمان المسلمين بايمانك لرجح ايمانك عليهم ، ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك وما زهرة وهذا الأمر ! ! » .

وعبد الرحمان - حسب رأي عمر - رجل ايمان وتقوى ، ولا نعلم اين كان ايمانه حينما عدل عن انتخاب سيد العترة الطاهرة الامام أمير المؤمنين عليه السلام وسلم أمور المسلمين بأيدي الأمويين ، فاتخذوا مال الله دولاً ، وعباد الله خولاً ، ثم انه لم تكن له شخصية قوية ، ولا عزم ثابت ، ولا ارادة صلبة - حسب اعتراف عمر - فكيف يرشحه للخلافة ؟ ! !

كيف يجعل قوله منطق الفصل في تعيين من يشاء لشؤون الأمة ؟!!

والتفت الى الامام أمير المؤمنين ( ع ) فقال له :

« لله أنت لو لا دعابة فيك ! ! أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء » .

متى كانت للامام الدعابة وهو الذي ما ألف في حياته إلا الجد والحزم في القول والعمل ، ثم أن من يتصف بهذه النزعة كيف يتمكن أن يحمل

(١) المقنب : جماعة الخيل .

المسلمين على الحق الواضح والمحجة البيضاء — كما يقول عمر — ان هـــذه السياسة تتنافى مع الدعابة الناشئة عن ضعف الشخصية وخورها .

وأكد عمر ان الامام لو ولي أمور المسلمين لسار فيهم بالحق ، وحملهم على الصراط المستقيم ، فكيف يجعله من أعضاء الشورى ، ولا ينص عليه بالخصوص ؟ وهل من الحيطة على الامة أن يفوت عليها الفرصة ، ولايسلم أمرها بيد من يسير فيها بسيرة قوامها العدل الخالص والحق المحض ؟ ! !

واقبل على عثمان عميد الأسرة الاموية التي ناهضت الاسلام فقال له :

« هيها اليك ! ! كاني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك فحملت بني أمية ، وبين أبي معيط على رقاب الناس ، وآثرتهم بالفيء ، فسارت اليك عصابة من ذؤبان العرب ، فذبحوك على فراشك ذبحاً ، والله لئن فعلوا لتفعلن ، ولئن فعلت ليفعلن ، ثم أخذ بناصيته فقال : فاذا كان ذلك فاذكر قولي . . . » (١) .

ونحن اذا تأملنا قليلاً في قوله لعثمان : « كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك » نجده قد قلد عثمان بالخلافة فان نظام الشورى الذي وضعه كان حتماً يؤدي الى فوزه بالسلطة ، فقد جعله أحد أعضاء الشورى وكان أكثرهم ممن له اتصال وثيق باسرة عثمان ، وهـــم لا يعدلون عن انتخابه ، ولا يقدمون غيره عليه وفي الحقيقة أنه هو الذى قلده الخلافة ، وفوض اليه أمور المسلمين ، ثم انه مع دراسة لنفسيته ، ووقوفه على حبه الشديد لأسرته كيف يرشحه للخلافة ، وهو بالذات يعلم خطر بني امية على الاسلام ، وقد أعلن ذلك في حديثه مع المغيرة بن شعبة يقول له :

— يا مغيرة هل أبصرت بعينك العوراء ؟

— لا .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ١٨٥ — ١٨٦ الطبعة الأولى .

ـ أما والله ليعورن بنو أمية الاسلام ، كما أعورت عينك هذه ، ثم ليعمينه حتى لا يدري أين يذهب ، ولا أين يجي ؟ (١) .

فكان الأجدر به ، وهو على عتبة الموت أن يجنب الأمـــة خطر الأمويين ، ولا يجعل لهم أي نصيب في الحكم .

هذه بعض الروايات التي أثرت عنه في حديثه مع أعضاء الشورى .

## نظام الشورى :

لا أكاد أعرف نظاماً أوهى من نظام الشورى الذى وضعه عمر ، فليس فيه أي توازن أو أصالة ، فقد شذ عن حقيقة الشورى التي يجب أن تمثل رأي الأمة ، وتشترك القطاعات الشعبية في الانتخاب ، فقد فوض في هذه الشورى الرأي الى جماعة لا يمثلون الا آراءهم الخاصة .

لقد دعا عمر من رشحهم فقال لهم : « احضروا معكم من شيوخ الأنصار ، وليس لهم من أمركم شيء ، واحضروا معكم الحسن بن علي ، وعبد الله بن عباس ، فان لهما قرابة ، وارجو لكم البركة في حضورهما وليس لهما من أمركم شيء » (٢) .

لقد اقصى الأنصار ، ولم يجعل لهم أي نصيب في الانتخاب والاختيار وانما جعل لهم الاشراف المجرد الذي يعني حرمانهم ، والاستهانة بهم ، فان الأمر انما هو أمر اعضاء الشورى ولا يخص غيرهم . ثم انا لم نعلم ما هي البركة التي تحصل لأعضاء الشورى بحضور الامام الحسن وعبد الله ابن عباس ، وهما لا يملكان من الأمر شيئاً ؟

---

(١) نهج البلاغة ١٢ / ٨٢ .

(٢) الامامة والسياسة ١ / ٢٤ .

والتفت الى أبي طلحة الانصاري فعهد اليه بمـا يحكم أمر الشورى فقال له :

« يا أبا طلحة ، ان الله أعز الاسلام بكم ، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فالزم هؤلاء النفر بامضاء الأمر وتعجيله . . » .

واتجه نحو المقداد بن الاسود فعهد اليه بمثل ذلك ، وقال له :

« اذا اتفق خمسة ، وأبى واحد منهم فاضربوا عنقه ، وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضربوا عنقيهما ، وان اتفق ثلاثة منهم على رجل ، ورضي ثلاثة منهم برجل آخر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمان بن عوف ، واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس . . » .

## انذاره للصحابة :

وأنذر عمر الصحابة وهددهم بمعاوية وعمرو بن العاص اذا لم تتفق كلمتهم وتنازعوا على الحكم والسلطان ، فقد قال لهم :

« يا أصحاب محمد تناصحوا فان لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان . . » .

وعلق شيخ الامامية الشيخ المفيد على هذا الكلام بقوله : « انمـا أراد عمر بهذا القول اغراء معاوية وعمرو بن العاص بطلب الخلافة واطماعهما فيها لأن معاوية كان عامله وأميره على الشام ، وعمرو بن العاص عامله وأميره على مصر ، وخاف أن يضعف عثمان ان تصير الى علي فالقى هذه الكلمة الى الناس لتنقل اليهما وهما — بمصر والشام — فيتغلبا على هـذين الاقليمين ان افضت الى علي . . » (١) .

---

(١) شرح النهج ٣ / ٩٩ .

## موقف الامام :

والتاع الامام أمير المؤمنين ، وحزن أشد الحزن وأقساه ، وعرف أن الشوري انما هي مؤامرة ومكيدة دبرت لصرف الأمر عنه ، فقد التقى بعمه العباس فبادره قائلاً :

« يا عم لقد عدلت عنا !! » .

« من اعلمك بذلك ؟ » .

« لقد قرن بي عثمان ، وقال : كونوا مع الأكثر ، ثم قال : كونوا مع عبد الرحمان ، وسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمان ، وعبد الرحمان صهر لعثمان ، وهم لا يختلفون ، فاما أن يوليها عبد الرحمان عثمان ، أو يوليها عثمان عبد الرحمان . . » (١) .

وصدق تفرس الامام فقد ولاها عبد الرحمان لعثمان ايثاراً لمصالحه ، وارتغاء رجوعها اليه من بعده .

لقد كانت الشورى باسلوبها الهزيل مؤامرة مفضوحة لاستار عليها قد دُبرت ضد وصي رسول الله (ص) وباب مدينة علمه ، يقول الامـــام كاشف الغطاء رحمه الله :

« الشورى بجوهرها وحقيقتها مؤامرة واقعية ، وشورى صورية ، وهي مهارة بارعة لفرض عثمان خليفة على المسلمين رغماً عليهم ، ولكن بتدبير بارع عاد على الاسلام والمسلمين بشر ما له دافع . . » .

وكوى هذا التآمر قلب الامام ، واثارت الأحقاد القرشية أحزانه فراح يتحدث عنها بعد سنين ، يقول (ع) :

---

(١) الطبري ٥ / ٣٥ .

«حتى اذا مضى – يعني عمر – لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم فيالله وللشورى، متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر ...».

أجل والله – يا أمير المؤمنين – انه متى اعترض الريب لأحد في انك أفضل المسلمين، واعظمهم جهاداً، وأقدمهم سابقة للاسلام، ولكن اف للزمان، وتعساً للدهر الذي قرنك بامثال هؤلاء الذين حرموا الأمة من التنعم بعدلك ومواهبك.

## استجابة الامام:

بقي هنا شيء يدعو للتساؤل وهو ان الامام لماذا استجاب لأن يكون من اعضاء الشورى مع وجود المفارقات الواضحة بينه وبينهم ؟ وقد أجاب عليه السلام عن ذلك بانه اراد ان يظهر تناقض عمر فقد اعلن غير مرة ان النبوة والخلافة لا يجتمعان في بيت واحد، فلماذا اذن جعله من اعضاء الشورى المرشحين للخلافة ؟!!

## آفات الشورى:

واجمع المحققون من القدامى والمحدثين على نقد هذه الشورى وتزييف نظامها، وذكروا لها كثيراً من المضاعفات السيئة التي عادت على المسلمين بالفتن والخلاف، وخلقت لهم المصاعب والمشاكل، وقد دللنا عليها في كتابنا «حياة الامام الحسن» ولكن ضرورة البحث تقتضي ذكرها وهي:

أولاً – إن هذا النظام بعيد عن واقع الشورى ، وقد خلى من جميع العناصر التي تتميز بها فانه لابد أن تتوفر فيها ما يلي :

أ – أن تشترك الأمة بجميع قطاعاتها في الانتخاب .

ب – أن لا تتدخل الحكومة أي تدخـــل مباشر أو غير مباشر في شؤون الانتخاب .

ج – أن تتوفر الحريات العامة لجميع الناخبين .

وفقدت الشورى العمرية هذه العناصر ، ولم يعد لها أي وجود فيها فقد حظر على الامة أن تشترك في الانتخاب ، ولم تمنح لها الحرية في اختيار من ترغب فيه للحكم ، وانما فوض أمرها الى ستة اشخاص ، وجعل آرائهم تعادل آراء بقية الشعوب الاسلامية وهذا لون من ألوان التزكيـــة تفرضه بعض الحكومات التي لا تعنى بارادة شعوبها على انه أوعز الى البوليس بالتدخل في الأمر ، وعهد اليهـــم بقتل من لا يوافق من اعضاء الشورى على من ينتخبه بقية الأعضاء ، كما عهد اليهم بتحديد مدة الانتخاب في ثلاثة أيام وقد ضيق الوقت على الناخبين خوفاً من تدخل القطعات الشعبية في الأمر فيفوت غرضه .

ثانياً – ان هذه الشوري ضمت العناصر المعادية للامام ، والحاقدة عليه ، ففيها طلحة التيمي ، وهو من أسرة أبي بكر الذي نافس الامام على الخلافة ، ودفعه عنها وفيها عبد الرحمان بن عوف وهو صهر عثمان ، ومن أكثر المهاجرين حقداً على الامام فهو – كما يقول المؤرخون – كان من الذين استعان بهم أبو بكر لارغام الامام على مبايعته ، وضمت الشورى سعد بن أبي وقاص ، وكانت نفسه مترعة بالحقد والكراهية للامام من أجل أخواله الأمويين فان امه حمنة بنت سفيان بن امية ، وقد اباد الامام اعلامهم وصناديدهم في سبيل الدعوة الاسلامية ، ولما بايع المسلمون الامام تخلف

عن بيعته سعد ، ومن اعضاء الشورى عثمان بن عفان عميد الأسرة الأموية وقد اختار عمر – فيما يقول بعض المؤرخين – هذه العناصر المنافسة للامام والحاقدة عليه ، حتى لا يؤول الأمر اليه ، وقد تحدث الامام ( ع ) عن المؤثرات التي لعبت دورها في ميدان الانتخاب قال ( ع ) :

« لكنني أسففت اذ أسفوا ، وطرت اذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هن وهن !! » .

وعلى أي حال فان هذه الشورى لم يكن المقصود منها – فيما يقول المحققون – إلا اقصاء الامام عن الحكم ، ومنحه للامويين يقول العلائلي :

« إن تعيين الترشيح في ستة مهد السبيل لـــدى الأمويين لاستغلال الموقف ، وتشييد صرح مجدهم على اكتاف المسلمين ، وقد وصل الى هذه النتيجة السيد مير علي الهندي قال : إن حرص عمر على مصلحة المسلمين دفعه الى اختيار هؤلاء الستة من خيرة أهل المدينة دون ان يتبع سياسة سلفه وكان للامويين حزب قوي في المدينة ، ومن هنا مهد اختياره السبيل لمكائد الأمويين ، ودسائسهم هؤلاء الذين ناصبوا الاسلام العداء ، ثم دخلوا فيه وسيلة لسد مطامعهم ، وتشييد صرح مجدهم على اكتاف المسلمين (١) .

ثالثاً – لقد عمد عمر في هذه الشورى الى ابعاد الأنصار فلم يجعل لهم أي نصيب فيها ، وهم الذين آووا النبي ، ونصروا الاسلام في أيام محنته وغربته ، وقد أوصى بهم النبي ( ص ) خيراً ، كما انه لم يجعل نصيباً فيها لعمار وأبي ذر ، وأمثالهما من اعلام الاسلام ، وأكبر الظن انه انما أبعدهم لأن لهم هوى وميلاً للامام ( ع ) ، ولا ينتخبون غـــيره ، ولا يرضون سواه ، ولهذه الجهـــة اقصاهم ، وقصر اعضاء الشورى على العناصر المعادية له .

---

(١) الامام الحسين ١ / ٢٦٧ .

رابعاً – من غريب أمر هذه الشورى أن عمر قد شهد في حق أعضائها أن النبي (ص) مات وهو عنهم راض ، أو انه شهد لهم بالجنة ، وقد عهد الى الشرطة بضرب أعناقهم إن تأخروا عن انتخاب احدهم – حسب ما ذكرناه – ويقول الناقدون لهذه الشورى : إن التخلف عن الانتخاب لم يكن خروجاً عن الدين ، ولا مروقاً عن الاسلام حتى تباح دماؤهم !! فلم يتفق هذا الحكم مع ما أثر عن الاسلام في حرمة اراقة الدماء ووجوب التحرج فيها إلا في مواضع مخصوصة ذكرها الفقهاء ، وهذا ليس منها .

بقي هنا شيء آخر لا يقل غرابة عن ذلك التناقض ، وهو أن عمر انما قصر أعضاء الشورى على الستة بحجة أن رسول الله (ص) مات وهو عنهم راض ، وهذه الحجة لا تصلح دليلاً على التعيين لأن رسول الله صلى الله عليه وآله مات وهو راض عن كثير من صحابته ، فتقديم الستة عليهم انما هو من باب الترجيح بلا مرجح ، وهو مما يتسم بالقبح كما يقول علماء الأصول .

خامساً – إن مما يؤخذ على هذه الشورى ان عمر جعل الترجيح للجبهة التي تضم عبد الرحمان بن عوف ، وقدمها على الجبهة التي تضم الامام امير المؤمنين (ع) وهو تحيز ظاهر للقوى القرشية الحاقدة على الامام والباغية عليه ، كما أنا لا نعلم أن هناك أي مأثرة يمتاز بها ابن عوف يستحق بها هذه الاشادة والتكريم ، أليس هو واخوانه من المهاجرين كطلحة والزبير وغيرهم قد استأثروا باموال المسلمين وفيئهم حتى ملكوا من الثراء العريض ما لا يحصى ، وتحيروا في صرفه وانفاقه ، وقد ترك ابن عوف – فيما يقول المؤرخون – من الذهب ما يكسر بالفؤوس لكثرته ، أمثل هذا يقدم على الامام (ع) ؟ !! وهو صاحب المواهب والعبقريات ، الذي لاند له

في علمه وتقواه وتحرجه في الدين ، والله تعالى يقول في كتابه : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

سادساً ـ ان هذه الشورى أوجدت التنافس بين اعضائها ، فان كل واحد منهم قد رأى نفسه نداً للآخر وكفوءاً له ، ولم يكونوا قبل ذلك على هذا الرأي فقد كان سعد خاضعاً لعبد الرحمان ، وعبد الرحمان تابع لعثمان ومن خلص أصحابه ومناصريه وبعد الشورى حدث بينهما انشقاق غريب ، فكان عبد الرحمان يؤلب على عثمان ، ويدعو علياً ليحمل كل منهما سيفه ليناجزه وقد عهد الى اوليائه بعد موته ان لا يصلي عليه عثمان . . وكذلك كان الزبير شيعة للامام ، وقد وقف الى جانبه يوم السقيفة ، وتحمل في سبيله ضروباً شاقة وعسيرة من الجهد والعناء ، وقد قال في عهد عمر : « والله لو مات عمر بايعت علياً » ولكن الشورى قد نفخت فيه روح الطموح فرأى نفسه نداً للامام ففارقه وخرج عليه يوم الجمل ، وهكذا اوجدت الشورى روح التخاصم والعداء بين اعضائها ، فقد رأى كل واحد منهم انه اولى بالأمر ، واحق به من غيره ، وقد ادى التخاصم والنزاع الذي وقع بينهم الى تصديع كلمة المسلمين وتشتيت شملهم ، وقد اعلن هـذه الظاهرة معاوية بن أبي سفيان في حديثه مع ابي الحصين الذي أوفده زياد لمقابلته فقد قال له معاوية :

ـ بلغني ان عندك ذهناً وعقلاً ، فاخبرني عن شيء أسألك عنه ؟

ـ سلني عما بدا لك .

ـ اخبرني ما الذي شتت شمل امر المسلمين وملأهم وخالف بينهم ؟

ـ قتل الناس عثمان .

ـ ما صنعت شيئاً .

ـ مسير علي اليك وقتاله إياك .

- ما صنعت شيئاً .
- مسير طلحة والزبير وعائشة ، وقتال علي اياهم ! !
- ما صنعت شيئاً .
- ما عندي غير هذا .
- أنا اخبرك انه لم يشتت بين المسلمين ، ولا فرق أهواءهم إلا الشورى التي جعلها عمر الى ستة نفر ، وذلك ان الله بعث محمداً بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فعمل بما امره الله به ، ثم قبضه الله اليه ، وقدم أبا بكر للصلاة فرضوه لأمر دنياهم اذ رضيه رسول الله (ص) لأمر دينهم ، فعمل بسنة رسول الله (ص) وسار بسيرته ، حتى قبضه الله ، واستخلف عمر فعمل بمثل سيرته ، ثم جعلها شورى بين ستة نفر فلم يكن رجل منهم الا رجاها لنفسه ، ورجاها له قومه ، وتطلعت الى ذلك نفسه ، ولو ان عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك خلاف » (١) .

إن من المظاهر الأولية لهذه الشورى اشاعة الأطماع والأهواء السياسية بشكل سافر عند بعض أعضائها فاندفعوا الى خلق الحزبية والتكتلات في المجتمع الاسلامي للوصول الى كرسي الحكم ، مما ادى ذلك الى كثير من المضاعفات السيئة وقد امتحن بها المسلمون امتحاناً عسيراً .

هذه بعض آفات الشورى التي عانى منها المسلمون أقسى ألوان الكوارث والخطوب فقد مهدت الطريق أمام الطلقاء وأبنائهم للاستيلاء على السلطة والقبض على زمام الحكم ، وتخطيط سياسة للدولة لم يألفها المسلمون ، ومن أبرز براجها الاستئثار بالفيء ونهب ثروات الأمة وخيراتها ، والامعان في ظلم الأخيار والتنكيل بعترة النبي (ص) .

(١) العقد الفريد ٣ / ٧٣ - ٧٤ .

## عملية الانتخاب :

ولما مضى عمر الى ربه ، ودفن في مقره الأخير أحاط البوليس بأعضاء الشورى فالزمهم بالاجتماع ، واختيار حاكم للمسلمين من بينهم تنفيذاً لوصية عمر ، فاجتمعوا في بيت المال ، وقيل فى بيت مسرور بن مخرمة ، وقد أشرف على الانتخاب الامام الحسن ، وعبد الله بن عباس ، وبادر المغيرة ابن شعبة وعمرو بن العاص فجلسا في عتبة الباب ، فنهرهما سعد وقال لهما :

« تريدان أن تقولا : حضرنا ، وكنا في أهل الشورى ؟ » (١) .

ودلت هذه البادرة على مدى التنافس ، والأحقاد فيما بين القوم فقد ضنّ سعد على المغيرة وابن العاص بالحضور خشية أن يقولا للناس : كنا من أهل الشورى .

وتداول الأعضاء فيما بينهم الحديث عمن هو أحق بالأمر وأولى به ، وكثر الصخب والجدل ، وانبرى اليهم الامام أمير المؤمنين ( ع ) فحذرهم مغبة ما يحـــدث من الفتن والفساد إن استجابوا لعواطفهم ، ولم يؤثروا مصلحة الأمة فقال :

« لم يسرع أحد قبلي الى دعوة حق ، وصلة رحم ، وعائدة كرم فاسمعوا قولي ، وعوا منطقي ، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتظي فيه السيوف ، وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلال ، وشيعة لأهل الجهالة . . . » (٢) .

انهم لو سمعوا قوله ، ووعوا منطقه لصانوا الأمة من التيارات الجارفة

---

(١) تاريخ ابن الأثير .

(٢) نهج البلاغة محمد عبده ٢٥ / ٣١ .

وعادوا عليها بالخير العميم ، ولـكنهم انطلقوا وراء شهوات الملك والسلطان وتحقق ما تنبأ به الامام ، فلم يمض قليل من الوقت حتى انتضت السيوف وانتشرت الحروب ، وسادت الفتن والأهواء ، وصار بعضهم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعة لأهل الجهالة .

وعم الجدل بين القوم فلم ينتهوا الى غاية مربحة فانفضت الجلسة على غير طائل ، وجماهير الشعب تنتظر بفارغ الصبر النتيجة الحاسمة ، وعقد الاجتماع مرة اخرى الا أنه باء بالفشل ، فأشرف عليهم أبو طلحة الأنصاري وهو يتهدد ويتوعد ، قائلاً :

« لا والذي نفس عمر بيده ! لا أزيدكم على الأيام الثلاثة . التي أمرتم . . » .

واقترب اليوم الثالث ، وهو آخر موعد للقوم فانعقد الاجتماع وبدت فجأة الاندفاعات القبلية التي شذت عن مصلحة الامة ، فقد انبرى طلحة فوهب حقه لعثمان ، وانما فعل ذلك استجابة لعواطفه المترعـــة بالـكراهية للامام لأنه نافس ابن عمه أبا بكر على الخلافة ، واندفع الزبير فوهب حقه للامام لأنه تربطه به رحم ماسة ، وانطلق سعد فوهب حقه لابن عمـــه عبد الرحمان بن عوف ، تقوية لجانبه ، وتعزيزاً لمركزه .

وكان رأي عبد الرحمان هو الفيصل ، وجانبه هو المرموق لأن عمر قد وضع ثقته به ، وأناط به أمر الشورى إلا انه كان ضعيف الشخصية هزيل الارادة لا قدرة له على تحمل مسؤولية الحكم فاجمع رأيه على أن يرشح غيره للخلافة ، وكان له هوى مع عثمان ، لأنه صهره ، وقد استشار عامة القرشيين في الأمر فزهدوه في علي ، وحرضوه على انتخاب عثمان لأنـــه يحقق أطماعهم ، ورغباتهم .

وحلت الساعة الرهيبة التي غيرت مجرى التاريخ ، فقال عبد الرحمان لابن اخته :

– يا مسور ، اذهب فادع علياً ، وعثمان .

– بأيهما أبدأ ؟

– بأيهما شئت .

وانطلق مسور فدعاهما ، وازدحم المهاجرون والأنصار وسائر الناس في الجامع ، فانبرى عبد الرحمان ، فعرض عليهم الأمر وقال :

« أيها الناس ، إن الناس قد اجتمعوا على أن يرجع أهل الأمصار الى أمصارهم فاشيروا علي » .

فتقدم اليه الطيب ابن الطيب عمار بن ياسر فأشار عليه بما يضمن للامة سلامتها ويصونها من الفرقة والاختلاف قائلاً :

« إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع علياً » .

وانطلق المقداد فأيد مقالة عمار قائلاً :

« صدق عمار ، إن بايعت علياً سمعنا وأطعنا »

واندفعت القوى الباغية ، والحاقدة على الاسلام ، وهي تشجب مقالة عمار والمقداد ، وتدعوا الى ترشيح عثمان عميد الأمويين ، وقد هتف عبد الله بن أبي سرح فخاطب ابن عوف قائلاً :

« ان أردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان »

واندفع عبد الله بن أبي ربيعة فأيد مقالة زميله قائلاً :

« ان بايعت عثمان سمعنا وأطعنا » .

وانبرى الصحابي العظيم عمار بن ياسر فرد على ابن أبي سرح قائلاً :

« متى كنت تنصح للمسلمين ؟ » .

وصدق عمار فمتى كان ابن أبي سرح ينصح المسلمين أو يرجو وقاراً

للاسلام فقد كان من اعدى الناس الى رسول الله (ص) وقد امر بقتله بعد فتح مكة ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة (١) انه لو كان هنـاك أي منطق أو حساب لأقصى هذا الدعي وأمثاله من التدخل في شؤون المسلمين فان بني امية وسائر القبائل القرشية يجب ان تكون في ذيل القافلة ولايعنى بأمرها لأنها هي التي ناجزت النبي (ص) وحرضت عليه القبائل وكادته وما دخلت في الاسلام الا بعد الخوف من حد السيوف، فكيف يسمح لها ان تفرض رأيها، ويؤول اليها امر المسلمين؟

واحتدم الجدال بين الهاشميين والأمويين، فانبرى عمار بن ياسر، وهو يدعو لصالح المسلمين قائلاً:

« أيها الناس ان الله اكرمنا بنبيه، واعزنا بدينه فإلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم؟!! ».

لقد كان منطق عمار حافلاً بروح الاسلام وهديه فان قريشاً وسائر العرب انما أعزها الله بدينه، وأسعدها برسوله، فهو مصدر عز العرب وشرفهم، وكان الواجب عليهم أن يقابلوه بالمعروف والاحسان، فـلا يخرجون هذا الأمر عن أهله الذين هم سدنة علمه، وخزنة وحيه، انه ليس من العدل في شيء ان يمعنوا جاهدين في قهرهم واذلالهم.

وانبرى رجل من مخزوم فقطع على عمار كلامه قائلاً له:

« لقد عدوت طورك يابن سمية، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها؟!! »

ولم يدخل أي بصيص من نور الاسلام وهديه في قلب هذا المخزومي، فقد راح يندد بعمار فنسبه لأمه سمية وهي ممن يعتز بها الاسلام، ويفخر بنضالها المشرق، وتضحيتها الفذة، فهي وزوجها ياسر، وابنهما البار في

---

(١) الاستيعاب ٢ / ٣٧٥.

طليعة القوى الخيرة المؤسسة للاسلام ، وقـد عانت في سبيله أقسى ألوان المحن والخطوب .

ان امر الخلافة لجميع المسلمين يشترك فيه ابن سمية وغيره من الضعفاء الذين أعزهم الله بدينه ، وليس لطغاة قريش أي حق في التدخل بشؤون المسلمين لو كان هناك منطق او حساب .

وكثر النزاع واحتدم الجـدال بين القوى الاسلامية وبين القرشيين فخاف سعد ان يفوت الأمر من القوم فالتفت الى ابن عمه عبد الرحمن قائلاً له :

« يا عبد الرحمن ، افرغ من امرك قبل أن يفتتن الناس » .

والتفت عبد الرحمن الى الامام

« هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ، وفعل أبي بكر وعمر؟»

ورمقه الامام بطرفه ، وعرف غايتـه ، فاجابه بمنطق الاسلام ، ومنطق الأحرار :

« بل على كتاب الله ، وسنة رسوله ، واجتهاد رأيي . . » .

ان مصدر التشريع في الاسلام انما هو كتاب الله وسنة نبيه ، فعلى ضوئها تعالج مشاكل الرعية ، ويسير نظام الدولة ، وليس فعل أبي بكر وعمر من مصادر التشريع الاسلامي ، على انهما اختلفا أشد الاختلاف في النظم السياسية ، فقد انتهج أبو بكر في سياسته الماليـة منهجاً أقرب الى المساواة من سياسة عمر ، فانه الغى المساواة في العطاء ، وأوجد نظـام الطبقية ، فقدم بعض المسلمين على بعض ، وشرع حرمة المتعتين متعة الحج ومتعة النساء في حين انهما كانتا مشروعتين في عهد رسول الله ( ص ) وأبي بكر ، وكانت له آراؤه الخاصة في كثير من المجالات التشريعية .

فعلى أي المنهجين يسير ابن أبي طالب ربيب الوحي ورائد العدالة الاجتماعية في الاسلام .

ان ابن عوف يعلم علماً جازماً لا يخامره ادنى شك ان الامام لو تقلد زمام الحكم لطبق شريعة الله في الأرض ، وساس المسلمين سياسة قوامها العدل الخالص ، والحق المحض ، ولم يمنح الأسر القرشية أي جهة من الامتياز وساوى بينها وبين غيرها في جميع الحقوق والواجبات ، فتفوت بذلك مصالح هذه الطبقة التي جنت على الإسلام ، وجرت للمسلمين أعظم الويلات والخطوب .

إن الامام لو وافق على الالتزام بما شرط عليه ابن عوف لما أمكنه أن يطبق أي منهج من مناهج سياسته الهادفة الى نشر العدل بين الناس ، ومن المقطوع به ان الامام حتى لو التزم بهذا الشرط ظاهراً لحالت قريش بينه وبين تطبيق أهدافه ، ولم تدع له أي مجال لتحقيق العدالة الاجتماعية ، ويكون خروجها عليه مشروعاً لأنه لم يف لها بوعده .

وعلى أي حال فان عبد الرحمن لما يئس من تغيير اتجاه الامام انبرى الى عثمان فشرط عليه ذلك فسارع الى اجابته ، وأظهر استعداده الكامل لكل ما شرطه عليه وفيما أحسب أن هناك اتفاقاً سريا بينهما أحيط بكثير من الكتمان ، فانه بأي حال لا ينتخب الامام وان اجابه الى ما شرطه عليه ، وانما طلب منه البيعة لأجل التغطية على مخططاته فاستعمل هذه المناورة السياسية ، ويرى بعض المؤرخين من الافرنج الى أن عبد الرحمن استعمل طريقة المداورة والانتهازية ، ولم يترك الانتخاب يجري حراً .

يقول المؤرخون : إن عبد الرحمن بادر الى عثمان فصفق بكفه على يده وقال له :

« اللهم اني قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان . . » .

ووقعت هذه المبادرة كصاعقة على القوى الخيرة التي جهدت على أن يسود حكم الله بين المسلمين ، وانطلق الامام صوب ابن عوف فخاطبه قائلاً :

« والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم . . » (١) .

وألقى الامام الأضواء على اختيار عبد الرحمان لعثمان من انه لم يكن من صالح الأمة وانما كان وليد الأطماع والأهواء السياسية فقد رجا ابن عوف أن يكون خليفة من بعد عثمان ، واتجه الامام صوب القرشيين فقال لهم :

« ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » .

ولذع منطق الامام ابن عوف فراح يهدده .

« يا علي لا تجعل على نفسك سبيلاً » .

وغادر الامام المظلوم المهتضم قاعة الاجتماع ، وهو يقول :

« سيبلغ الكتاب أجله » .

وانطلق ابن الاسلام البار عمار بن ياسر فخاطب ابن عوف :

« يا عبد الرحمان ، أما والله لقد تركته ، وانه من الذين يقضون بالحق ، وبه كانوا يعدلون » .

وكان المقداد ممن ذابت نفسه أسى وحزناً ، وراح يقول :

---

(١) منشم — بكسر الشين — اسم امرأة بمكة كانت عطارة ، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها ، فاذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم ، فكان يقال : « أشأم من عطر منشم » جاء ذلك في صحاح الجوهري ٥ / ٢٠٤١ ، وقد استجاب الله دعاء الامام فكانت بين عثمان وعبد الرحمن أشد المنافرة والخصومة ، وقد أوصى ابن عوف ان لا يصلي عليه عثمان بعد موته .

« تا الله ما رأيت مثل ما اتي الى أهل هذا البيت بعد نبيهم ! !
واعجبا لقريش ! ! لقد تركت رجلاً ما أقول : ولا اعلم أن أحداً أقضى
بالعدل ، ولا اعلم ، ولا اتقى منه لو أجد اعواناً » .

وقطع عليه عبد الرحمان كلامه وراح يحذره من الفتنة قائلاً :

« اتق الله يا مقداد فاني خائف عليك الفتنة » .

وانتهت بذلك مأساة الشورى التي اخلدت للمسلمين الفتن والقتهم
في شر عظيم ، فلم يرع في تأسيسها وتنفيذها بهذا الشكل أي حق للاسرة
النبوية ، وانما عمد القوم بشكل سافر الى الغض من شأنها ، ومعاملتها معاملة
عادية اتسمت بالحقد والكراهية لها ، وضاعت بذلك وصايا النبي (ص)
في حقها ، ولم يعن بما قاله في شأنها : من أنها عديلة الكتاب العظيم ،
أو كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى .

لقد شاهد الامام الحسين (ع) وهو في غضارة العمر فصول هذه
الشورى ، وما أعقبته من انتشار الأطماع السياسية ، والتهالك على السلطة
بشكل فظيع ، مما أدى الى تشكيل الأحزاب ، والتسلح باسباب القوة لأجل
الفوز بالحكم والظفر بخيراته يقول الشاعر :

إني أرى فتنة هاجت مراجلها     والملك بعد أبي ايلى لمن غلبا

لقد أصبح الحكم هو الأمل المنشود والحلم الذي يداعب جميع الفئات
يقول الجهيشاري : لما توفي يزيد بن عبد الملك وأفضي الأمــر الى هشام
أتاه الخبر وهو في ضيعة له مع جماعة فلما قرأ الكتاب سجد وسجد من
كان معه من أصحابه خلا سعيد فانه لم يسجد فأنكر عليه هشام وقال له :

— لِمْ لم تسجد ؟

— علامَ أسجد ؟ اعلى ان كنت معنا فطرت الى السماء .

— إذا طيرناك معنا .

— الآن طاب السجود .

وسجد معهم (١) ودلت هذه البادرة وامثالها مما ذكره المؤرخون على تهالك ذلك المجتمع على الحكم لا من أجل أن يتخذ وسيلة للاصلاح الاجتماعي وتطوير حياة الأمة حسب ما يريده الاسلام ، وانما من أجل الأطماع والاستعلاء على الناس .

وعلى أي حال فان تلك الأحداث المؤلمة قد باعدت ما بين القوم وبين دينهم ، وكان لها الأثر الايجابي في هضم العترة الطاهرة ، وتعاقب الخطوب المفزعة عليها ، ومن بينها كارثة كربلاء الخالدة في دنيا الأحزان ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن حكومة الشيخين .

---

(١) الوزراء والكتاب ( ص٥٩ ) .

# حُكومة عثمان

واستقبل المسلمون خلافة عثمان بكثير من القلق والوجوم والاضطراب وفزعت القوى الخيرة ، وخافت على دينها ، واعتبرت فوز الأمويين بالحكم انتصاراً للقوى المناهضة للاسلام ، ويرى ( دوزي ) ان انتصار الأمويين انما هو انتصار للجماعة التي كانت تضمر العداء للاسلام (١) .

وتحقق ما خشيه المسلمون وخافوه فانه لم يمض قليل من الوقت حتى جهدت حكومة عثمان على ممالاة القرشيين ، ومصانعة الوجوه والأعيـــان ، ومنحهم الامتيازات الخاصة وتسليطهم على فيء المسلمين وخراجهم ، والتلاعب باقتصاد الدولة ، ومنح الوظائف العالية لبني أمية وآل أبي معيط ، وغيرهم من الذين لا يرجون لله وقـــاراً حتى سادت الفوضى وعمت الفتن جميع أرجاء البلاد .

وعلى أي حال فان عثمان حينما فرضه ابن عوف خليفة على المسلمين حفت به بنو أمية وسائر القبائل القرشية ، وهم يعلنون الدعم الكامـــل لحكومته ، ويهتفون بحياته ، وجاءوا به يزفونه الى مسجد رسول الله (ص) ليعلن سياسة دولته وموقفها تجاه القضايا الداخلية والخارجية ، واعتلى أعواد المنبر فجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله ( ص ) ولم يجلس فيه أبو بكر ولا عمر ، وانما كان يجلس أبو بكر دونه بمرقاة ، وعمر كان يجلس دونه بمرقاة ، وتكلم الناس في ذلك فقال بعضهم : « اليوم وُلد الشر » (٢) .

واتجهت الناس بقلوبها ومشاعرها لتسمع الخطاب السياسي الذي يلقيه عثمان إلا انه حينما نظر الى الجماهير ارتج عليه ، فلم يدر ما يقول : وجهد نفسه فتكلم بهذه الكلمات المضطربة التي لم تلق أي أضواء على سياسته فقد قال :

---

(١) اتجاهات الشعر العربي ( ص٢٦ ) .

(٢) تاريخ ابن كثير ٧ / ١٤٨ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٠ .

« أما بعد : فان أول مركب صعب ، وما كنا خطباء ، وسيعلم الله وان أمرءاً ليس بينه وبين آدم إلا أب ميت لموعوظ . . . » (١) .

ونزل عن المنبر ، وهو وجل القلب ، مصفر الوجه ، فجعل الناس ينظر بعضهم الى بعض وهم يهزؤن ويسخرون . . . ولابد لنا من الالمام بمظاهر شخصيته والوقوف على اتجاهاته السياسية ، كما لابد من التأمل في الأحداث التي رافقت حكومته والتي كان لهـــا التأثير المباشر في كثير من الفتن والخطوب التي مُني بها العالم الاسلامي ، ونحن لا نجد بُداً من عرض ذلك لأن دراسة هذه الأحداث تلقي الأضواء على حياة الامام الحسين (ع) ويكشف لنا كثيراً من جوانب كارثة كربلاء التي جاءت نتيجة حتمية لتلك الأحداث التي لعبت دورها الخطير في تغيير مناحي العقيدة الاسلامية .

## مظاهر شخصيته :

أما المظاهر الكاشفة عن ابعاد شخصية عثمان ، والمحددة لذاتياتـــه فأهمها ما يلي :

١ إنه كان ضعيف الارادة خائر العزيمة ، فلم تكن له أية شخصية قوية متماسكة يستطيع بها أن يفرض آراءه وارادته ، كما لم تكن له أية قدرة على مواجهة الأحداث والتغلب عليها ، قد اخذ الأمويون بزمامه ، واستولوا على جميع مقدرات حكومته ، فلم يستطع أن يقف موقفاً ايجابياً يتسم بالصلابة ضد رغباتهم ، وأهوائهم ، فكان بالنسبة اليهم – فيما يقول بعض المؤرخين – كالميت في يد الغاسل ، وكان الذي يدير شؤون دولته مروان بن الحكم ، فهو الذي يعطي ما يشاء ، ويمنع من يشاء ويتصرف في

---

(١) الموفقيات ( ص٢٠٢ ) .

مقدرات الأمة حسب ميوله من دون ان يعني بأحكام الاسلام ، ولا رأي لعثمان ، ولا اختيار له في جميع الأحداث التي تواجه حكومته ، فقد وثق بمروان واعتمد عليه ، وأناط به جميع شؤون الدولة ، يقول ابن أبي الحديد نقلاً عن بعض مشايخه : ان الخليفة في الحقيقة والواقع انما كان مروان وعثمان له اسم الخلافة .

ان قوة الارادة لها الأثر التام في تكوين الشخصية واستقامتها ، فهي تكسب الشخص قوة ذاتية يستطيع أن يقف بحزم أمام التيارات والأعاصير التي تواجهه في هذه الحياة ، ومن المستحيل أن يحقق الشخص أي هدف لأمته ووطنه من دون أن تتوفر فيه هذه النزعة ، وقد منع الاسلام منعاً باتاً أن يتولى ضعيف الارادة قيادة الأمة ، وحظر عليه مزاولة الحكم لأنه يعرض البلاد للويلات والخطوب ، ويغري ذوي القوة بالتمرد والخروج من الطاعة ، وتمنى الأمة بالأزمات والأخطار .

ووصفه بعض المؤرخين بالرأفة والرقة واللين والتسامح إلا أن ذلك كان مع أسرته وذويه أما مع الجبهة المعارضة لحكومته فقد كان شديد القسوة ، فقد بالغ في ارهاقهم وأضطهادهم ، وقابلهم بمزيد من العسف والعنف ، فنفى أبا ذر من يثرب الى الربذة ، وفرض عليه الاقامة الجبرية في مكان انعدمت فيه جميع وسائل الحياة ، حتى مات طريداً غريباً ، ونكل بالصحابي العظيم عمار بن ياسر فأمر بضربه حتى أصابه فتق ، وألقته شرطته في الطريق مغمى عليه ، واوعز الى شرطته بضرب القارىء الكبير عبد الله بن مسعود فالهبت جسمه سياطهم وألقوه في الطريق بعد أن هشموا بعض أضلاعه ، وحرم عليه عطاءه ، وهكذا اشتد في القسوة مع اعلام المعارضة .

نعم كان شديد الرأفة والرقة بارحامه من بني امية وآل أبي معيط ،

فمنحهم خيرات البلاد ، وحملهم على رقاب الناس ، واسند اليهم جميع المناصب الحساسة في الدولة .

٢ ـ وظاهرة ثانية من نزعات عثمان هو انه كان شديد القبلية فقد أترعت نفسه بالعواطف الجياشة تجاه قبيلته ، حتى تمنى أن تكون مفاتيح الفردوس بيده ليهبها لبني أمية ، وقد آثرهم بالفيء ، ومنحهم الثراء العريض ، ووهبهم الملايين من أموال الدولة ، وجعلهم ولاة على الأقطار والأقاليم الاسلامية وكانت تتواتر لديه الأخبار بانهم جانبوا الحق وظلموا الرعية ، وأشاعوا الفساد في الأرض فلم يعن بذلك ولم يفتح معهم أي لون من ألوان التحقيق ورد الشكاوى الموجهة ضدهم ، وسنعرض لذلك بمزيد من التفصيل .

٣ ـ والظاهرة الثالثة من نزعات عثمان هو انه كان يميل الى الترف والبذخ ، ولم يعن ببساطة العيش والزهد في الدنيا كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ففتتن بالبذخ والترف فاتخذ القصور ، واصطفى لنفسه ما شاء من بيت المال واحاط نفسه بالثراء العريض من دون ان يتحرج في ذلك ، ووصفه الامام أمير المؤمنين ( ع ) بقوله : « نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه » وكان ذلك من موجبات النقمة عليه ، وسنتحدث عن هذه الظاهرة بمزيد من التفصيل عند البحث عن سياسته المالية .

هذه بعض نزعات عثمان ، وقد أوجبت اخفاقه وفشله في الميادين السياسية ، واذاعة التذمر والنقمة عليه .

## نُظمه الادارية :

أما النظم الادارية السائدة في حكومة عثمان فانها كانت تعني بمملاة

القرشيين ، ومصانعة الوجوه والأعيان ، والتسامح واللين مع ذوي النفوذ والقوة ، والغض عما يقترفونه من المخالفات القانونية ، فقد تعمد عبيدالله ابن عمر جريمة القتل ، فقتل بغير حق الهرمزان وجفينة ، وبنت أبي لؤلؤة وقد أقفل معه عثمان سير التحقيق ، وأصدر مرسوماً خاصاً بالعفو عنه مملاة لأسرة عمر ، وقد قوبل هذا الاجراء بمزيد من الانكار ، فقد اندفع الامام امير المؤمنين الى الانكار عليه ، وطالبه بالقود من ابن عمر ، وكذلك طالبه المقداد ، ولكن عثمان لم يعن بذلك ، وكان زياد بن لبيد اذا لقى عبيد الله يقول له :

ألا يا عبيـــد الله مالك مهرب ... ولا ملجأ من ابن اروى ولا خفر
أصبت دما والله في غير حلـــه ... حراماً وقتل الهرمزان له خطر
على غير شيء غير أن قال قائل ... أتتهمون الهرمزان على عمـــر
فقال سفيه : والحوادث جمة ... نعم أتهمه قد أشار وقـــد أمر
وكان سلاح العبد في جوف بيته ... يقلبـــه والأمر بالأمـــر يعتـــبر

وشكا عبيد الله الى عثمان فدعا زياداً فنهاه عن ذلك الا انه لم ينته وتناول عثماناً بالنقد فقال فيه :

أبا عمرو عبيد الله رهن ... - فلا تشكك - بقتل الهرمزان
فانك ان غفرت الجرم عنه ... وأسباب الخطا فرســا رهـــان
لتعفو اذ عفوت بغير حق ... فما لـــك بالذي تخلي يـــدان

وغضب عثمان على زياد فنهاه ، وحذره العقوبة حتى انتهى (١) ، وأخرج عبيد الله من يثرب الى الكوفة ، وأقطعه بها أرضاً ، فنسب الموضع اليه فقيل : « كوفية ابن عمر » وقد أثارت هذه البادرة عليه نقمة الاخيار والمتحرجين في دينهم ، فقد رأووا أن الخليفة عمد بغير وجه مشروع الى

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٤١ .

تعطيل حدود الله ، ارضاءاً لعواطف آل الخطاب وكسباً لودهم .

وعلى أي حال فان النظم الادارية السائدة في أيام عثمان كانت خاضعة لمشيئة الأمويين ورغباتهم ، ولم تسر على ضوء الكتاب والسنة ، فقد عمد الأمويون جاهدين الى العبث بمقدرات الأمة ، واشاعة الجور في البلاد ، ويرى كرد علي أن غلطات عثمان الادارية كانت من أهم الأسباب في قتله(١) .

## ولاته وعماله :

وعمد عثمان الى فرض أسرته وذوي قرباه على الأمة فجعلهم ولاة وحكاماً على الأقاليم الاسلامية يقول المقريزي : « وجعل عثمان بني أمية أوتاد خلافته » (٢) .

ولم تتوفر فيهم المقدرة الادارية أو القابلية على تحمل مسؤولية الحكم فعرضوا البلاد للويلات وأشاعوا فيها الفساد والجور ، ويقول المؤرخون : إنه شجع عماله على الاستفادة من بيت المال فأبو موسى الأشعري سمح لأحد عماله بالتجارة في أقوات أهل العراق (٣) ويرى السيد مير علي أن المسلمين تذمروا من استبداد الحكام واغتصابهم الأموال (٤) وفيما يلي بعض عماله :

١ ــ سعيد بن العاص :

واسند عثمان ولاية الكوفة الى سعيد بن العاص فولاه أمر هذا القطر

---

(١) الادارة الاسلامية ( ص٥٧ ) .

(٢) النزاع والتخاصم ( ص١٨ ) .

(٣) الطبري ٤ / ٢٦٢ .

(٤) مختصر تاريخ العرب ( ص٤٣ ) .

العظيم بعد عزله الوليد بن عقبة لاقترافه جريمة شرب الخمر ، وقد استقبل الكوفيون واليهم الجديد بالكراهية وعدم الرضا لأنه كان شاباً مترفاً متهوراً لا يتحرج من المنكر ، يقول المؤرخون : إنه قال مرة في رمضان من رأى منكم الهلال ؟ فقام الصحابي العظيم هاشم بن عتبــة المرقال فقال : « أنا رأيته » فلم يعن به وإنما وجه اليه منكر القول وأقساه قائلاً :

« بعينك هذه العوراء رأيته ؟! » .

فالتاع هاشم وانبرى منكراً عليه قائلاً :

« تعيرني بعيني ، وانما فقئت في سبيل الله ، وكانت عينه أصيبت يوم اليرموك » .

وأصبح هاشم مفطراً ، عملاً بقول رسول الله (ص) : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » وفطر الناس لافطاره ، وانتهى الخبر الى سعيد فارسل اليه وضربه ضرباً مبرحاً ، وحرق داره ، وقد أثار ذلك حفائظ النفوس ونقم عليه الناس لأنه اعتدى بغير حق على علم من أعلام الجهاد في الاسلام (١) .

وكان سعيد في منتهى الطيش والغرور فقد أثر عنه أنه قال : « انما السواد — يعني سواد الكوفة — بستان لقريش » وأثار ذلك عليه موجة من الغضب والاستياء فقد اندفع زعيم الأحرار مالك الأشتر راداً عليه قائلاً : « أتجعل مراكز رماحنا ، وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك ؟ والله لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصاصأ منه » .

وهكذا اتخذ الحكم المنحرف الذي فرض على الأمـــة بقوة السيوف خيرات المجتمع بستاناً لقريش التي ناهضت الاسلام وناجزته الحرب .

وانضم قراء المصر وفقهاؤهم الى الزعيم مالك مؤيدين مقالته ومنكرين

(١) حياة الامام الحسن ١ / ٢٤٠

على الوالي غروره وطيشه ، وغضب مدير شرطة سعيد فرد عليهم رداً غليظاً ، فبادروا اليه فضربوه ضرباً عنيفاً حتى أغمي عليه ، وقاموا من مجلسه وأطلقوا ألسنتهم بنقده ، وذكر مثالب عثمان وسيئاته ، وأخذوا يذيعون سيئات قريش وجرائم بني امية ، ورفع سعيد من فوره رسالة الى عثمان أخبره فيها بشأن القوم ، فاجابه عثمان بان ينفيهم الى الشام ، وكتب في نفس الوقت رسالة الى معاوية يأمره فيها باستصلاحهم .

ولم يرتكب هؤلاء الأحرار اثماً أو فساداً ، ولم يقترفوا جرماً حتى يقابلوا بالاضطهاد والنفي ، وانما نقدوا أميرهم لأنه قال غير الحق ، وشذ عن الطريق القويم ، وقد منح الاسلام الحرية التامة لنقد الحاكمين والمسؤولين اذا شذوا في سلوكهم ، وجاروا على رعيتهم ، وجعل هذه الحرية حقاً ذاتياً لكل مواطن ، والزم الدولة برعايتها وتوفيرها للناس .

وعلى أي حال فقد قامت السلطة باخراجهم بالعنف والقهر من أوطانهم وأرسلتهم الى الشام فتلقاهم معاوية ، وأمر بانزالهم في كنيسة ، وأجرى لهم بعض الرزق ، وجعل يناظرهم ، ويعظهم ، ويحبذ لهم مسالمة السلطة والرضا بسياستها إلا انهم لم يستجيبوا له ، وأنكروا عليه ما قاله سعيد : من أن السواد بستان لقريش ، معلنين على أنه لا ميزة للقبائل القرشية على غيرها حتى تختص بخيرات البلاد .

ولما يئس منهم معاوية كتب الى عثمان يستعفيه من بقائهم في الشام خوفاً من أن يفسدوا أهلها عليه ، فاعفاه عثمان ، وأمره بردهم الى الكوفة فلما عادوا اليها انطلقت السنتهم بالنقد في ذكر مثالب الأمويين ومساوئهم ورفع سعيد أمرهم الى عثمان ثانياً فأمره بنفيهم عن وطنهم الى حمص والجزيرة ، فأخرجهم من وطنهم الى حمص ، فقابلهم واليها عبد الرحمان ابن خالد بأعنف القول وأقساه ، وسامهم سوء العذاب وأمعن في ارهاقهم

والتنكيل بهم ، فكان فيما يقول الرواة : اذا ركب أمر بهم ليسيروا حول ركابه مبالغة في اذلالهم واحتقارهم ، ولما رأوا تلك القسوة أظهروا الطاعة والاذعان للسلطة ، وكتب الى عثمان في شأنهم ، فاجابه الى ذلك ، وأمره بردهم الى الكوفة ، ولما نزحوا عن حمص جعلوا طريقهم الى يثرب لمقابلة عثمان ، فلما انتهوا اليهـــا قابلوه ، وعرضوا عليه ما عانوه من التنكيل والارهاق ، ولم يلبثوا قليلاً حتى فاجأهم سعيد ، فقد جاء في مهمة رسمية الى عثمان فوجد القوم عنده يشكونه ، ويسألونه عزله ، إلا انه أعرض عنهم ولم يستجب لهم ، وألزمهم بالانصياع إلى أوامر واليهم ، كما أمره أن يرجع ويزاول عمله ، وقفل القوم قبله راجعين الى مصرهم ، وقد سبقوه اليه ، فقاموا باحتلاله ، وأقسموا أن لا يدخله سعيد ماحملوا سيوفهم ، ثم خرجوا في جماعة مسلحين بقيادة الزعيم مالك الأشتر حتى انتهوا الى ( الجرعة ) فرابطوا فيها ليحولوا بين سعيد وبين دخوله الى الكوفة ، وأقبل سعيد فقاموا اليه ، وعنفوه اشد العنف ، وحرموا عليه دخول مصرهم ، فولى منهزماً الى عثمان يشكوهم اليه ، ولم يجد عثمان بداً من عزله ، فعزله وولى غيره مكانه على كره منه (١) .

وعلى أي حال فان عثمان قد نكل بالناقدين لسعيد بن العاص ، وهم قراء المصر وفقهاؤه : ونفاهم عن أوطانهم من أجل شاب طائش متهور لأنه من اسرته وذويه ، وكان ذلك من موجبات النقمة عليه لا في الكوفة وانما في جميع الأقاليم الاسلامية التي انتهى اليها أمرهم .

٢ - عبد الله بن عامر :

وعبد الله بن عامر بن كريز هو ابن خال عثمان وقـــد ولاه امارة

---

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٨٥ ، تاريخ أبي الفداء ١ / ٦٨ ، الأنساب ٥ / ٣٩ - ٤٣ .

البصرة بعد أن عزل عنها أبا موسى الأشعري ، وكان عمره أربعاً أو خمساً وعشرين سنة (١) ، وقد اختاره لولاية هذا المصر العظيم ، وكان الأولى ان يختار له من ثقاة الصحابة وخيارهم لتستفيد الناس من هديه وصلاحه وتقواه ، وتستمد منه الخير والرشاد ، ولكنه لم يعن بذلك وانما عمد الى ولايته لانه ابن خاله ، وقد سار فيما يقول الرواة سيرة ترف وبذخ ، فكان ولاجاً خراجاً ، كما وصفه الأشعري (٢) فهو اول من لبس الخز في البصرة وقد لبس جبة دكناء ، فقال الناس : لبس الأمير جلد دب فغير لباسه ، ولبس جبة حمراء (٣) وقد انكر عليه سياسته وسيرته عامر بن عبد الله التميمي كما عاب على عثمان سلوكه وسيرته ، وقد روى الطبري انه اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان ، فاجتمع رأيهم ان يبعثوا إليه رجلاً يكلمه ويخبره باحداثه ، واختاروا عامر بن عبد الله لمقابلته ، ولما التقى به قال له :

« إن ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أموراً عظاماً فاتق الله عز وجل ، وتب اليه ، وانزع عنها . . » .

فاحتقره عثمان ، واعرض عنه ، وقال لمن حوله :

« انظروا الى هذا فان الناس يزعمون انه قارىء ، ثم هو يجيء فيكلمني في المحقرات ، فوالله ما يدري اين الله ؟ » .

وما هي المحقرات التي كلمه بها ؟ إنه لم يكلمه الا بتقوى الله والعدل في الرعية ، وايثار مصلحة المسلمين ، واتباع سيرة النبي ( ص ) ولكن عثمان شق عليه ذلك ، واعتبر نصيحته من المحقرات .

---

(١) الاستيعاب المطبوع على هامش الاصابة ٢ / ٢٥٣

(٢) الكامل ٣ / ٣٨ .

(٣) اسد الغابة ٣ / ١٩٢ .

والتفت اليه عامر فقال ساخراً منه :

« أنا لا ادري اين الله ؟ » .

« نعم » .

« إني لأدري ان الله بالمرصاد » .

وغضب عثمان فارسل الى مستشاريه وعماله فعرض عليهم نقمة المعارضين له ، ونقل لهم حديث عامر معه ، وطلب منهم الرأي في ذلك ، فاشار عليه ابن خاله عبد الله بن عامر قائلاً :

« رأي لك يا أمير المؤمنين ان تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك ، وان تجمهرهم في المغازي حتى يذلوا لك ، فلا يكون همة احدهم الا نفسه ، وما هو فيه من دبر دابته ، وقمل فروته . . . » .

وأشار عليه آخرون بخلاف ذلك إلا انه استجاب لرأي عبد الله الداعي الى مقابلة الناقمين عليه بالعسف والعنف ، ورد عماله ، وأمرهم بالتضييق على المعارضين له ، كما أمرهم بتجمير الناس في البعوث ، وعزم على تحريم عطائهم حتى يشيع الفقر والبؤس فيهم فيضطروا الى طاعته (١) .

ولما قفل عبد الله بن عامر الى البصرة عمد الى التنكيل بعامر بن عبد الله وأوعز الى عملائه أن يشهدوا عليه شهادة زور وبهتان بأنه قد خالف المسلمين في أمور أحلها الله ، وأنه لا يأكل اللحم ، ولا يرى الزواج ولا يشهد الجمعة (٢) ودونّ شهادتهم بذلك ، ورفعها الى عثمان فأمره بنفيه الى الشام ، وحمله على قتب حتى يشق عليه السفر ، ولما انتهى الى الشام انزله معاوية ( الخضراء ) وبعث اليه بجارية لتكون عيناً عليه ، وتنقل له اخباره وشؤونه ، وأشرفت عليه الجارية فرأته يقوم في الليل متعبداً ،

---

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٩٤ ، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٣٩ .

(٢) الفتنة الكبرى ١ / ١١٦ .

ويخرج من السحر فلا يعود إلا بعد العتمة ، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً ، وكان يتناول كسراً من الخبز ويجعلها في الماء تحرجاً من أن يدخل جوفه شيء من الحرام ، وانبرت الجارية فأخبرت معاوية بشأنه ، فكتب الى عثمان بأمره فاوعز اليه بصلته (١) .

وقد نقم المسلمون على عثمان ، وعابوا عليه ما ارتكبه في شأن هذا الرجل الصالح الذي أمره بتقوى الله والعدل في الرعية .

وظل عبد الله بن عامر والياً على البصرة يسير فيها بسيرة لم يألفها المسلمون فلم يتحرج عن الاثم والبغي والاعتداء ، ولما قتل عثمان نهب مافي بيت المال وسار الى مكة فوافى بها طلحة والزبير وعائشة فانضم اليهم ، وأمدهم بالأموال ليستعينوا بها على مناجزة الامام أمير المؤمنين ، وهو الذي أشار عليهم بالنزوح الى البصرة ، والانصراف عن الشام (٢) .

٣ ـ الوليد بن عقبة :

وعهد عثمان بولاية الكوفة الى الوليد بن عقبة بعد أن عزل عنها سعد ابن أبي وقاص الزهري ، وأجمع المؤرخون على أنه كان من فساق بني أمية ومن أكثرهم مجوناً ، وانحرافاً عن الاسلام وهو ممن أخبر النبي (ص) بانه من أهل النار (٣) وكان أبوه عقبة من ألد أعداء رسول الله (ص) فكان يأتي بالفروث فيطرحه على بابه (٤) وقد بصق في وجه النبي (ص) فهدده (ص) بانه إن وجده خارجاً من جبال مكة يأمر بضرب عنقه ، فلما كانت واقعة بدر امتنع من الخروج فأصر عليه أصحابه بالخروج معهم

(١) الاصابة ٣ / ٨٥ .
(٢) أسد الغابة ٣ / ١٩٢ .
(٣) مروج الذهب ٢ / ٢٢٣ .
(٤) طبقات ابن سعد ١ / ١٨٦ .

فأخبرهم بمقالة النبي ( ص ) له ، فاغروه وخدعوه ، وقالوا له : لك جمل أحمر لا يُدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه فاستجاب لهم ، وخرج لحرب رسول الله ( ص ) فلما هزم الله المشركين حمل بـه جمله في جدود من الأرض فأخذه المسلمون ، وجاءوا به أسيراً ، فأمر علياً بضرب عنقه ، فقام اليه وقتله (١) وقد اترعت نفس الوليد بالحقد على النبي لأنه قد وتره بأبيه ، وقد أسلم مع من أسلم من كفار قريش خوفاً من حد السيف الذي نزع روح أبيه .

وقد لقبه القرآن الكريم بالفاسق ، ويقول المؤرخون والمفسرون : إنه نزلت آيتان في فسقه :

« الأولى » : قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (٢) وكان سبب نزول هذه الآية ان النبي ( ص ) أرسله الى بني المصطلق لأخذ الصدقة فعاد اليه وأخبره بانهم منعوه عنها فخرج ( ص ) اليهم غازياً فتبين له كذبه ونزلت الآية معلنة فسقه .

« الثانية » : قوله تعالى : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً » (٣) وسبب نزولها أنه جرت مشادة بينه وبين الامام أمير المؤمنين ( ع ) فقال له الوليد : اسكت فانك صبي وأنا شيخ ، والله اني أبسط منك لساناً ، وأحد منك سناناً ، وأشجع منك جناناً ، وأملأ منك حشواً في الكتيبة ، فقال له علي :

---

(١) الغدير ٨ / ٢٧٣ .

(٢) سورة الحجرات : آية ٦ ، يقول ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ / ٦٢ لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن الآية نزلت في الوليد .

(٣) سورة السجدة : آية ١٨ .

اسكت فانك فاسق ، فانزل الله فيهما هذه الآية ، ونظم الحادثة حسان بن ثابت بقوله :

أنزل الله والكتـاب عزيز ۞ في علي وفي الوليـد قرانا
فتبوا الوليد من ذاك فسقاً ۞ وعـلي مبـوّ إيمـانا
ليس من كان مؤمناً عرف الله ۞ كمن كان فاسقـاً خوانـا
فعلي يلقى لدى الله عـزاً ۞ ووليد يلقى هنـاك هوانا
سوف يجزى الوليد خزياً وناراً ۞ وعلي لاشك يجزى جنانا (١)

ولما عهد اليه عثمان بولاية الكوفة كان يشرب الخمر جهاراً ، وقد دخل قصره وهو ثمل يتمثل بأبيات لتأبط شراً .

ولست بعيداً عن مدام وقينة ۞ ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكن أروي من الخمر هامتي ۞ وأمشي الملا بالساحب المتسلسل (٢)

ويقول الرواة : إنه كان يستمع الى الغناء ويظل يسمر مع ندمائـه ومغنيه سكرانا من أول الليل الى الصباح ، وكان يؤثر بمنادمته صديقاً له من نصارى تغلب هو أبو زبيد الطائي ، وقد انزله داراً على باب المسجد ثم وهبها له فكان الطائي يخرج من منزله حتى يشق الجامع اليه فيسمر عنده ويشرب فيشق المسجد وهو سكران (٣) ويقول المؤرخون : إنـه شرب الخمر فصلى بالناس وهو ثمل صلاة الصبح أربع ركعات ، وصار يقول في ركوعه وسجوده : اشرب واسقني ، ثم قـاء في المحراب وسلم ، وقال للمصلين خلفه : هل أزيدكم ؟ فقال له ابن مسعود : لا زادك الله خيراً ، ولا من

---

(١) تذكرة الخواص ( ص١١٥ ) .

(٢) الأخبار الطوال ( ص١٥٦ ) .

(٣) الأغاني ٥ / ١٢٢ ، مروج الذهب ١ / ٣٢٣ ، العقد الفريد ٦ / ٣٤٨ .

بعثك إلينا ، وأخذ فروة نعله ، وضرب بها وجهه ، وحصبه الناس فدخل القصر ، والحصباء تأخذه ، وهو ثمل مترنح (١) وفي فضائحه ومخازيه يقول الحطيئة جرول بن اوس العبسي :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ان الوليد أحق بالغدر
نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم ؟ ثملا ولا يدري
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا منه ازادهم على عشر
فأبوا أبا وهب ولو فعلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت ولوخلوا عنانك لم تزل تجري (٢)

ويقول فيه الحطيئة مرة اخرى :

تكلم في الصلاة وزاد فيها علانية وجاهر بالنفاق
ومج الخمر عن سنن المصلي ونادى والجميع الى افتراق
أأزيدكم على أن تحمدوني فما لكم ومالي من خلاق (٣)

وأسرع جماعة من خيار الكوفيين وصلحائهم الى يثرب يشكون الوليد الى عثمان ، وقد صحبوا معهم خاتمه الذي انتزعوه منه في حالة سكره ، ولما قابلوا عثمان ، وشهدوا عنده بما رأوه من شرب الوليد للخمر ، زجرهم عثمان ، وقال لهم :

« ما يدريكم أنه شرب الخمر ؟ » .

« هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية » .

وأعطوه خاتمه الذي انتزعوه منه في حال سكره لتأييد شهادتهم ، وغضب عثمان ، وقام فدفع في صدورهم ، وقابلهم باخبث القول ، وأقساه

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٣١٤ .
(٢) الأغاني ٤ / ١٧٨ - ١٧٩ .
(٣) الأغاني ٤ / ١٧٨ .

فخرجوا منه وقد ملك الذعر إهابهم وانطلقوا الى الامام أمير المؤمنين ، وأخبروه بما ألمّ بهم فانبرى الامام الى عثمان ، فقال له :

« دفعت الشهود وأبطلت الحدود ؟ » .

وهدأ عثمان ، وخاف من عواقب الأمور فاتجه نحو الامام قائلاً بصوت خافت :

« ما ترى ؟ » .

« أرى ان تبعث الى صاحبك ، فان أقاما الشهادة في وجهه ، ولم يدل بحجة أقمت عليه الحد . . » .

ولم يجد عثمان بُداً من الاذعان لقول الامام فكتب الى الوليد يأمره بالشخوص اليه ولما وصلت الى الوليد رسالة عثمان نزح من الكوفة الى يثرب ولما مثل بين يدي عثمان دعا بالشهود فاقاموا عليه الشهادة فلم يدل بايـة حجة ، وبذلك خضع لاقامة الحـد ، ولم ينبر اليه أحد لاقامة الحد عليه خوفاً من عثمان ، فقام الامام أمير المؤمنين (ع) ودنا منه فسبه الوليـد وقال : « يا صاحب مكس » (١) وقام اليه عقيل فرد عليه سبه ، وجعل الوليد يروغ عن الامام فاجتذبه ، وضرب به الأرض ، وعلاه بالسوط ، وتميز عثمان غيظاً وغضباً فصاح بالامام .

« ليس لك أن تفعل به هذا » .

فاجابه الامام بمنطق الشرع قائلاً :

« بلى وشر من هذا اذا فسق ، ومنع حق الله أن يؤخذ منه » (٢) .

ودلت هذه البادرة على تهاون عثمان بحدود الله ، وعـدم اكتراثه باقامتها ، وعلق الاستاذ العلائلي على هذه البادرة بقوله :

(١) المكس : النقص والظلم .

(٢) مروج الذهب ٢ / ٢٢٥ .

« هذه القصة تضع بين أيدينا شيئاً جديداً غير العطاء الذي يرجع الى مكان العاطفة تضع بين أيدينا صورة من الاغضاء عن مجاوزة السلطة للقانون والاغضاء في واقعة دينية ، بحيث يجب على الخليفة أن يكون أول من يغار عليها ، وإلا هدد مكانه وافسح للناس مجال التقول والتجريح ، وبالأخص حين جاءت حكومته عقيب حكومة عمر التي عُرفت بالشدة فيما يتعلق بالحدود الدينية حتى لو كان من أقرب ذوي القربى .

إذن فهذه المبالغة في الاغضاء والصفح والمجاوزة لا ترجع الى مكان العاطفة وحدها ان كانت بل الى الحزبية أيضاً حتى تتناصر مجتمعة .. »(١) .

وعلى أي حال فان الوليد قد ترك أثراً سيئاً في الكوفة فقد تأثرت بمجونه فكانت سيرته نقطة تحول في هذه المدينة – التي كانت تضم الصحابة والتابعين – الى مدينة المجان واللاهين ، فقد أغرى الوليد الناس الى الاندفاع نحو المتع واللهو ، واسست في الكوفة دور للغناء والطرب ، وانتشر فيها المجان ، وكان من المغنين فيها عبد الله بن هلال الذي لقب بصاحب ابليس (٢) وحنين الخيري الشاعر النصراني (٣) .

٤ – عبد الله بن سعد :

واستعمل عثمان أخاه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر فجعل بيده صلاته وخراجه (٤) وكان من اخطر المشركين ، وأكثرهم عداءاً للنبي ( ص ) وسخرية منه ، وكان يقول مستهزءاً بالنبي ( ص ) : إني أصرفه حيث أريد ، وقد أهدر النبي دمه ، وإن وُجد متعلقاً بأستار

---

(١) الامام الحسين ( ص٣٣ ) .

(٢) الاغاني ٢ / ٣٥١ .

(٣) الاغاني ٢ / ٣٤٩ .

(٤) الولاة والقضاة ( ص١١ ) .

الكعبة ، وقد هرب بعد فتح مكة فاستجار بعثمان فغيبه ، وبعدما اطمأن أهل مكة أتى به عثمان الى النبي ، فصمت ( ص ) طويلاً ثم آمنه وعفا عنه ، فلما انصرف عثمان التفت النبي الى أصحابه ، قال لهم : ما صمت إلا ليقوم اليه بعضكم ليضرب عنقه ، فقال له رجل من الأنصار : هلا أومأت الي يا رسول الله ؟ فقال : إن النبي لا ينبغي أن تكون له خائنة الأعين (١) .

ولما ولي عبد الله مصر ساس المصرين سياسة عنف وجور وكلفهم فوق ما يطيقون ، وأظهر الكبرياء والجبروت ، فضجروا منه ، فخف خيارهم الى عثمان يشكونه اليه ، فبعث اليه رسالة يستنكر فيها سيرته وسياسته في القطر ، ولم يستجب ابن أبي سرح لعثمان ، وراح مصراً على غيه واعتدائه على الناس ، وعمد الى من شكاه لعثمان فقتله ، وشاع التذمر والسخط عليه فتشكل وفد كبير من المصريين وكان عددهم فيما يقول الرواة : سبع مائة شخص فخفوا الى عثمان ، وقد نزلوا في الجامع وشكوا الى الصحابة ما صنع بهم ابن أبي سرح فانبرى طلحة الى عثمان فكلمه بكلام قاسي ، وارسلت اليه عائشة تطالبه بانصاف القوم ، وكلمه الامام أمير المؤمنين عليه السلام فقال له :

« إنما يسألك القوم رجلاً مكان رجل ، وقد ادعوا قبله دماً ، فاعزله عنهم واقض بينهم ، فان وجب عليه حق فانصفهم منه . . » .

واستجاب - على كره - للقوم ، وقال لهم : « اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه » فاشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر ، فكتب عهده الى مصر ووجه معه عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين

---

(١) تفسير القرطبي ٧ / ٤٠ ، سنن أبي داود ٢ / ٢٢٠ .

ابن ابي سرح (١) ونزحوا عن المدينة فلما بلغوا الى الموضع المعروف ( بحمس ) واذا بقادم من يثرب تأملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فتفحصوا عنه ، وفتشوه واذا به يحمل رسالة من عثمان الى ابن أبي سرح يأمره فيها بالتنكيل بالقوم ، وتأملوا في الكتاب فاذا به بخط مروان فقفلوا راجعين الى يثرب وقد صمموا على خلع عثمان أو قتله (٢) .

٥ ــ معاوية بن أبي سفيان :

لم يستعمل عثمان معاوية على الشام والياً وانما استعمله عمر وأقره عثمان عليها ولكنه زاد في نفوذه وبسط في سلطانه ، ومهد له الطريق في نقل الخلافة الاسلامية اليه يقول طه حسين :

« وليس من شك في أن عثمان هو الذي مهد لمعاوية ما اتيح له من نقل الخلافة ذات يوم الى آل أبي سفيان ، وتثبيتها في بني أمية فعثمان هو الذي وسع على معاوية في الولاية فضم اليه فلسطين وحمص وأنشأ له وحدة شامية بعيدة الأرجاء ، وجمع له قيادة الأجناد الأربعة ، فكانت جيوشه أقوى جيوش المسلمين ، ثم مدّ له في الولاية أثناء خلافته كلها كما فعل عمر ، وأطلق يده في أمور الشام أكثر مما أطلقها عمر . فلما كانت الفتنة نظر معاوية فاذا هو أبعد الأمراء بالولاية عهداً ، وأقواهم جنداً ، وأملكهم لقلب الرعية » (٣) .

ان عثمان هو الذي مد في سلطان معاوية ، وزاد في سعة ولايته ، وبسط له النفوذ حتى كان من أقوى الولاة ، وأعظمهم نفوذاً ، وأصبح قطره من أهم الأقطار الاسلامية وأمنعها ، وأكثرها هدوءاً واستقراراً .

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٢٦ .
(٢) حياة الامام الحسن ١ / ٢٥٠ .
(٣) الفتنة الكبرى ١ / ١٢٠ .

هؤلاء بعض ولاة عثمان ، وكلهم من بني أمية وآل أبي معيط ، ولم يمنحهم الحكم إلا إثرة ومحاباة ، وتقوية لنفوذ الأمويين وحملهم على رقاب المسلمين ، وقد علق السيد مير علي الهندي على ولاة عثمان بقوله :

« كان هؤلاء هم رجال الخليفة المفضلين ، وقد تعلقوا بالولايات كالعقبان الجائعة ، فجعلوا ينهشونها ، ويكدسون الثروات منهـا بوسائل الارهاق التي لا ترحم » (١) .

## سياسته المالية :

لم تكن سياسة عثمان المالية إلا امتداداً لسياسة عمر (٢) ، فليس لعثمان منهج خاص في السياسة المالية سوى الذي سنه عمر ، من ايجـاد الطبقية وتقديم بعض الناس على بعض في العطاء ، وقد شذت هذه السياسة عما قننه الاسلام من لزوم المساواة ووجوب الانفاق على المرافق العامة ، واصلاح الحياة الاقتصادية ومكافحة الفقر ، والقيام باعالة الضعيف والمحتاج ، وليس لولاة الأمور أن يصطفوا منها أي شيء ، وليس لهم أن يمنحوها لدعـم حكمهم وسلطانهم وقد تحرج الاسلام في ذلك أشد الحرج يقول رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » (٣) وكتب الامام أمير المؤمنين رائد الحق والعدالة في الأرض الى قثم بن العباس عامله على مكة كتاباً القى فيـه الأضواء على السياسة المالية التي انتهجها الاسلام وهذا نصه :

(١) روح الاسلام ( ص٩٠ ) .

(٢) تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ( ص٢٢ ) .

(٣) صحيح البخاري ٥ / ١٧ .

« انظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة ، مصيباً به مواضع الفاقة والخلات ، وما فضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا » (١) .

هذا هو اتجاه الاسلام في أموال الدولة فهو يلزم ولاة الأمور بانفاقها على مواضع الفاقة والمحتاجين لئلا يبقى بائس أو محروم في البلاد ، ولكن عثمان لم يعن بذلك ، وانما انفق الأموال العامة على الاشراف والوجوه وبني أمية وآل أبي معيط ، فتكدست عندهم الأموال وحاروا في صرفها ... لقد أصبحت الأموال الهائلة التي تتدفق على الخزينة المركزية تمنح للامويين وادعوا أن المال انما هو ملكهم لا مال الدولة ، وانها ملك لبني امية ، فقد منحوا نفوسهم بجميع الامتيازات (٢) وفيما يلي قائمة في الأموال التي منحها لهم ولغيرهم :

## عطاياه للامويين :

وخص عثمان بني امية بالأموال ، ومنحهم الهبـــات الضخمة وهي كما يلي :

١ ـ الحارث بن الحكم .

ووهب عثمان الحارث صهره من عائشة ما يلي :

أ ـ ثلاثمائة ألف درهم (٣) .

ب ـ وهبه ابل الصدقة التي وردت الى المدينة ..

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٢ / ١٢٨ .

(٢) العقيدة والشريعة في الاسلام ( ص٥٣ ) .

(٣) انساب الأشراف ٥ / ٥٢ .

ج - أقطعه سوقاً في يثرب يعرف بتهروز بعد أن تصدق به النبي على جميع المسلمين (١) .

٢ - أبو سفيان :

ووهب عثمان الى أبي سفيان رأس المنافقين مائتي ألف من بيت المال (٢).

٣ - سعيد بن العاص :

ومنح عثمان سعيد بن العاص مائة ألف درهم (٣) .

٤ - عبد الله بن خالد :

وتزوج عبد الله بن خالد بن أسيد بنت عثمان فامر له بستمائة ألف درهم وكتب الى عبد الله بن عامر واليه على البصرة أن يدفعها اليه من بيت المال (٤) .

٥ - الوليد بن عقبة :

الوليد بن عقبة أخو عثمان من امه استقرض من عبد الله بن مسعود أموالاً طائلة من بيت المال فأقرضه ، وطلبها منه عبد الله فأبى أن يدفعها ورفع رسالة الى عثمان يشكوه اليه ، فكتب عثمان الى عبد الله رسالة جاء فيها : « انما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال » فغضب ابن مسعود ، وطرح مفاتيح بيت المال وقال : « كنت أظن اني خازن للمسلمين ، فاما اذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك » وأقام بالكوفة بعد أن استقال من منصبه (٥) .

---

(١) انساب الاشراف ٥ / ٢٨ .

(٢) شرح النهج ١ / ٦٧ .

(٣) انساب الأشراف ٥ / ٢٨ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٥ .

(٥) الانساب ٥ / ٣٠ .

فبيت المال في عرف السياسة العثمانية ملك للامويين ، وليس ملكاً للمسلمين ، ونترك هذا الحكم الى القراء .

٦ ـ الحكم بن أبي العاص .

كان هذا الرجس الخبيث من ألد اعداء رسول الله (ص) وقد نفاه (ص) الى الطائف ، وقال : « لا يساكنني » ولم يزل منفياً هو وأولاده طيلة خلافة الشيخين ، ولما انتهى الحكم الى عثمان أصدر عنه العفو فقدم الى يثرب ، وهو يسوق تيساً ، وعليه ثياب خلقة فدخل على عثمان فكساه جبة خز وطيلسان (١) ووهبه من الأموال مائة الف (٢) ، وولاه على صدقات قضاعة فبلغت ثلاث مائة الف ، فوهبها له (٣) .

وأدت هباته للحكم الى شيوع التذمر والنقمة عليه من جميع الأوساط الاسلامية .

٧ ـ مروان بن الحكم :

اما مروان بن الحكم فهو وزيره ومستشاره الخاص ، وجميع مقدرات الدولة تحت تصرفه ، وقد منحه الثراء العريض ، ووهبه من الأموال مايلي:

أ ـ اعطاه خمس غنائم افريقية ، وقد بلغت خمس مائة الف دينار وقد عيب عليه في ذلك ، وهجاه الشاعر الثائر عبد الرحمان بن حنبل بقوله :

سأحلف بالله جهد اليميـ  ن ما ترك الله امرأ سدى
ولكن خلقت لنا فتنة  لكي نبتلي لك او تبتلى
فان الأمينين قد بينا  منار الطريق عليه الهدى
فما اخذا درهماً غيلة  وما جعلا درهماً في الهوى

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤١ .

(٢) المعارف (ص٨٤) .

(٣) الانساب ٥ / ٢٨ .

دعوت اللعين فأدنيتــه     خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس العبا     د ظلماً لهم وحميت الحمى (١)

ب - أعطاه ألف وخمسين أوقية ، لا نعلم أنها من الذهب أو الفضة وهي من الأمور التي أشاعت التذمر والنقمة عليه (٢) .

ج - أعطاه مائة الف من بيت المال ، فجاء زيد بن أرقم خازن بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وجعل يبكي فنهره عثمان وقال له :

« أتبكي إن وصلت رحمي ؟ » .

« ولكن أبكي لأني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت انفقته في سبيل الله ، في حياة رسول الله (ص) لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً » .

فصاح به عثمان .

« الق المفاتيح يا ابن أرقم فانا سنجد غيرك » (٣) .

د - أقطعه فدكا (٤) .

ه - كتب له بخمس مصر (٥) .

هذه بعض صلاته للامويين ، وقد نقم عليه المسلمون ، وسخط عليه الأخيار والأحرار ، فان هذه الأسرة هي التي عادت الله ورسوله وحاربت الاسلام ، وليس من الحق ولا من العدل أن تستأثر باموال المسلمين وفيئهم في حين قد شاعت الحاجة في جميع انحاء البلاد .

---

(١) تاريخ ابي الفداء ١ / ١٦٨ .
(٢) سيرة الحلبي ٢ / ٨٧ .
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١ / ٦٧ .
(٤) تاريخ أبي الفداء ١ / ١٦٨ ، المعارف ( ص٨٤ ) .
(٥) طبقات ابن سعد ٣ / ٢٤ .

## مِنَحه للاعيان :

ووهب عثمان الوجوه والأعيان ممن يخاف سطوتهم ، وقد أعطى من الشخصيات ما يلي :

١ — طلحة :

وأوصل طلحة بمائتي الف دينار (١) ، وكانت له عليه خمسون الفاً فقال له طلحة . تهيأ مالك فاقبضه ، فوهبه له وقال : هو لك يا أبا محمد على مرؤتك (٢) .

٢ — الزبير :

ومنح الزبير بن العوام ستمائة الف ، ولما قبضها حار فيها فجعل يسأل عن خير المال ليستغل صلته ، فدل على اتخاذ الدور في الأقاليم والأمصار (٣) فبنى احدى عشرة داراً بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، وداراً بالكوفة ، وداراً بمصر (٤) .

٣ — زيد بن ثابت :

ووهب أموالاً ضخمة لزيد بن ثابت حتى بلغ به الثراء العريض انه لما توفي خلف من الذهب والفضة ما يكسر بالفؤوس ، عدا ما ترك من الأموال والضياع ما قيمته مائة الف (٥) .

---

(١) تاريخ الطبري ٥ / ١٣٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ١٣٩ .

(٣) طبقات ابن سعد .

(٤) صحيح البخاري ٥ / ٢١ .

(٥) مروج الذهب ١ / ٣٣٤ .

ومنح أموالاً أخرى للمؤيدين لسياسته كحسان بن ثابت وغيره ، وقد ذكرها المؤرخون بالتفصيل ، وهي تذكرنا باصحاب الملايين في عصرنا الحديث ، لقد اتسع الثراء العريض بشكل فاحش عند بعض الصحابة حتى ان بعضهم خاف أن يقلل الله ثوابه في الدار الآخرة يقول خبـاب بن الارت : « لقد رأيتني مع رسول الله (ص) ما أملك ديناراً ولا درهماً وان في ناحية بيتي في تابوتي لاربعين ألف واف (١) ولقـد خشيت أن تكون عجلت طيباتنا في حياتنا الدنيا » (٢) ويرى فان فلوتن أن هذه السياسة الاقتصادية أدت الى انتشار الترف والفساد (٣) .

## إقطاع الاراضي :

واقطع عثمان اراضي في الكوفة مع العلم انها ملك للمسلمين لأنها مما فتحت عنوة فقد اقطع اراضي في داخل الكوفة وخارجها ، اما التي في داخل الكوفة فقد أقيمت فيهـا الدور والمساكن ، وسميت « مساكن الوجوه » وقد اقطع لجماعة من الصحابة وهم :

طلحة ، وسميت دار الطلحيين ، وكانت في الكناسة ، واقطـع عبيد الله بن عمر ، وسميت ( كويفة ابن عمر ) واقطع اسامة بن زيد وسعد ، وابن اخيه هاشم بن عتبة ، وأبا موسى الأشعري ، وحذيفة العبسي وعبد الله بن مسعود ، وسلمان الباهلي ، والمسيب الفزاري ، وعمرو بن حريث المخزومي ، وجبير بن مطعم الثقفي وعتبة بن عمر الخزرجي ، وأبا جبير

---

(١) الوافي : درهم وأربعة دوانق ، القاموس : مادة دوق .

(٢) طبقات ابن سعد ٦ / ٨ .

(٣) السيادة العربية ( ص٢٢ ) .

الأنصاري ، وعدي بن حاتم الطائي ، وجرير البجلي ، والأشعث الكندي والوليد بن عتبة ، وعمار بن عتبة ، والفرات بن حيان العجلي ، وجابر ابن عبد الله الأنصاري ، وأم هاني بنت أبي طالب .

وأقطع اراضي واسعة تدر بالربح الكثير لجماعة وهم :

١ - طلحة بن عبد الله اقطعه ( النشاستج ) .

٢ - عدي بن حاتم منحه ( الردحاء ) .

٣ - وائل بن حجر الحضرمي منحه ( رضيعة زادر ) .

٤ - خباب بن الارت منحه ( صعبنا ) .

٥ - خالد بن عرفطة اقطعه ارضاً عند ( حمام اعين ) .

٦ - الأشعث الكندي اعطاه ( ظيزناباذ ) .

٧ - جرير بن عبد الله البجلي اقطعه ارضاً على شاطيء الفرات ( الجرفين ) .

٨ - عبد الله بن مسعود اقطعه ارضاً بالنهرين .

٩ - عبد الله بن مالك الزهري اعطاه قرية ( هرمز ) .

١٠ - عمار بن ياسر أعطاه ( اسبينا ) .

١١ - الزبير بن العوام اقطعه ارضاً .

١٢ - اسامة بن زيد اقطعه ارضاً ثم باعها (١) .

هذه بعض الأراضي التي اقطعها عثمان ، وقد اندفع جماعة من الطبقة الارستقراطية الى شراء ارض العراق الخصبة فاشترى طلحة ومروان بن الحكم ، والأشعث بن قيس (٢) ورجال من قبائل العراق حتى شاع الاقطاع

---

(١) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ( ص١٤٥ - ١٤٦ ) نقلاً عن فتوح البلدان ( ص ٢٧٢ ) .

(٢) خطط الكوفة ( ص٢١ ) الحضارة الاسلامية ١ / ١٢٣ .

وظهرت الملكيات الواسعة والاقطاعات الكبيرة وقام بزراعتها الموالي والرقيق والأحرار ، وظهر تضخم المال وكثرة الاتباع عند فريق خاص من الناس ويرى ما سينون وفلهوزن ان اقطاع هذه الأراضي الزراعية قد حدث قبل أيام عثمان .

وعلى اي حال فان هذا الاقطاع الكبير قد اوجد النظام الطبقي ، وخلق الصراع بين ابناء الامة .

## استئثاره بالأموال :

واستنزف عثمان بيوت الأموال فاصطفى منها لنفسه وعياله ما شاء ، ويقول المؤرخون : انه كانت في بيوت الأموال جواهر ثمينة لا تقدر قيمتها فأخذها ، وحلى بها بناته ونساءه (١) وقد بالغ هو بالذات في البذخ والسرف الى حد لم يألفه المسلمون ، فقد أشاد داراً في يثرب فبناها بالحجر والكلس وجعل أبوابهـا من الساج والعرعر ، واقتنى اموالاً ، وجناناً وعيوناً بالمدينة (٢) وكان ينضد اسنانه بالذهب ، ويتلبس باثواب الملوك ، وانفق الكثير من بيت المال في عمارة ضياعه ودوره (٣) ولما قُتل وجد عند خازنه ثلاثون الف الف درهم ، وخمسون ومائة الف دينار ، وترك الف بعير وصدقات ببراديس وخيبر ووادي القرى ما قيمتها مائتا الف دينار (٤) .

---

(١) الانساب ٥ / ٣٦ .
(٢) مروج الذهب ١ / ٣٣٤
(٣) السيرة الحلبية ٢ / ٨٧ .
(٤) طبقات ابن سعد ٣ / ٥٣ .

ان السياسة المالية التي انتهجها عثمان قد خلقت الطبقية وعادت بالاضرار البالغة على المسلمين يقول محمد كرد علي : « لقد أوجدت هذه السياسة المالية طبقتين من الناس الأولى الطبقة الفاحشة في الثراء التي لا عمل لها إلا اللهو والتبطل ، والأخرى الطبقة الكادحة التي تزرع الأرض ، وتعمل في الصناعة وتشقى في سبيل اولئك السادة ، ومن أجل الحصول على فتات موائدهم، وترتب على فقدان التوازن في الحياة الاقتصادية انعدام الاستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية على السواء ، وقد سارت الدولة الأموية في أيام حكمها على هذه السياسة فاخضعت المال للتيارات السياسية ، وجعلوه سلاحاً ضد أعدائهم ، ونعيماً مباحاً لأنصارهم » (١) .

وبهذا العرض الموجز ينتهي بنا الحديث عن سياسته المالية التي شذت عما الزم به الاسلام من التحرج في أموال الدولة ووجوب انفاقها على مكافحة الفقر وتطوير الحياة الاقتصادية في جميع أنحاء البلاد .

## الجبهة المعارضة :

ونقم المسلمون على عثمان ، واشتد خيارهم وصلحاؤهم في معارضته وقد أنكروا عليه ايثاره لبني امية وآل أبي معيط ، وحملهم على رقاب المسلمين ، ومنحهم خيرات البلاد ووظائف الدولة ، مع امعانهم في الظلم والجور ، وهو لم يحرك ساكناً تجاههم ، وكان يقابل المعارضين بالشتم والاحتقار .

أما الجبهة المعارضة فكانت مختلفة الاتجاه بين اليمين واليسار فطلحة والزبير وعائشة ومن ينتمي اليهم لم يكن الغرض من نقمتهم عليه المطالبة بالاصلاح الاجتماعي وان تظاهروا بذلك لاغراء البسطاء والسذج ، وانما

(١) الادارة الاسلامية « ص ٨٢ » .

غرضهم الوصول الى كرسي الحكم والاستيلاء على السلطة ، والظفر بنعم البـــلاد .

أما الطائفة الأخرى من المعارضة فكانت تضم أعلام الاسلام ، وحماة الدين أمثال عمار بن ياسر ، وأبي ذر ، وعبد الله بن مسعود ، ونظرائهم من الذين صدقوا ما عاهدوا عليه الله ، وأبلوا في سبيل هذا الدين بلاءاً حسناً ، فرأوا أن حكومة عثمان قد أماتت السنة وأحيت البدعة ، ورأوا صادقاً يكذب ، واثرة بغير حق – كما يقولون – فطالبوا عثمان بتغيير سلوكه وان يتبع الهدى ، ويسير بين المسلمين بالحق فلم يعن بهم ولو انه استجاب لنصحهم لجنب الأمة كثيراً من الفتن والمصاعب .

## التنكيل بالمعارضين :

وأمعن عثمان بالتنكيل بالمعارضين ، والمنددين بسياسته ، فصب عليهم جام غضبه ، وبالغ في ظلمهم وارهاقهم الى حد بعيد ، وفيما يلي بعضهم

١ – عمار بن ياسر :

ومكانة عمار بن ياسر في الاسلام معلومة فهو صاحب النبي (ص) وخليله ، لقي في سبيل الاسلام اعظم الجهد ، وأقسى البلاء ، عذبته قريش مع أبويه أعنف العذاب ، استشهد أبواه في سبيل هذا الدين ، وقد أشاد القرآن الكريم بفضله فقد نزلت في حقه الآية الكريمة « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة » (١) وقال تعالى فيه : « أو من

---

(١) سورة الزمر : آية ٩ نص على نزولها في عمار القرطبي في تفسيره ٥ / ٢٣٩ ، وابن سعد في طبقاته ٣ / ١٧٨ .

كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس » (١) .

وقد اهتم النبي (ص) في شأن عمار اهتماماً كثيراً فكان موضع عنايته وتبجيله ، وقد سمع (ص) شخصاً ينال من عمار فتأثر واندفع يقول :

« ما لهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار ، إن عماراً جلدة ما بين عيني وانفي ، فاذا بلغ ذلك من الرجل فاجتنبوه » (٢) .

ولما انتقل النبي (ص) الى جنة المأوى كان عمار من ألمع أصحاب الامام أمير المؤمنين ، فاختص به ولازمه ، وكان من المتخلفين عن بيعة أبي بكر ، فانه لم ير أحداً أحق بمكانة النبي سوى الامام امير المؤمنين (ع)

وبعدما فرض عمر عثمان خليفة على المسلمين كان عمار من أشد الناقمين عليه ، وكان السبب في نقمته عليه ما يلي :

١ — ان عثمان لما استأثر بالسفط الذي في بيت المال وكان يضم الجواهر الثمينة التي لا تثمن بقيمة ، أنكر عليه الامام أمير المؤمنين ، وأيده عمار فقال له عثمان : أعلي يابن المتكاء (٣) تجترىء ؟ واوعز الى شرطته باخذه ، فقبضوا عليه ، وأدخلوه الى منزله فضربه ضرباً مبرحاً حتى غشي عليه ، وحمل الى منزل ام المؤمنين السيدة ام سلمة ، ولم يفق من شدة الضرب حتى فاتته صلاة الظهرين والمغرب ، فلما أفاق قام فتوضأ وصلى العشاء ، وقال : « الحمد لله ليس هذا أول يوم أوذينا فيه في الله » وغضبت عائشة فاخرجت شعراً من شعر رسول الله (ص) وثوباً من ثيابه ، ونعلاً من نعاله ، وقالت : « ما اسرع ما تركتم سنة نبيكم وهذا

---

(١) سورة الانعام : آية ١٢٢ ، نص على نزولها في عمار السيوطي في تفسيره ١ / ٢٣٩ ، وابن كثير في تفسيره ٢ / ١٧٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ١١٤ .

(٣) المتكاء : العظيمة البطن ، والتي لا تمسك بولها .

شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد ، وغضب عثمان حتى لا يدري ما يقول : ولا يعرف كيف يعتذر عن خطيئته (١) .

٢ ـ ان اعلام الصحابة رفعوا مذكرة لعثمان ذكروا فيهـا أحداثه ومخالفاته للسنة ، وطالبوه بالكف عنها فاخذها عمار ، ودفعها اليه فقرأ صدراً منها عثمان ، واندفع نحو عمار فقال له :

ـ أعلي تقدم من بينهم ؟

ـ إني أنصحهم لك .

ـ كذبت يابن سمية .

ـ انا والله ابن سمية وابن ياسر .

وامر عثمان جلاوزته فمدوا يديه ورجليه ، وضربه عثمان برجليه على مذاكيره ، فاصابه الفتق ، وكان ضعيفاً فاغمي عليه (٢) .

٣ ـ ان عثمان لما نكل بالصحابي العظيم أبي ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فنفاه الى الربذة ، ومات فيها غريباً ، ولما جاء نعيه الى يثرب حزن عليه المسلمون فقال عثمان مستهزءاً :

« رحمه الله » .

فاندفع عمار ينكر عليه ذلك قائلاً :

« رحمه الله من كل أنفسنا » .

وانتفخت أوداج عثمان ، فقابل عمار بافحش القول ، وأقساه قائلاً :

« يا عاض أيرابيه ، أتراني ندمت على تسييره ؟ » .

وهذا الكلام لا يليق باي رجل عادي فضلاً عن عثمان الذين يزعمون ان الملائكة كانت تستحي منه .

---

(١) الانساب ٥ / ٤٨ .

(٢) الانساب ٥ / ٤٩ ، العقد الفريد ٢ / ٢٧٣ .

وأمر عثمان غلمانه فدفعوا عماراً ، وأرهقوه كما امر بنفيه الى الربذة فلما تهيأ للخروج أقبلت بنو مخزوم الى الامام امير المؤمنين فسألوه ان يذاكر عثمان في شأنه ، فانطلق نحوه الامام ، وقال له :

« اتق الله ، فانك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره ؟ » .

فثار عثمان وصاح بالامام .

— أنت أحق بالنفي منه .

— رم ان شئت ذلك .

واجتمع المهاجرون فعذلوه ، ولاموه على ذلك فاستجاب لهم وعفا عن عمار (١) .

ان عثمان لم يرع مكانة عمار من النبي ( ص ) وسابقته للاسلام ، فاعتدى عليه وبالغ في تنكيله لانه أمره بالعدل ، ودعاه الى الحق .

٢ — أبو ذر :

وأبو ذر صاحب رسول الله ( ص ) وخليله ، وهو أقدم أصحابه الذين سبقوا للاسلام ، وكان أزهد الناس في الدنيـــا ، واقلهم احتفالاً بمنافعها ، وكان رسول الله ( ص ) يأتمنه حين لا يأتمن أحداً من أصحابه ويسر اليه حين لا يسر الى أحد (٢) وهو احد الثلاثة الذين احبهم الله وأمر نبيه بحبهم كما انه أحد الثلاثة (٣) الذين تشتاق لهم الجنة (٤) .

ولما حدثت الفتن أيام عثمان واستأثر بنو امية بمنافع الدولة وخيرات

---

(١) الانساب ٥ / ٥٤ ، اليعقوبي ٢ / ١٥٠ .

(٢) كنز العمال ٨ / ١٥ .

(٣) الثلاثة الذين تشتاق لهم الجنة : الامام علي وأبو ذر وعمار .

(٤) مجمع الزوائد ٩ / ٣٣٠ .

البلاد ، وقف أبو ذر موقف المسلم المؤمن بدينه فاخذ يندد بسياسة عثمان ويدعوه الى ان يضع حداً للتدهور الاجتماعي ، وقد نهاه عثمان فلم ينتــه وانطلق يوالي انكاره فكان يقف امام الذين منحهم عثمان بالثراء العريض ويتلو قول الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » وغاظ ذلك مروان بن الحكم الذي تكدست عنده الأموال الضخمة التي وهبها له عثمان ، وقد ضاق ذرعاً بأبي ذر فشكاه الى عثمان فارسل اليه ينهاه عن ذلك فابى أبو ذر وقال :

« أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله ؟ . فوالله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحب الي وخيرلي من أن أسخط الله برضاه . . . » .

والتاع عثمان وضاق ذرعاً بأبي ذر ولكنه كظم غيظه ، وراح يفتش عن الوسائل التي يقضي بها على خصمه .

## اعتقاله في الشام :

واستمر الصحابي العظيم أبو ذر يوالي انكاره على عثمان يبغي بذلك وجه الله ويلتمس الدار الآخرة لم يخفه الموت ولم تغره الحياة وقد حنق عليه عثمان وأمر بنفيه الى الشام ويقول المؤرخون : ان عثمان سأل حضار مجلسه فقال لهم :

« أيجوز لأحد أن يأخذ من المال فاذا أيسر قضى ؟ » .

فانبرى كعب الأخبـــار وكان خصيصاً بعثمان فافتاه بالجواز وصعب على أبي ذر أن يتدخل كعب في امور الدين وهو يهودي النزعة ، ويشك في اسلامه فصاح به :

« يابن اليهوديين أتعلمنا ديننا ؟ » .

فثار عثمان واندفع يناصر كعباً فصاح بأبي ذر .

« ما أكثر أذاك ؟ وولعك باصحابي الحق بمكتبك في الشام .

وأمر به فسير الى الشام فلما انتهى اليها رأى منكرات معاوية وبدعه رآه قد أطلق يديه في بيت المال الذي جمع من جهود الشعب ، فجعل ينكر عليه ، ويذيع بين المسلمين مساوىء عثمان ، وقد أنكر على معاوية حينما قال : « المال مال الله » فقال له : « المال مال المسلمين » كما أنكر عليه بناءه الخضراء فكان يقول له :

« يا معاوية ان كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة ، وان كانت من مالك فهذا الاسراف . . » .

وأخذ يدعو المسلمين الى اليقظة ، والحذر من السياسة الأموية ، وكان يقول لأهل الشام :

« والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ، ولا في سنة نبيه ، والله إني لأرى حقاً يطفأ ، وباطلاً يحيى ، وصادقاً يكذب واثرة بغير تقى ، وصالحاً مستأثراً عليه » (١) .

وكان الناس يؤمنون بحديثه ويصدقون مقالته ، وأخذ يبث الوعي الاجتماعي ، ويدعو الى انصاف المحرومين ، ويحرض الفقراء على استرجاع حقوقهم من الفئة الحاكمة ، وخاف الطاغية معاوية ان تندلع نار الثورة عليه فنهى الناس عن الاجتماع به ، وخاطبه .

« يا عدو الله تؤلب الناس علينا ، وتصنع ما تصنع ! ! فلو كنت قاتلاً رجلاً من أصحاب محمد من غير اذن امير المؤمنين — يعني عثمان — لقتلتك » فرد عليه البطل العظيم غير حافل بسلطانه قائلاً :

---

(١) الانساب ٥ / ٥٢ .

« ما أنا بعدولله ، ولا لرسوله ، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله اظهرتما الاسلام ، وابطنتما الكفر . . . » .

وظل أبو ذر يواصل نشاطه الاجتماعي ، ودعوته الى ايقاظ المجتمع ويحفزهم على الثورة ، فالتاع معاوية ، وكتب الى عثمان يخبره بخطره عليه ويلتمس منه أن ينقله عنه ، فكتب اليه عثمان ان يرسله على اغلظ مركب وأوعره حتى يلقى الجهد والعناء ، فارسله معاوية مع جلاوزة لا يعرفون مكانته ، ولا يحترمون مقامه ، فلم يسمحوا له أن يستريح من الجهد ، ومضوا في سيرهم لا يلون على شيء حتى تسلخت بواطن فخذه ، وكاد ان يموت ولما انتهى الى يثرب دخل على عثمان وهو منهوك القوى فاستقبله عثمان بالجفوة قائلاً :

« أنت الذي فعلت وفعلت ؟ ! » .

« نصحتك فاستغششتني ، ونصحت صاحبك — يعني معاوية — فاستغشني » .

فصاح به عثمان :

« كذبت ، ولكنك تريد الفتنة ، وتحبها ، وقد انغلت الشام علينا » .

فوجه اليه أبو ذر نصيحته قائلاً :

« اتبع سنة صاحبيك — يعني أبا بكر وعمر — لم يكن لأحد عليك كلام » .

فثار عثمان وصاح به .

« مالك ولذلك لا ام لك » .

فقال ابو ذر :

« والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

وصرخ عثمان فقال لمن في مجلسه :

« أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب أما ان اضربه أو احبسه ، أو اقتله فانه فرق جماعة المسلمين او انفيه من ارض الاسلام » .

والتاع الامام أمير المؤمنين فراح يندد بعثمان ويقول له :

« يا عثمان سمعت رسول الله (ص) يقول : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق من ابي ذر » .

ولم يحفل أبو ذر بعثمان وانما مضى في دعوته يواصل انكاره فكان يقول له :

« تستعمل الصبيان ، وتحمي الحمى ، وتقرب أولاد الطلقاء ؟ » .

واخذ يذيع بين المسلمين ما سمعه من رسول الله في ذم الأمويين ومدى خطرهم على الاسلام فكان يقول :

« قال رسول الله (ص) : اذا كملت بنو امية ثلاثين رجلاً اتخذوا بلاد الله دولاً ، وعباد الله خولا ، ودين الله دغلاً . . » (١) .

واصدر عثمان آوامره بمنع مجالسة ابي ذر ، وحرم مخالطته والكلام معه لأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولم يقره على سياسته النكراء .

## اعتقاله في الربذة :

واستمر أبو ذر في جهاده وانكاره على السياسة الأموية ، لم يثنه عن عزمه جور الامويين واضطهادهم له ، وقد ضاق عثمان به ذرعاً فرأي ان خير وسيلة له ان ينفيه عن سائر الأمصار الاسلامية ، ويعتقله في بعض

---

(١) حياة الامام الحسن ١ / ٢٥٨ .

المجاهيل التي لا سكن فيها ، فارسل الشرطة خلفه فلما حضر بادره أبوذر قائــلاً :

« ويحك يا عثمان !! أما رأيت رسول الله ، ورأيت ابا بكر وعمر هل رأيت هذا هديهم ؟ انك لتبطش بي بطش الجبارين . . . » .

فقطع عليه عثمان كلامه ، وصاح به .

« اخرج عنا من بلادنا » .

« أتخرجني من حرم رسول الله (ص) ؟ » .

« نعم وانفك راغم » .

« اخرج الى مكة ؟ » .

« لا » .

« الى البصرة » .

« لا » .

« الى الكوفة » .

« لا » .

« الى اين اخرج » .

« الى الربذة حتى تموت فيها » .

واوعز الى مروان باخراجه فوراً الى يثرب ، وأمره بأن يخرجه مهان الجانب محطم الكيان ، وحرم على المسلمين مشايعته والخروج معه ، ولكن اهل الحق ابوا إلا مخالفة عثمان وسحق اوامره فقــد خف لتوديعه الامام امير المؤمنين والحسنان وعقيل وعبد الله بن جعفر ، واشتد مروان نحو الامام الحسن (ع) فقال له :

« ايه يا حسن !! إلا تعلم ان عثمان قد نهى عن كلام هذا الرجل ؟ فان كنت لا تعلم فاعلم ذلك . . » .

وثار الامام امير المؤمنين فحمل على مروان ، وضرب اذني دابته وصاح به :

« تنح نحاك الله الى النار » .

وولى مروان منهزماً الى عثمان يخبره بعصيان امره ، والاعتداء عليه .

## كلمة الامام امير المؤمنين (ع) :

ووقف الامام امير المؤمنين على أبي ذر فودعه ، وقد غامت عيناه بالدموع وألقى عليه هذه الكلمات التي حددت أبعاد شخصيته قائلاً له :

« يا أبا ذر انك غضبت لله فارج من غضبت له ، إن القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه ، واهرب بما خفتهم عليه ، فما أحوجهم الى ما منعتهم ، وما أغناك عما منعوك ، وستعلم من الرابح غداً ، والأكثر حسداً ؟ ولو أن السماوات والأرض كانتا على عبد رتقا ، ثم اتقى الله لجعل الله منهما مخرجاً ، لا يؤنسك الا الحق ، ولا يوحشك إلا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ، ولو قرضت منها لآمنوك . . » .

وألقت هذه الكلمات الأضواء على ثورة أبي ذر ، وأنها كانت من أجل الحق ومن اجل المبادىء العليا التي جاء بها الاسلام ، وقد خافه القوم على دنياهم وخافوه من اجل نهبهم لثروات الأمة ، وتلاعبهم باقتصادها ومقدراتها ، وقد مجد الامام في أبي ذر هذه الروح الطيبة ، وطلب منه أن يهرب بدينه ليكون بمنجاة من شرور القوم وآثامهم ، فانه هو الرابح في آخرته والسعيد يوم يلقى الله ، وهم الخاسرون الذين تلفح وجوههم النار وهم فيها خالدون .

## كلمة الامام الحسن :

وبادر الامام الحسن نحو عمه أبي ذر فصافحه وودعه وداعاً حاراً وألقى عليه هذه الكلمات التي تنم عن عظيم مصابه وحزنه :

« يا عماه لو لا أنه ينبغي للمودع أن يسكت ، وللمشيع أن ينصرف لقصر الكلام ، وان طال الأسف ، وقد أتى القوم اليك ما ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها ، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها ، واصبر حتى تلقى نبيك وهو عنك راض » .

## كلمة الامام الحسين :

وانطلق الامام الحسين إلى أبي ذر ، وقد أخذ منه الأسى مأخذاً عظيما فألقى عليه هذه الكلمات المشرقة :

« يا عماه ان الله تبارك وتعالى قادر ان يغير ما قد ترى ، ان الله كل يوم هو في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ، ومنعتهم دينك ، فما أغناك عما منعوك ، وأحوجهم الى ما منعتهم ؟ فاسأل الله الصبر ، واستعذ به من الجشع والجزع ، فان الصبر من الدين والكرم ، وان الجشع لا يقدم رزقاً ، والجزع لا يؤخر أجلاً . . » .

ما أروع هذه الكلمات التي كشفت الستار عن عداء الأمويين لأبي ذر فانهم قد خافوه على دنياهم ، وخافوه على مناصبهم ، وقد أمره (ع) بالخلود الى الصبر ، ونهاه عن الجزع ، فانه لا يؤخر اجلا ، وقد تذرع

الامام بهذا الخلق العظيم في يوم الطف فانه لم يخضع للامويين ولم يجزع عما ألم به من عظيم الكوارث والخطوب .

## كلمة عمار بن ياسر :

وأقبل عمار بن ياسر وقد غامت عيناه بالدموع فودع خليله وصاحبه أبا ذر وقال له :

« لا آنس الله من اوحشك ، ولا آمن من اخافك ، أما والله لو أردت دنياهم لآمنوك ، ولو رضيت اعمالهم لأحبوك ، وما منع الناس أن يقولوا بقولك : إلا الرضا بالدنيا ، والجـزع من الموت ، ومالوا الى سلطان جماعتهم عليـه ، والملك لمن غلب ، فوهبوا لهم دينهم ، ومنحهم القوم دنياهم فخسروا الدنيا والآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين .. » .

وبكى أبو ذر بكاءاً مراً فألقى نظرة الوداع الأخير على أهل البيت الذين أخلص لهم وأخلصوا له ، وتكلم بهذه الكلمات التي يلمس فيهـا ذوب قلبه قائلاً :

« رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ، إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم ، إني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام ، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين (١) فافسد الناس عليهما فسيرني الى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع الا الله ، والله ما اريـد الا الله صاحباً ، وما اخشى مع الله وحشة . . » .

وتحركت راحلة أبي ذر ، وانصرفت به الى الربذة مشرداً عن حرم الله

(١) المصرين : البصرة ومصر .

وحرم رسوله ، وقد اترعت نفسه بالحزن والأسى على فراق أهل البيت (ع) الذين هم وديعة رسول الله (ص) في امته .

لقد مضى أبو ذر الى الربذة ليموت فيها جوعاً ، وفي يد عثمان ذهب الأرض ينفقه على بني امية وآل ابي معيط ؛ ويحرمه على أبي ذر شبيه المسيح عيسى بن مريم هدياً وسمتاً .

ولما قفل الامام امير المؤمنين (ع) راجعاً من توديع أبي ذر استقبلته جماعة من الناس فاخبروه بغضب عثمان واستيائه منه لأنه خالف أوامره التي حرمت على المسلمين الكلام مع أبي ذر وتوديعه ، فقال (ع) :

« غضب الخيل على اللجم » (١) .

وبادر عثمان نحو الامام فصاح به :

« ما حملك على رد رسولي ؟ » .

« أما مروان فانه استقبلني يردني فرددته عن ردي ، وأما امرك فلم اردِه . . » .

« أو لم يبلغك أني قد نهيت الناس عن تشييع أبي ذر ؟ » .

« أوكل ما امرتنا به من شيء يُرى طاعة الله والحق في خلافه أتبعنا فيه امرك ؟ » .

« أقد مروان » .

« وما اقيده ؟ » .

« ضربت بين اذني راحلته » .

« أما راحلتي فهي تلك ، فان اراد ان يضربها كما ضربت راحلته فليفعل ، وأما انا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت بمثلها ، لا اكذب فيه ، ولا اقول الا حقاً » .

---

(١) يضرب مثلاً لمن يغضب غضباً لا ينتفع به .

« ولم لا يشتمك إذ شتمته ، فوالله ما انت عندي بافضل منه » .

وارتاع الامام من عثمان الذي هام بحب اسرته ، فساوى بينه وهو من النبي ( ص ) بمنزلة هارون من موسى ، وبين الوزغ ابن الوزغ مروان ابن الحكم الذي لعنه النبي ( ص ) وهو في صلب ابيه ، وثار الامام (ع) فقال لعثمان :

« إلي تقول هذا القول ؟ وبمروان تعدلني ؟ ! ! فأنا والله أفضل منك ، وأبي أفضل من أبيك ، وامي افضل من امك ، وهذه نبلي قد نثلتها . . » .

وسكت عثمان ولم يطق جواباً ، وانصرف الامام حزيناً قد ساورته الهموم والآلام .

٣ — عبد الله بن مسعود :

ونكل عثمان تنكيلاً فظيعاً بالصحابي العظيم عبد الله بن مسعود فقد امعن في قهره وظلمه ، أما سبب ذلك فهو ما المعنا اليه عند البحث عن امارة الوليد بن عقبة على الكوفة ، فقد نقم عليه عبدالله حينما استقرض من بيت المال ، ولم يؤده اليه ، وقد رفع الوليد الى عثمان امره فأنكر على ابن مسعود ذلك فاستقال من منصبه ، وقفل راجعاً الى يثرب فلما انتهى اليها كان عثمان على المنبر يخطب فلما رآه خاطب المسلمين وقال لهم :

« قدمت عليكم دويبة سوء ، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح » .

ورد عليه ابن مسعود وقال له :

« لست كذلك ، ولكني صاحب رسول الله ( ص ) يوم بدر ، ويوم بيعة الرضوان » .

وأثار كلام عثمان موجة من الغضب والاستياء في المجتمع فاندفعت عائشة تعلن سخطها قائلة له :

« أي عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله ؟ » .

وأمر عثمان شرطته باخراج الصحابي العظيم من المسجد ، فاخرج منه وهو مهان الجانب ، وقام اليه أبو عبد الله بن زمعة أو يحموم غلام عثمان فاحتمله ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض ، فدق ضلعه .

وثار الامام أمير المؤمنين ( ع ) فخاطب عثمان :

« يا عثمان أتفعل هذا بصاحب رسول الله ( ص ) بقول الوليد ابن عقبة ؟ ؟ » .

« ما بقول الوليد فعلت هذا ، ولكني وجهت زبيد بن الصلت الكندي الى الكوفة ، فقال له ابن مسعود : إن دم عثمان حلال .. » .

ورد عليه الامام .

« أحلت عن زبيد على غير ثقة .. » (١) .

وحمل الامام ابن مسعود الى منزله ، وقام برعايته حتى إبل من مرضه وقاطعه عثمان ، وهجره ، وفرض عليه الاقامة الجبرية في يثرب ، وقطع عنه عطاءه ، ومرض ابن مسعود مرضه الذي توفي فيه فدخل عليه عثمان عائداً فقال له :

ــ ما تشتكي ؟

ــ ذنوبي .

ــ ما تشتهي ؟

ــ رحمة ربي .

ــ أدعو لك طبيباً ؟

ــ الطبيب أمرضني .

ــ آمر لك بعطائك .

---

(١) الانساب ٥ / ٣٦ .

- منعتنيه وأنا محتاج اليه ، وتعطينه وأنا مستغني عنه .
- يكون لولدك .
- رزقهم على الله .
- استغفر لي يا أبا عبد الرحمان .
- أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي (١) .

وانصرف عثمان ، ولم يفز برضاء ابن مسعود ، ولما ثقل حاله أوصى أن لا يصلي عليه عثمان ، وان يصلي عليه صاحبه عمار بن ياسر ، ولما توفي قامت الصفوة من أصحابه بتجهيزه ودفنه ولم يعلموا عثمان بذلك ، فلما علم غضب وقال : سبقتموني ، فرد عليه عمار .

« إنه أوصى أن لا تصلي عليه . . » .

وقال ابن الزبير :

لأعرفنك بعد الموت تندبني  وفي حياتي مازودتني زادي (٢)

وننهي بهذا الحديث الكلام عن الجبهة المعارضة التي نقمت على عثمان لاستبداده باموال الدولة ، وانفاقها على اسرته وذويه في حين أن المجاعة والحرمان قد شملت جميع انحاء البلاد .

لقد نقم عليه المعارضون ، واشتدوا في معارضته حينما بدل سنة الله فحمل بني امية وآل أبي معيط على رقاب المسلمين ، وخصهم بالمناصب العليا في الدولة ، ووهبهم جميع خيرات البلاد .

## الثورة :

وكانت الثورة نتيجة للنضج الاجتماعي واصلاحية الى حد كبير - كما

---

(١) حياة الامام الحسن ١ / ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) تاريخ ابن كثير ٧ / ١٦٣ ، مستدرك الحاكم ٣ / ١٣ .

يقول العلائلي – (١) ، فقد شاع التذمر ، وعم السخط ، وأخذت المجالس والأندية تتحدث عن مظالم عثمان ، واستبداده بشؤون المسلمين ، وتنكيله بخيار المسلمين ، وقد اجتمع أهل الحل والعقد فراسلوا جميـــع الأمصار يستنجدون بهم ، ويطالبونهم بارسال الجيوش للقيام بقلب الحكم القائم ، وهذا نص مذكرتهم لأهل مصر :

« من المهاجرين الأولين وبقية الشورى، الى من بمصر من الصحابة والتابعين ، أما بعد : ان تعالوا الينا ، وتداركوا خلافة رسول الله (ص) قبل أن يسلبها أهلها فان كتاب الله قد بدل ، وسنة رسوله قد غيرت ، واحكام الخليفتين قد بدلت ، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله ، والتابعين باحسان الا أقبل الينا ، وأخذ الحق لنا ، واعطاناه فاقبلوا الينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وأقيموا الحق على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيكم ، وفارقكم عليه الخلفاء ، غلبنا على حقنا ، واستولى على فيئنا ، وحيل بيننا وبين أمرنا ، وكانت الخلافة بعد نبينـــا خلافة نبوة ورحمة ، وهي اليوم ملك عضوض من غلب على شيء أكله »(٢) .

وحفلت هذه المذكرة بذكر الأحداث الخطيرة التي ارتكبتها حكومة عثمان وهي :

١ – تبديل كتاب الله ، وإلغاء احكامه ، ونبذ نصوصه .

٢ – تغيير سنة النبي ( ص ) واهمال تشريعاته الاقتصادية والاجتماعية.

٣ – تبديل احكام الخليفتين .

٤ – استئثار السلطة بالفيء وانفاقها على رغباتها ومصالحها الخاصة .

---

(١) الامام الحسين ( ص٦٦ ) .

(٢) الامامة والسياسة ١ / ٣٥ .

٥ ـ صرف الخلافة الاسلامية عن مفاهيمها الخيرة الى ملك عضوض لا يعني بأهداف الأمة .

وتحفز الأخيار والمصلحون الى ارسال الوفود الى يثرب للاطلاع على أوضاع الخليفة والتعرف على شؤونه .

## مذكرة اخرى لأهل الثغور :

وأرسلت الجبهة المعارضة مذكـرة اخرى للمرابطين في الثغور من الصحابة يطالبونهم بالقدوم الى يثرب للاطاحة بالحكم القائم وهذا نصها :

« إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل ، تطلبون دين محمد (ص) فان دين محمد قد أفسده خليفتكم فاقيموه . » (١) .

وألهبت هذه المذكرة القلوب ، وتركت النفوس تغلي كالمرجل غيظاً وغضباً على عثمان .

## وفود الأمصار :

واستجابت الأقطار الاسلامية لنـداء الصحابة فارسلت وفودها الى يثرب لتقصي الحقائق ، والاطلاع على الأحداث والوفود التي أقبلت هي :

أ ـ الوفد المصري :

وأرسلت مصر وفداً كان عدده أربع مائة شخص ، وقيل أكثر من ذلك بقيادة محمد بن أبي بكر ، وعبد الرحمان بن عديس البلوي .

---

(١) تاريخ الطبري ٥ / ١١٥ ، الكامل ٥ / ٧٠ .

ب ـ الوفد الكوفي :

وأرسلت الكوفة وفدها بقيادة الزعيم مالك الأشتر ، وزيد بن صوحان العبدي ، وزياد بن النضر الحارثي ، وعبد الله الأصم العامري ، ويرأس الجميع عمرو بن الأهتم .

ج ـ الوفد البصري .

وأوفدت البصرة مائة رجل بقيادة حكيم بن جبلة ، ثم أوفدت خمسين رجلاً وفيهم ذريح بن عباد العبدي ، وبشر بن شريح القيسي وابن المحرش وغيرهم من الوجوه والأعيان .

ورحبت الصحابة بالوفود ، وقابلتها بمزيد من الاحتفاء والتكريم ، وأخذت تعرض عليها أحداث عثمان ، وتحرضها على اقصائه عن الحكم والوقيعة به .

## مذكرة المصريين لعثمان :

ورأى الوفد المصري أن يرفع مذكرة لعثمان يدعوه فيها الى التوبة والاستقامة في سياسته وسلوكه وهذا نصها :

« أما بعد : فاعلم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فالله الله ، ثم الله الله ، فانك على دنيا فاستقم معها آخرة ، ولا تنسى نصيبك من الآخرة ، فلا تسوغ لك الدنيا ، واعلم انا لله ولله نغضب ، وفي الله نرضى ، وانا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة ، أو ضلالة مجلحة (١) مبلجة فهذه مقالتنا لك ، وقضيتنا إليك والله عذيرنا منك والسلام . . » (٢) .

(١) مجلحة : مشتق من جلح على الشيء أقدم عليه .

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ١١١ ـ ١١٢ ، الأنساب ٥ / ٦٤ ـ ٦٥ .

واضطرب عثمان ، وقرأ الرسالة بامعان وقد أحاط به الثوار فبادر اليه المغيرة ، وطلب منه الاذن بالكلام معهم فاذن له ولما قرب منهم صاحوا به :

« يا أعور وراءك » .

وصاحوا به ثانياً .

« يا فاجر وراءك » .

وصاحوا به ثالثاً .

« يا فاسق وراءك » .

ورجع المغيرة خائباً مهاناً قد أخفق في سفارته ، ودعا عثمان عمرو بن العاص وطلب منه أن يكلم القوم ، فمضى اليهم وسلم عليهم فلم يردوا عليه السلام لعلمهم بفسقه وفجوره ، وقالوا له :

« ارجع يا عدو الله » .

« ارجع يابن النابغة ، لست عندنا بأمين ، ولا مأمون » .

ورجع خائباً في وفادته ، لم يستجب له القوم ، وقابلوه بمزيد من التوهين والاستخفاف .

## استنجاده بالامام :

وعلم عثمان ان لا ملجأ له إلا الامام امير المؤمنين فاستغاث بـه ، وطلب منه أن يدعو القوم الى كتاب الله وسنة نبيه ، فاجابه الى ذلك بعد أن أخذ منه المواثيق على الوفاء بعهده ، ومضى الامام الى الثوار وهو يحمل الضمان لجميع مطاليبهم ، فلما رأوه قالوا له :

« وراءك » .

« تعطون كتاب الله ، وتعتبون من كل ما سخطتم عليه » .

« أتضمن ذلك ؟ » .

« نعم » .

« رضينا » .

وأقبل وجوههم وأشرافهم مع الامام فدخلوا على عثمان فعاتبوه ولاموه على ما فرط في أمور المسلمين ، وطالبوه أن يغير سياسته وسلوكه ويسير بين المسلمين بالحق فاستجاب لهم ، وطالبوا منه أن يكتب لهم كتاباً بذلك ، فاجابهم الى ما أرادوا وكتب لهم هذا الكتاب :

« هذا كتاب من عبد الله عثمان امير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين ان لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ، يعطى المحروم ، ويؤمن الخائف ، ويرد المنفي ، ولا يجمر في البعوث ، ويوفر الفيء وعلي ابن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين ، على عثمان الوفاء بما في هذا الكتاب » .

وشهد فيه كل من الزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن مالك بن ابي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، وأبو أيوب خالد بن زيد ، وكتب ذلك في ذى القعدة سنة ( ٣٥هـ ) وأخذ القوم الكتاب وانصرفوا الى جماعتهم ، وطلب منه الامام أمير المؤمنين أن يخرج الى الناس ويعلن لهم بتنفيذ طلباتهم ففعل عثمان ذلك فأعطاهم عهد الله وميثاقه أن يسير فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ، وان يوفر لهم الفيء ولا يؤثر به أحداً من أقربائه ، وقفل المصريون راجعين الى بلادهم .

## نقضه للميثاق :

ونقض عثمان ما قطعه على نفسه ، ولم يف للمسلمين بما عاهدهم عليه

ويقول المؤرخون إن السبب في ذلك أن مروان الذي كان مستشاراً لـــه ووزيراً ، قد دخل عليه فلامه وعذله على ما صنع قائلاً :

« تكلم واعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا ، وان ما بلغهم عن امامهم كان باطلاً ، فان خطبتك تسير في البلاد ، قبل ان يتحلب الناس عليك من امصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه . . » .

وامتنع عثمان من اجابته لأنه دعاه لان يناقض نفسه ، وان يقول غير الحق ، ولكنه ما زال به يحذره مغبة ما صنع ، ويخوفه عاقبة الأمور ، ولم تكن لعثمان ارادة صلبة ، ولا عزم ثابت ، فكان العوبة بيد مروان فاستجاب له ، واعتلى المنبر فخاطب الناس قائلاً :

« أما بعد : إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر فلما تيقنوا انه باطل مابلغهم رجعوا الى بلادهم . . » .

وانبرى المسلمون الى الانكار عليه ، وناداه عمرو بن العاص :

« اتق الله يا عثمان ، فانك قد ركبت نهابير (١) وركبناها معك فتب الى الله نتب معك » .

فصاح به عثمان .

« وانك هنا يا ابن النابغة ؟ قملت والله جبتك منـــذ تركتك من العمل ؟ » .

وارتفعت أصوات الانكار من جميع جنبات الحفل وهي ذات لهجة واحدة .

« اتق الله يا عثمان » .

« اتق الله يا عثمان » .

وانهارت اعصابه ، وتحطمت قواه فحار في الجواب ، ولم يجد بُداً

(١) النهابير : المهالك .

من أن يعلن التوبة مرة اخرى عما اقترفه ، ونزل عن المنبر ، وهو خائر القوى ، ومضى الى منزله (١) .

## استنجاده بمعاوية :

ولما تبين للثوار أنه لم يقلع عن سياسته ، وانه جاد في سيرته لا يغير منها ولا يبدل أحاطوا به ، وطالبوه بالاستقالة من منصبه فلم يستجب لهم ورأى أن يستنجد بمعاوية ليبعث له قوة عسكرية تحميه من الثوار ، وقد كتب اليه هذه الرسالة :

« أما بعد : فان أهل المدينة قد كفروا ، وخلعوا الطاعة ، ونكثوا البيعة فابعث الي من قبلك مقاتلة أهل الشام على صعب وذلول . . » (٢) .

وحمل الكتاب مسور بن مخرمة ، ولما قرأه معاوية قال له مسور :

« يا معاوية : إن عثمان مقتول فانظر فيما كتب به اليك . . » .

وصارحه معاوية بالواقع وبما انطوت عليه نيته قائلاً :

« يا مسور : إني مصرح ان عثمان بدأ فعمل بما يحب الله ورسوله ويرضاه ثم غيّر فغير الله عليه ، أفيتهيأ لي أن أرد ما غير الله عز وجل » (٣) .

ولم يستجب معاوية له ، وكان فيما يقول المؤرخون : يترقب مصرعه ليتخذ من دمه وسيلة للظفر بالملك والسلطان ، وقد تنكر لألطافه وأياديه عليه وعلى اسرته ، يقول الدكتور محمد طاهر دروش :

---

(١) تاريخ الطبري ٥ / ١١٠ ، الأنساب ٥ / ٧٤ .

(٢) الكامل لابن الاثير ٥ / ٦٧ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٢ .

(٣) الفتوح ٢ / ٢١٨ .

« واذا كان هناك وزر في قتل عثمان فوزره على معاوية ، ودمه في عنقه ، ومسؤوليته عن ذلك لا تدفع ، فهو اولى الناس به ، وأعظم الرجال شأناً في دولته ، وقد دعاه فيمن دعا ، يستشيره في هذا الأمر وهو داهية الدهاة فما نهض اليه برأيه ، ولا دافع عنه بجنده ، وكأنه قد استطال - كما استطال غيره - حياته فترك الأيام ترسم بيدها مصيره ، وتحدد نهايته فاذا جاز لأحد أن يظن بعلي أو بطلحة والزبير وغيرهم تقصيراً في حق عثمان فمعاوية هو المقصر ، واذا جاز ان يلام أحد غير عثمان فيما جرى فمعاوية هو الملوم . . . » .

وعلى أي حال فان معاوية لما ابطأ عن اجابته ، بعث عثمان رسالة الى يزيد بن كرز والي أهل الشام يستحثهم على القدوم اليه لانقاذه من الثوار ولما انتهى اليهم كتابه نفروا الى اجابته تحت قيادة يزيد القسري إلا ان معاوية أمره بالاقامة بذي ( خشب ) وان لا يتجاوزه فاقام الجيش هناك حتى قتل عثمان .

وكتب عثمان رسائل اخرى الى أهل الأمصار والى من حضر الموسم في مكة يطلب منهم القيام بنجدته الا انهم لم يستجيبوا له لعلمهم بالأحداث التي ارتكبها .

## الاحاطة بعثمان :

وأحاط الثوار بعثمان ، وقد رجع اليهم الوفد المصري حينما استبان المكيدة الخطيرة التي دبرت ضده ، وقد حاصروا عثمان وهم يهتفون بسقوطه

---

(١) الخطابة في صدر الاسلام ٢ / ٢٣ .

ويطالبونه بالاستقالة من منصبه ، وقد أشعل نار الثورة في نفوسهم مروان ابن الحكم فقد اطل عليهم ، وخاطبهم :

« ما شأنكم ؟ كأنكم قد جئتم لنهب ؟ شاهت الوجوه ، تريدون ان تنزعوا ملكنا من أيدينا ، اخرجوا عنا . . » .

ونفذ صبر الثوار فعزموا على قتله ، وصمموا على تقطيع أوصاله ، والتنكيل به .

ونقلت كلمات مروان الى الامام أمير المؤمنين فخف الى عثمان مسرعاً فقال له :

« أما رضيت من مروان ، ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الضعينة يقاد حيث يسار به ، والله ما مروان بذي رأي في دينه ، ولا في نفسه ، وأيم الله لأراه سيوردك ، ثم لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، أذهبت شرفك ، وغلبت على أمرك ».

وتركه الامام ، وانصرف عنه ، فقالت نائلة زوج عثمان للامويين :

« انتم والله قاتلوه ، وميتمو أطفاله » .

والتفتت الى عثمان تنصحه بان يعزب عن مروان ، ولا يطيعه قائلة له :

« انك متى أطعت مروان قتلك » .

واحاط به الثوار فمنعوا عنه الماء والطعام ، وحاصروه ، وهو مصر على سياسته لم يقلع عنها ، وقد اترعت النفوس بالحقد والكراهية له ، وقد جنى هو على نفسه لاطاعته لمروان ، وانصياعه لرغبات بني أمية .

## يوم الدار :

واندلعت نيران الثورة ، واشتد اوارها فقد أحاط الثوار بدار عثمان

وقد خرج اليهم مروان فبرز اليـــه عروة بن شييم الليثي فضربه على قفاه بالسيف فخر لوجهه ، وقام اليه عبيد بن رفاعة الزرقي بسكين ليقطع رأسه فعذلته فاطمة الثقفية وكانت امه من الرضاعة فقالت له : « إن كنت تريد قتله فقد قتلته ، فما تصنع بلحمه أن تبضعه » فاستحي منها وتركه ومشى اليه الناس ، وتسلقوا عليه الدار ، ولم يكن عنده أحد يدافع عنه فقد ورمت منه القلوب ، ونفرت منه النفوس ، ورمي بالحجارة وناداه الناس .

« لسنا نرميك ، الله يرميك ؟ » .

فرد عليهم عثمان .

« لو رماني الله لم يخطأني » .

واحتف به بعض الأمويين يدافعون عنه ، وقـــد نشب بينهم وبين الثوار قتال عنيف ، وقد فر من ساحة القتال خالد بن عقبة بن أبي معيط واليه يشير عبد الرحمان بن سيحان بقوله :

يلومونني في الدار إن غبت عنهم     وقد فر عنهم خالد وهو دارع

وقتل من أصحاب عثمان زياد بن نعيم الفهري ، والمغيرة بن الأخنس ونيار بن عبد الله الأسلمي وغيرهم .

## الإجهاز على عثمان :

وأحاط الثوار بعثمان بعد أن انهزم عنه بنو أمية وآل أبى معيط ، فاجهز عليه جماعة من المسلمين في طليعتهم محمد بن أبي بكر فقد قبض على لحيته وقال له :

— قد أخزاك الله يا نعثل .

---

(١) حياة الامام الحسن بن علي ١ / ٢٧٩ .

ـ لست بنعثل ، ولكن عبد الله وأمير المؤمنين .

ـ ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان .

ـ يابن أخي دع عنك لحيتي ، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه.

ـ ما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك .

وطعن جبينه بمشقص كان في يده ، ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده فوجأ في أصل اذن عثمان ، حتى دخلت في حلقه ، ثم علاه بالسيف ووثب عليه عمرو بن الحمق الخزاعي فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات ، وكسر عمير بن ضابيء ضلعين من أضلاعه ، وحاولوا حز رأسه ، فالقت زوجتاه نائلة ، وابنة شيبة بن ربيعة بانفسهما عليه ، فامر ابن عديس بتركه لهما (١)

وألقي عثمان جثة هامدة على الأرض ، لم يسمح الثوار بمواراته ، وقال الصفدي : انهم القوه على المزبلة ثلاثة أيام (٢) مبالغة في تحقيره وتوهينه وتكلم بعض خواصه مع الامام أمير المؤمنين ليتوسط في شأنه مع الثوار في دفنه ، فكلمهم الامام فاذنوا في دفنه (٣) ويصف جولد تسهير دفنه بقوله: « وبسط جثمانه دون ان يغسل على باب فكان رأسه يقرع قرعاً ، يقابل بخطوات سريعة من حامليه ، وهم يسرعون به في ظلام الليل ، والأحجار ترشقه واللعنات تتبعـــه ودفنوه في حش كوكب (٤) ولم يرض الأنصار بمواراته في مقابر المسلمين » (٥) .

---

(١) الغدير ٩ / ٢٠٦ .

(٢) تمام المتون ( ص٧٩ ) .

(٣) حياة الامام الحسن ١ / ٢٨١ .

(٤) حش كوكب : اسم بستان لليهود كانوا يدفنون موتاهم فيه .

(٥) العقيدة والشريعة في الاسلام ( ص٤٥ ) .

وأما غلاماه اللذان قتلا معه فقد سحبوهما وألقوهما على التلال فأكلتها الكلاب (١) .

وعلى أي حال فقد كانت الثورة على عثمان ثورة اجتماعية لا تقل شأناً عن أنبل الثورات الاصلاحية التي عرفها التاريخ فقد كانت تهدف الى الحد من سلطة الحاكمين ، ومنعهم من الاستبداد بشؤون الناس ، واعادة الحياة الاسلامية الى مجراها الطبيعي .

## متارك حكومة عثمان :

وتركت حكومة عثمان كثيراً من المضاعفات السيئة التي امتحن بها المسلمون اشد الامتحان فقد اشعلت نار الفتن في جميع أنحاء البلاد ، وجرت للمسلمين الويلات والخطوب ، ونتحدث - بايجاز - عن الأحداث الكبرى التي مني بها العالم الاسلامي من جراء حكومته وهي :

١ - ان حكومة عثمان قد عمدت الى التهاون في احترام القانون ، وتجميد السلطة القضائية ، فان أفراد الأسرة الأموية قد جافوا في كثير من تصرفاتهم وسلوكهم الأحكام الدستورية ، وكان موقف عثمان معهم يتسم بالميوعة والتسامح ، فلم يتخذ معهم أي اجراء حاسم ، وانما كان مسدداً لهم ومتأولاً لأخطائهم ، كما ألمعنا الى ذلك في البحوث السابقة ، وكان من النتائج المباشرة لذلك شيوع الفوضى في السلوك ، وفساد الأخلاق والتمرد على القانون .

٢ - ان حكومة عثمان لم تتخذ الحكم وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعي ، وانما اتخذته وسيلة للاثراء والاستغلال ، والسيطرة على الشعوب

---

(١) سيرة الحلبي .

مما أهاب بكثير من الفئات أن ينظروا الى الحكم بما انه مغنم وسبب للتمتع بنعم الدنيا وخيراتها ، وقد أدى ذلك الى تهالك الجماعات والأفراد نحو الملك والسلطان فطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم لم يكونوا ينشدون أي هدف انساني أو اجتماعي في تمردهم على حكومة الامام أمير المؤمنين (ع) وانما كانوا هائمين في طلب الأمرة والخلافة ، واعقب عصيانهم بلبلة الروح الدينية ، وزعزعة الايمان في النفوس ، وانتشار الأحزاب النفعية التي حالت بين المجتمع الاسلامي وبين حكومة القرآن .

٣ ـ وخلقت حكومة عثمان طبقة ارستقراطية اشاعت الترف والبذخ وتهالكت على اللذة والمجون ، وكان من بينها الأسر القرشية التي غرقت بالأموال وحارت في صرفها في حين ان الأوساط الاجتماعية كانت تعاني الضيق والحرمان مما أدى الى ثورة المصلح الكبير أبي ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله على الرأسمالية القرشية التي جمعت بغير وجه مشروع ، ومطالبته بتأميمها ، وارجاعها الى الخزينة المركزية لتنفق على تطوير الحياة الاقتصادية وتنمية الدخل الفردي ، واذابة الفقر والحاجة في جميع القطاعات الشعبية ، حسب ما يريده الاسلام .

٤ ـ وعملت حكومة عثمان على احياء العصبية القبلية التي حاربها الاسلام فقد جهد عثمان على تقوية اسرته ، وبسط نفوذها ، وحمايتها من القانون ، ومنحها جميع أسباب القوة مما ادى الى تكتل الأسر العربية ، وشيوع النعرات الجاهلية من الافتخار بامجاد الاباء والاعتزاز بالانساب ، وغير ذلك مما سنذكره في بحوث هذا الكتاب .

٥ ـ تطلع النفعيين الى الوصول الى الحكم والاعتماد على قوة السيف من دون ان يعنى بارادة الامة يقول يوليوس فلهوزن : « فمنذ ذلك الحين صار للسيف القول الفصل في أمر رئاسة الحكومة التيوقراطية ، وفتح باب

الفتنة ، ولم ينسد بعد ذلك أبداً سداً تاماً ، ولم يمكن ذلك الحين المحافظة على وحدة ممثلة في شخص امام على رأس الجماعة إلا في الظاهر على الأكثر وبالقوة والقهر . فالحقيقة ان الجماعة قد انشقت وتفرقت شيعاً وأحزاباً كل منها يحاول أن يفرض سلطانه السياسي ، وأن يلجأ للسيف تأييداً لامامــة على الامام الحاكم بالفعل . . . » (١) .

لقد انتشرت الأطماع السياسية ، وتهالك النفعيون على الوصول الى كرسي الحكم مما ادى الى اشاعة الفتن والفوضى في جميع انحاء البلاد .

٦ ــ التطبيل بدم عثمان ، واتخاذه شعاراً للفتنة واراقة الدماء والتمرد على القانون لا من قبل الأمويين فقط وانما من قبل جميع الفئات الطامعة في الحكم كطلحة والزبير وعائشة وغيرهم من الذين ساهموا مساهمة ايجابية في الثورة على عثمان ، وقد اطلت في سبيل هذه الاطماع الرخيصة انهار من الدماء الزكية ، وشاع الثكل والحداد في ربوع الوطن الاسلامي .

هذه بعض المتارك التي خلفتها حكومة عثمان وهي ــ من دون شك ــ قد اثرت تأثيراً عميقاً في تطور الاحداث ، واتجاه المجتمع نحــو الأطماع السياسية ، وانتشار الانتهازية والوصولية بشكل فظيع مما ادى الى الصراع العنيف على الحكم ، وتحول الحكومة الدينية الى الملكية التي لا تعنى بأي حال بأمور الاسلام وتطبيق أهدافه كما باعدت ما بين المسلمين وبين أهل البيت عليهم السلام الذين نص الرسول (ص) على امامتهم ، واوصى الأمــة باتباعهم ، فقد تحطمت بشكل سافر تلك القدسية التي احاطهم بها ، واتجهت السلطات التي تلت حكومة الخلفاء الى تمزيق أوصالهم والتنكيل بهم ، ولم ترع فيهم قرابة الرسول (ص) التي هي أحق بالرعاية من كل شيء .

بقي هنا شيء وهو ان الامام الحسين (ع) كان في عهد عثمان في

---

(١) تاريخ الدولة العربية (ص٥٠ ــ ٥١) .

شرخ الشباب ، ويقول المؤرخون : انه انضم الى الجيش الاسلامي الذي اتجه الى فتح طبرستان سنة ( ٣٠ هـ ) وكان على قيادته سعيد بن العاص فابلى الجيش بلاءاً حسناً وفتح الله على يده ورجع ضافراً (١) ولم تظهر لنا بادرة اخرى عن الامام الحسين في تلك الفترة ، ولعل السبب يعود – فيما نحسب – الى ان الأسرة النبوية كانت من الجبهة المعارضة لحكومة عثمان ، وقد قامت بدور ايجابي في التنديد بسياسته ، وقد صب عثمان جام غضبه على اصحاب الامام امير المؤمنين كأبي ذر وعمار وابن مسعود فامعن في ظلمهم وارهاقهم وقد شاهد الامام الحسين ( ع ) تلك الأحداث المفزعة فاضافت الى نفسه آلاماً وعرفته بواقع المجتمع واتجاهاته .

وزعم بعض المؤرخين ان الامامين الحسن والحسين دافعا عن عثمان حينما أحاط به الثوار وقد دللنا على عدم صحة ذلك بصورة موضوعية في كتابنا ( حياة الامام الحسن ) وبهذا ينتهي بنا الحديث عن حكومة عثمان .

---

(١) الطبري ٥ / ٥٧ ، العبر ٢ / ٣٤ ، ولم يذكر صاحب الفتوحات الاسلامية انضمام الامام الحسين الى ذلك الجيش .

# عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام



وحققت الثورة على عثمان مكسباً عظيمـــاً للمسلمين ، فقضت على الأستغلال والتلاعب بمقدرات الأمة ، وقضت على الغبن والظلم الاجتماعي ودكت عروش الطغيان ، وحققت للامة أهم ما تصبو اليه من تحقيق العدل والرخاء والأمن .

لقد استهدفت الثورة القضايا المصيرية للأمة ، وكان من أهمها ترشيح الامام أمير المؤمنين لمنصب الحكم ، ويقول المؤرخون : إن الثوار وسائر القوات المسلحة قد احتفت بالامام ، وهي تهتف بحياته ، وتناديه :

« لا إمام لنا غيرك » .

لقد أيقنت الأوساط الشعبية ان الامام هو الذي يحقق آمالها وأهدافها ويعيد لها كرامتها ، وانها ستنعم في ظلال حكمه بالحرية والمساواة والعدل فأصرت على انتخابه ، وتقليده شؤون الخلافة .

## وجوم الامام :

واستقبل الامام الثوار بالوجوم وعدم الرضا بخلافتهم لعلمه بالأحداث الرهيبة التي سيواجهها إن قبل خلافتهم فان الأحزاب النفعية التي خلقتها حكومة عثمان قد تطعمت بالخيانة ، وتسربلت بالأطماع والمنافع الشخصية ، وانها ستقف في وجهه ، وتعمل جاهدة على مناجزته ، والحيلولة بينه وبين تحقيق مخططاته السياسية الهادفـــة الى تحقيق العدل والقضاء على الجور ، وهتف الامام بجماهير الشعب التي احتفت به معلناً رفضه الكامل لخلافتهم قائلاً لهم :

« لا حاجة لي في أمركم ، فمن اخترتم رضيت به . . . » .

وأي حاجة للامام في خلافتهم فهو لم ينشد مكسباً خاصاً له أو لأسرته

وإنما كان يبغي تحقيق أهداف الأمة ، واعادة الحياة الاسلامية إلى مجراها الطبيعي . . وأصرت الجماهير على انتخابه قائلة :

« ما نختار غيرك . . . » .

ولم يعن بهم الامام، وإنما أصر على الامتناع والرفض ، ولكن الثوار لم يجدوا أحداً خليقاً بادارة شؤون الأمة غير الامام الذي توفرت فيه جميع الصفات القيادية من الصلابة للحق والقدرة على تحمل المسؤولية فأصرت على فكرتها في ترشيحه للخلافة .

## مؤتمر القوات المسلحة :

وعقدت القوات العسكرية مؤتمراً خاصاً — بعـــد امتناع الامام من اجابتها — عرضت الأحداث الخطيرة التي تواجه الأمة إن بقيت بلا إمام ، وقد قررت على احضار المدنيين وتهديدهم بقوة السلاح إن لم ينتخبوا إماماً للمسلمين ، ولما حضروا قالوا لهم :

« أنتم أهل الشورى ، وانتم تعقدون الامامة ، وحكمكم جائز على الأمة فانظروا رجلاً تنصبونه ، ونحن لكم تبع ، وقد أجلناكم يومكم فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن علياً وطلحة والزبير ، وتذهب من اضحية ذلك أمة من الناس . . » (١) .

وفزع المدنيون وعلاهم الرعب ، وخيم عليهم الذعر ، فهرعوا الى الامام وهم يهتفون :

« البيعة البيعة . . . » .

« أما ترى ما نزل بالاسلام ، وما ابتلينا به من أبناء القرى ؟ » .

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٨٠ .

فاجابهم الامام مصراً على رفضه قائلاً :

« دعوني والتمسوا غيري . . » .

وأحاطهم علماً بالأحداث المذهلة التي سيواجهها إن قبل خلافتهم قائلا :

« أيها الناس إنا مستقبلون أمراً له وجوه ، وله ألوان لا تقوم به القلوب ، ولا تثبت له العقول . . » (١) .

ولم تع الجماهير قوله وانما ازدحمت عليه تنادي :

« أمير المؤمنين . . أمير المؤمنين » (٢) .

وكثر أصرار الناس عليه ، وتدافعهم نحوهم ، فصارحهم بالواقع ليكونوا على بينة من أمرهم قائلاً :

« إني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، وان تركتموني فانما أنا كأحدكم ، ألا واني من اسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه . . » .

لقد أعرب لهم انه إن تولى قيادتهم فسوف يسير فيهم بالحق والعدل فلا يحاب ولا يصانع أي انسان ، ودعاهم الى التماس غيره ، إلا انهم أصروا عليه وهتفوا :

« ما نحن بمفارقيك حتى نبايعك . . » .

وتزاحمت الجماهير عليه ، وانثالوا عليه من كل جانب وهم يطالبونه بقبول خلافتهم ، وقد وصف ( ع ) شدة إصرارهم وازدحامهم عليه بقوله :

« فما راعني إلا والناس كعرف الضبع (٣) ينثالون علي من كل

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده ١ / ١٨٢ .

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٧ .

(٣) عرف الضبع : الشعر الكثير الذي يكون على عنق الضبع يضرب به المثل في كثرة الازدحام .

جانب حتى لقد وطيء الحسنان ، وشق عطفاي (١) مجتمعين حولي كربيضة الغنم . . » (٢) .

وأجلهم الى صباح اليوم الثاني لينظر في الأمر فافترقوا على ذلك .

## قبول الامام :

ولم يجد الامام بُداً من قبول الخلافة خوفاً أن ينزو اليها علج من بني أمية ، كما كان يتحدث بذلك ، يقول (ع) :

« والله ما تقدمت عليها إلا خوفاً من أن ينزو على الأمة تيس من بني امية فيلعب بكتاب الله عز وجل . . » (٣) .

لقد دعته الضرورة والخوف على الاسلام الى قبول خلافتهم التي لا ارب له فيها سوى اقامة الحق ودحر الباطل ، فلم يكن ابن أبي طالب رائد العدالة الاجتماعية في الاسلام من عشاق الملك والسلطان ، ولا ممن يبغي الحكم لينعم في خيراته ، انه ربيب الوحي الذي اثبت في جميع أدوار حياته زهده في الدنيا ، وعزوفه عن جميع رغباتها .

## البيعة :

وازدحمت الناس في الجامع الأعظم تنتظر بفارغ الصبر لعله قد أجابهم

(١) شق عطفاي : أراد به خدش جانبيه من كثرة زحام الناس عليه للبيعة .

(٢) ربيضة الغنم : الطائفة الرابضة ، يصف جثومهم بين يديه .

(٣) أنساب الأشراف ج١ ق١ ( ١٥٧ ) .

الى ما يريدون ، وأقبل الامام تحف به البقية الطيبة من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله فقوبل بموجة من الهتافات المؤيدة له ، وقد أعلنوا عن رغبتهم الملحة في أن يتولى شؤون المسلمين ، واعتلى الامام أعواد المنبر فخاطب الجماهير قائلاً :

« أيها الناس إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من امرتم ، وقد افترقنا بالأمس وكنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم ، إلا وانه ليس لي أن أخذ درهماً دونكم فان شئتم قعدت لكم وإلا فلا أأخذ على أحد».

وألقى الامام الأضواء على سياسته المالية النيرة فهو يحتاط كأشد مايكون الاحتياط بأموال الدولة ، فلا يستأثر بأي شيء منها ، ولا ينفق درهماً على مصالحه وشؤونه الخاصة وهو يشير بذلك الى الذين تمرغوا في أموال الخزينة المركزية أيام الحكم المباد فنهبوا الأموال ، وأخذوها بغير حلها ، وانه إذا تولى شؤون المسلمين فسوف يحرمون منها ويعاملون كبقية أفراد الشعب ، ويعود المال - حسب ما يريد الله - للامة لا للحكام .

وتعالت الهتافات من جميع جنبات المسجد وهي تعلن الاصرار الكامل على انتخابه قائلين بلسان واحد :

« نحن على ما فارقناك عليه بالأمس . . . » .

وتدافعت الجماهير كالموج المتلاطم الى البيعة ، وتقدم طلحة بيده الشلاء التي سرعان ما نكث بها عهد الله فبايع فتطير منه الامام وطفق يقول :

« ما أخلقه أن ينكث » (١) .

وتوالت الجماهير تبايع الامام ، وهي انما تبايع الله ورسوله ، وبايعته القوات المسلحة من المصريين والعراقيين ، وبايعه عرب الأمصار ، وأهل

---

(١) العقد الفريد ٣ / ٩٣ .

بدر والمهاجرون والأنصار عامة (١) ولم يظفر أحد من الخلفاء بمثل هذه البيعة في شمولها واتساعها ، وعمت الأفراح والمسرات جميع المسلمين ، وقد وصف الامام مدى ابتهاج الناس وسرورهم ببيعته بقوله :

« وبلغ من سرور الناس ببيعتهم ان ابتهج بها الصغير وهدج (٢) اليها الكبير ، وتحامل نحوها العليل وحسرت اليها الكعاب » (٣) .

لقد ابتهج المسلمون بهذه البيعة التي تحقق أهدافهم ، وتحقق مايصبون اليه من العزة والكرامة ، وقد كانت بيعته يوم السبت لاحدى عشر ليلة بقيت من ذي الحجة (٤) .

وقد انبرى اعلام الصحابة فأعلنوا أمام جماهير الأمة عن تأييدهم الشامل ودعمهم الكامل لحكومة الامام ، وقد ذكرنا ذلك بصورة مفصلة في كتابنا ( حياة الامام الحسن ) كما ذكرنا فيه عرضاً للوفود التي أقبلت من أغلب مناطق العالم الاسلامي وهي تشارك المسلين فرحتهم ، وتعلن عن دعمها لبيعة الامام .

## تطهير جهاز الدولة :

وأول عمل قام به الامام فور توليته لمنصب رئاسة الدولة هو عزل ولاة عثمان الذين سخروا جهاز الحكم لمصالحهم الخاصة ، واثروا ثراءاً فاحشاً مما اختلسوه من بيوت المال ، وقد عزل معاوية بن أبي سفيان ، ويقول

(١) أنساب الاشراف ٥ / ٢٢ .

(٢) هدج : الشيخ الكبير الذي يمشي في ارتعاش .

(٣) حياة الامام الحسن ١ / ٣٧٦ ، الطبعة الثالثة .

(٤) أنساب الأشراف ج١ ق١ .

المؤرخون : إنه أشار عليه جماعة من المخلصين بابقائه في منصبه ريثما تستقر الأوضاع السياسية ثم يعزله فأبى الامام ، وأعلن أن ذلك من المداهنة في دينه وهو ممـــا لا يقره ضميره الحي الذي لا يسلك أي طريق يبعده عن الحق ولو أبقاه ساعة لكان ذلك تزكية له ، واقراراً بعدالته ، وصلاحيته للحكم . . لقد تحرج الامام أشد ما يكون التحرج في أيام حكومته فابتعد عن جميع الوان السياسة المبتنية على الخداع والتضليل .

## تأميم الأموال المختلسة :

وانطلق رائد العدالة الاسلامية يقيم في ربوع الدولة الاسلامية حكم الله ويرفع راية الحق ، وقد أصدر قراره الحاسم بتأميم الأموال المختلسة التي نهبها الحكم المباد ، وبادرت السلطة التنفيذية بوضع اليد على القطائع التي أقطعها عثمان لذوي قرباه ، والأموال التي استأثر بها عثمان ، وقد صودرت أمواله حتى سيفه ودرعـــه ، واضافها الامام الى بيت المـــال ، وقضى بذلك على تلاعب الحكام والمسؤولين بمقدرات الأمة ، وقد فزع بنو أمية كأشد ما يكون الفزع واندفعوا الى الانكار على الامام يقول الوليد بن عقبة يعاتب بني هاشم ، وينكر عليهم ذلك يقول :

بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم ... ولا تنهبوه لا تحل مناهبـــه

بني هاشم كيف الهوادة بيننـــا ... وعنـــد علي درعه ونجائبـــه

بني هاشم كيف التودد منـــكم ... وبزّ ابن أروى فيكم وحرائبه

بني هـــاشم ألا تردوا فاننـــا ... سواء علينـــا قاتلاه وسالبـــه

بني هاشم انـــا وما كان منـــكم ... كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه

قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه ... كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

وألمت هذه الأبيات بالتوتر والاحقاد التي أترعت بها نفوس الأمويين فهم يرون الامام هو الذي قام بالحركة الانقلابية التي أطاحت بحكومة عثمان وهم يطالبون الهاشميين برد سيف عثمان ودرعه وسائر ممتلكاته التي صادرتها حكومة الامام ، وقد شاع هذا الشعر وردده الأندية وحفظه الناس ، وقد رد عليه عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بأبيات منها :

فلا تسألونا سيفكم ان سيفكم أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه
وشبهته كسرى وقد كان مثله شبيهاً بكسرى هديه وضرائبه(١)

وطعن هذا الشاعر بشخصية عثمان فقد رماه بالخور وانه القى سيفه لدى الروع حينما هجم عليه الثوار ، فلم يذب به عن نفسه ، ولم يقم بأي دور في الحماية والدفاع عنه ، وانما استسلم لسيوف الثوار التي تناهبت شلوه .

## فزع القرشيين :

وفزعت القبائل القرشية وأصابها الذهول فقد أيقنت ان الامام سيصادر الأموال التي منحها لهم عثمان بغير حق ، فقد كتب عمرو بن العاص رسالة الى معاوية جاء فيها .

« ما كنت صانعاً فاصنع اذا قشرك ابن أبي طالب من كل مال تملكه كما تقشر عن العصا لحاها . . » (٢) .

لقد خافت قريش على ثرواتها ، وخافت على نفوذها ومكانتها ، فقد عرفت الامام ، وعرفت مخططاته الهادفة الى اقامة الحق ، والعدل ، وتحطيم الامتيازات الغير المشروعة ، وانه سيعاملهم كبقية أفراد الشعب فلذا أظهرت

(١) حياة الامام الحسن ١ / ٣٤٣ الطبعة الثانية .
(٢) الغدير ٨ / ٢٨٨ .

أحقادها البالغة على حكومته ، وقد وصف ابن أبي الحديد مدى فزعهم واضطرابهم بقوله :

« كأنها حاله لو أفضت الخلافة اليه يوم وفاة ابن عمه من اظهار ما في النفوس ، وهيجان ما في القلوب حتى الأحلاف من قريش ، والأحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في أسلافهم وآبائهم فعلوا ما لو كانت الاسلاف أحياءً لقصرت عن فعله .. » (١) .

لقد راح الحسد ينهش قلوب القرشيين ، والأحقاد تنخر ضمائرهم فاندفعوا الى اعلان العصيان والتمرد على حكومة الامام ، وسنذكر لذلك عرضاً في البحوث الآتية .

## إلتياع الامام :

وامتحن الامام امتحاناً عسيراً من الأسر القرشية ، وقد عانى منها أشد ألوان المحن والخطوب في جميع أدوار حياته يقول (ع) : « لقد أخافتني قريش صغيراً ، وانصبتني كبيراً ، حتى قبض الله رسوله فكانت الطامة الكبرى والله المستعان على ما تصفون » (٢) .

وتحدث (ع) في رسالته الى أخيه عقيل عن اجماعهم على حربه كما أجمعوا على حرب رسول الله (ص) يقول :

« فدع عنك قريشاً في الضلال ، وتجوالهم في الشقاق ، وجماحهم في التيه ، فانهم قد أجمعوا على حرب رسول الله (ص) قبلي فجزت قريشاً

---

(١) شرح النهج .

(٢) شرح النهج ٤ / ١٠٨ .

عني الجوازي فقد قطعوا رحمي ، وسلبوني سلطان ابن امي . . » (١) .

ولم يعن بهم الامام ، وانطلق يؤسس معالم سياسته العادلة ، ويحقق للأمة ما تصبو اليه من العدالة الاجتماعية ، وقد أجمع رأيه على أن يقابلهم بالمثل ، ويسدد لهم الضربات القاصمة ان خلعوا الطاعــة وأظهروا البغي يقول (ع) :

« مالي ولقريش لقــد قتلتهم كافرين ، ولأقتلنهم مفتونين ، والله لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته ، فقل لقريش فلتضج ضجيجها » (٢) .

لقد جهدت قريش على اطفاء نور الله ، وتدمير المثل الاسلامية ، بكل قواها في محاربة الامام والاطاحة بحكومته كما جهدت من قبل على حرب رسول الله (ص) ورد رسالة الاسلام لمصدرها .

## سياسة الامام :

لا أعرف حاكماً سياسياً أو مصلحاً اجتماعياً تبنى العدل بجميع رحابه ومفاهيمه كالامام أمير المؤمنين (ع) فقد بنى حكمه على الحق الخالص ، والعدل المحض ، وتبنى مصالح المظلومين والمضطهدين على اختلاف قومياتهم وأديانهم ، وقد أجهد نفسه وكلفها رهقاً فيما بسطه من صنوف العدل ، والمساواة ، فكان يشرف على كل بادرة في رقاع دولته ، ويتفقد جميع شؤون رعيته فكان يطيل التفكير في البؤساء والضعفاء في جميع أرجاء دولته الممتدة الأطراف ، وقد رأى أن يشاركهم في جشوبة العيش ، وخشونة اللباس ، ويبيت طاوياً ، إذ لعل بالحجاز أو اليمامة من لا عهد له بالقوت

(١) شرح النهج ١٦ / ٣٦ .

(٢) حياة الامام الحسن ١ / ٣٤١ .

ولا طمع له بالشبع ، لذلك ضيق على نفسه ، وحرم عليها جميع متع الحياة وحملها على الجهد والحرمان ، واتجه فكره النير وضميره الحي الى اسعاد الناس ، ونشر الدعة والرفاهية فيهم . . وفيما يلي عرضاً موجزاً لسياسته.

## سياسته المالية :

أما السياسة المالية التى انتهجها الامام ( ع ) فانما هي امتداد لسياسة الرسول الأعظم ( ص ) الذي عنى بتطوير الحياة الاقتصادية ، وانعاش الحياة العامة في جميع انحاء البلاد بحيث لا يبقى فقير أو بائس أو محتاج ، وذلك بتوزيع ثروات الأمة توزيعاً عادلاً على جميع القطعات الشعبية ، أما مظاهر تلك السياسة الاقتصادية الخلاقة فهي :

١ — المساواة في التوزيع والعطاء فليس لأحد على أحد فضل أو امتياز ، وانما الجميع على حد سواء ، فلا فضل للمهاجرين على الأنصار ولا لأسرة النبي ( ص ) وأزواجه على غيرهم ، ولا للعربي على غيره ، وقد طبق الامام ( ع ) هذه الجهة بصورة دقيقة وشاملة فكان — فيما أجمع عليه المؤرخون — قد ساوى بين المسلمين في العطاء ، ولم يميز قوماً على آخرين ، فقد وفدت اليه سيدة قرشية من الحجاز طالبة منه الزيادة في عطائها ، وقد التقت قبل أن تصل اليه بعجوز فارسية كانت مقيمة في الكوفة فسألتها عن عطائها فاذا به يساوي ما خصص لها ، فامسكت بها وجاءت بها اليه ، وقد رفعت عقيرتها قائلة :

« هل من العدل أن تساوي بيني وبين هذه الأمة الفارسية ؟ ! ! » .

فرمقها الامام بطرفه ، وتناول قبضة من التراب ، وجعل ينظر اليه ويقلبه بيده وهو يقول :

« لم يكن بعض هذا التراب أفضل من بعض ، وتلا قوله تعالى :
« إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقد أثارت هذه العدالة في التوزيع غضب الرأسماليين من القرشيين وغيرهم ، فأعلنوا سخطهم على الامام ، وقد خفت اليه جموع من أصحابه تطالبه بالعدول عن سياسته فاجابهم الامام :

« أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُليت عليه ، والله ما أطور به ما سمر سمير وما أمّ نجم في السماء نجماً ، لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف ، وانما المال مال الله ! ألا وان اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف ، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ، ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله . . » (١) .

لقد كان الامام يهدف في سياسته المالية الى ايجاد مجتمع لا تطغى فيه الرأسمالية ، ولا تحدث فيه الأزمات الاقتصادية ، ولا يواجه المجتمع أي حرمان أو ضيق في حياته المعاشية .

لقد أدت هذه السياسة المشرقة المستمدة من واقع الاسلام وهديه الى اجماع القوى الباغيــة على الاسلام أن تعمل جاهــدة على اشاعة الفوضى والاضطراب في البلاد مستهدفة بذلك الاطاحة بحكومة الامام . . ويرى المدائني أن من اهم الأسباب التي أدت الى تخاذل العرب عن الامام اتباعه لمبدأ المساواة حيث كان لا يفضل شريفاً على مشروف — في العطاء — ولا عربياً على عجمي (٢) لقد ورمت آناف اولئك الطغاة من سياسة الامام التي

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٢٥ / ١٠ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١ / ١٨٠ .

هدمت الحواجز ، وألغت الطبقية وساوت بين جميع أبناء المسلمين لا في العطاء فقط وانما في جميع الحقوق والواجبات .

٢ – الانفاق على تطوير الحياة الاقتصادية وانشاء المشاريع الزراعية والعمل على زيادة الانتاج الزراعي الذي كان العمود الفقرى للاقتصاد العام في تلك العصور ، وقد أكد الامام – في عهده لمالك الأشتر – على رعاية اصلاح الأرض قبل أخذ الخراج منها يقول (ع) :

« وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره الا قليلا . . » (١) .

لقد كان أهم ما يعني به الامام في سياسته الاقتصادية زيادة الدخل الفردي ، ونشر الرفاهية والرخاء بصورة شاملة في جميع انحاء العالم الاسلامي وقد حفلت رسائله الى ولاته بالاهتمام في هذه الجهة ، فقد أكد عليهم لزوم الانفاق على تطوير الاقتصاد العام حتى لا يبقى أي شبح للفقر والحرمان في البلاد .

٣ – عدم الاستئثار بأي شيء من أموال الدولة ، فقد تحرج الامام فيها كأشد ما يكون التحرج ، وقد اثبتت المصادر الاسلامية بوادر كثيرة من احتياطه البالغ فيها فقد وفد عليه أخوه عقيل طالباً منه أن يمنحه الصلة ويرفه عليه حياته المعاشية فأخبره الامام ان ما في بيت المال للمسلمين ، وليس له أن يأخذ منه قليلاً ولا كثيراً ، واذا منحه شيء فانه يكون مختلساً فلم يفقه عقيل ذلك وأخذ يلح عليه ويجهد في مطالبته فأحمى له الامام (ع) حديدة وأدناها منه وكاد ان يحترق من ميسمها ، وضج ضجيج ذي

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٣ / ١٠٦ .

دنف ، فلما أفاق أجمع رأيه على الالتحاق بمعاوية لينعم بصلاته وهباته التي يختلسها من أموال المسلمين .

لقد أجمع المؤرخون على أن الامام قد أجهد نفسه وأرهقها من أمره عسراً فلم ينعم هو ولا أهل بيته من خيرات الدولة ، ولم يصطف منها أي شيء ، وقد نفر منه ذوو الأطماع ، ووراح يوصي بعضهم بعضاً في الابتعاد عن الامام يقول خالد بن معمر الأوسي لعلباء بن الهيثم : وكان من أصحاب علي :

« اتق الله يا علباء في عشيرتك ، وانظر لنفسك ولرحمك ماذا تؤمل عند رجل اردته على ان يزيد في عطاء الحسن والحسين دريهمات يسيرة ريثما يرأبان بها ظلف عيشهما فأبى وغضب ، فلم يفعل . . . » (١) .

ان الانسانية على ما جربت من تجارب وبلغت من رقي وابداع في الأنظمة الاقتصادية فانها بأي حال لم تستطع أن تنشأ مثل هذا النظام الاقتصادي الذي انتهجه الامام فانه يرتبط بواقع الحياة ، ولا يشذ عن سننها ، وهو يهدف قبل كل شيء الى عدالة التوزيع وبسط الرفاهية على الجميع ، والقضاء على الحاجة والحرمان .

وعلى أي حال فان السياسة الاقتصادية الخلاقة التي تبناها الامام قد ثقلت على القوى المنحرفة عن الاسلام فانصرفوا عن الامام وأهل بيته والتحقوا بالمعسكر الأموي الذي يضمن لهم الاستغلال والنهب وسلب قوت الشعب والتلاعب باقتصاد البلاد . . وقد كان قادة الجيش الذي خف لحرب ريحانة رسول الله ( ص ) من ذوي الثروات الطائلة كعمرو بن حريث (٢) وشبث بن ربعي وحجار بن ابجر وغيرهم ممن منحتهم الحكومة

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ / ٢٥٠ .

(٢) الطبري ١ / ٥ / ٢٦٠٠ ، وجاء فيه ان عمرو بن حريث كان أكثر أهل الكوفة مالاً .

الأموية الثراء العريض فاندفعوا الى حرب الامام حفظاً على مصالحهم الشخصية وابقاءاً على ثرواتهم التي تكونت بغير وجه مشروع ، فقد أيقنوا أن الامام الحسين ( ع ) اذا استتب له الأمر فانه لا يشذ عن منهج أبيه وسياسته ، وانهم سيفقدون المنح والهبات التي تغدقهـــا عليهم الحكومة الأموية ، وسنذكر ذلك مشفوعاً بالتفصيل في البحوث الآتية ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن سياسته المالية .

## سياسته الداخلية :

واجهد الامام ( ع ) نفسه على أن يحقق بين الناس العدل الاجتماعي والعدل السياسي ويحملهم على الطريق الواضح الذي لا التواء فيه ، ويسير فيهم بسياسة رسول الله ( ص ) الهادفة الى تطبيق العدل ، وبسط الحق بين القريب والبعيد ، بحيث لا يسمع أنين لمظلوم أو محروم ، ولا يعد ظل للحاجة والبؤس حسبما يريده الله في الأرض لقد عنى الامام ( ع ) بازالة جميع أسباب التخلف والانحطاط ، وتحقيق حياة كريمة يجد فيها الانسان جميع متطلبات حياته من الدعة والأمن والرخاء والاستقرار ، ونلمع فيما يلي الى بعض مظاهرها :

## المساواة :

اما المساواة بين الناس فهي من العناصر الذاتية في سياسة الامام (ع) وقد تبناها في جميع أدوار حكومته ، ورفع شعارها عالياً حتى عرف برائد العدل والمساواة في الأرض ، أما مظاهرها فهي :

١ ـ المساواة في الحقوق والواجبات .
٢ ـ المساواة في العطاء .
٣ ـ المساواة أمام القانون .

وقد الزم الامام عماله وولاته بتطبيق المساواة بين الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم يقول ( ع ) في بعض رسائله الى عماله :

« واخفض للرعية جناحك ، وابسط لهم وجهك ، وألن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة ، والاشارة والتحية ، حتى لا يطمع العظماء في حيفك ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك . . » (١) .

ولم تقنن في أي دين أو مذهب اجتماعي مثل هذه المساواة المشرقة التي تنشد كرامة الانسان وعزته ، وتؤلف ما بين المشاعر والعواطف ، وتجمع الناس على صعيد من المحبة والاخاء .

## الحرية :

أما الحرية عند الامام فهي من الحقوق الذاتية لكل انسان ، ويجب أن تتوفر للجميع ، شريطة أن لا تستغل في الاعتداء والاضرار بالناس . وكان من أبرز معالمها هي :

الحرية السياسية :

ونعني بها أن تتاح للناس الحرية التامة في اعتناق أي مذهب سياسي دون أن تفرض عليهم السلطة رأيا معاكساً لما يذهبون اليه ، وقد منح الامام هذه الحرية بأرحب مفاهيمها للناس ، وقد منحها لأعدائه وخصومه الذين تخلفوا عن بيعته كسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وحسان بن

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٢ / ١٠ .

ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن مخلد ، وأبي سعيد الخدري (١) وأمثالهم من أنصار الحكم المباد الذين كان يغدق عليهم عثمان بصلاته وهباته فلم يجبرهم الامام ، ولم يتخذ معهم أي اجراء حاسم كما اتخــذه أبو بكر ضده حينما تخلف عن بيعته .

كان الامام يرى أن الناس أحرار ، ويجب على الدولة أن توفر لهم حريتهم ما دام لم يخلوا بالأمن ، ولم يعلنوا التمرد والخروج على الحكم القائم وقد منح ( ع ) الحرية للخوارج ولم يحرمهم عطاءهم مع العلم أنهم كانوا يشكلون أقوى حزب معارض لحكومته ، فلما سعوا في الأرض فساداً ، واذاعوا الذعر والخوف بين الناس انبرى الى قتالهم حفظاً على النظام العام وحفظاً على سلامة المواطنين ، ويتفرع على هذه السياسة ما يلي :

١ ـ حرية القول :

ومن مظاهر الحرية الواسعة التي منحها الامام للناس حرية القول ، وان كان في غير صالح الدولة ما لم يتعقبه فساد فالعقاب يكون عليه ، فقد روى المؤرخون أن أبا خليفة الطائي لما رجع من النهروان التقى مع جماعة من اخوانه ، وكان فيهم أبو العيزار الطائي ، وكان من الخوارج فقال لعدي بن حاتم :

ـ يا أبا طريف أغانم سالم أم ظالم آثم ؟

ـ بل غانم سالم .

ـ الحكم ذاك اليك .

وأوجس منه خيفة الأسود بن زيد والأسود بن قيس فالقيا القبض عليه وجاءا به مخفوراً الى الامام ، ونقلا له حديثه المنطوي على الشر والتمرد فقال ( ع ) لهما :

(١) حياة الامام الحسن ٢ / ٣٨٣ .

- ما اصنع ؟
- تقتله .
- أقتل من لا يخرج علي ؟
- تحبسه .
- ليست له جناية ، خليا سبيل الرجل (١) .

ولم تمنح مثل هذه الحرية للمواطنين في جميع المذاهب الاجتماعية ، فلم يحاسب الامام الناس على ما يقولون ، وانما تركهم وشأنهم لهم حرية القول والفكر ، ولم يفرض عليهم رقابة تحول بينهم وبين حرياتهم .

٢ - حرية النقد :

وكان من مظاهر الحرية السياسية التي منحها الامام للناس هي حرية النقد للحكم ، وعدم التعرض للناقدين بسوء أو مكروه ، يقول المؤرخون : انه كان يقرأ في صلاته وخلفه جماعة من اصحابه فقرأ أحدهم معارضاً لقراءته « إن الحكم الا لله يقضي الحق وهو خير الفاصلين » فرد عليه الامام معارضاً « فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » (١) ولم يتخذ معه أي اجراء وانما عفا عنه وخلى عن سبيله ، لقد كان يرى للناس الحق في الحرية الواسعة ، فلم يفرض على أحد امراً ، ولم يستكره أحداً على الطاعة ، ولم يرغم الناس على ما لا يحبون .

هذه بعض مظاهر الحرية التي أعطاها الامام للناس في أيام حكمه ، وقد حققت العدل الاجتماعي والعدل السياسي بين الناس .

## العدل الشامل :

وكان العدل الشامل هو الشعار الذي رفعه الامام عالياً وتبناه في جميع

---

(١) شرح النهج ٣ / ٧٣ .

أدوار حكومته ، فقد جهد نفسه على اقامة العدل ورفـــع مناره ، وكان – فيما يقول المؤرخون – أول حاكم في الاسلام بنى بيتاً للمظالم يضع فيه المظلومون والمعتدى عليهم رقاعاً يذكرون فيهـــا ما أصابهم من اعتداء أو مكروه ، وكان بنفسه يتولى الاشراف عليها ، فيأخذ لهم بحقهم ، ويدفع عنهم غائلة ما أصابهم من أذى أو مكروه (١) .

لقد عنى الامام عناية بالغة ببسط العدل ونشره بين الناس ، وكان – فيما أجمع عليه المؤرخون – قد وجه جميع أجهزة حكومته للقضاء على الظلم وتدمير أصوله ومحو اثره ، وقد قال (ع) : « الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له ، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه » وقد عزل أحد ولاته حينما أخبرته سودة بنت عمارة بانه قد جار في حكمه ، فجعل الامام يبكي ويقول بحرارة :

« اللهم أنت الشاهد علي وعليهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا بترك حقك . . . » .

ثم عزله في الوقت (٢) ونقل المؤرخون بوادر كثيرة من صور عدله بين الناس بما لم يشاهد له مثيل في جميع أدوار التاريخ .

## وحدة الأمة :

وجهد الامام كأكثر ما يكون الجهد والعناء على العمل على توحيد صفوف الأمة ونشر الألفة والمحبة بين أبنائها ، واعتبر الألفـــة الاسلامية من نعم الله الكبرى على هذه الأمة يقول (ع) : « ان الله سبحانه قد

---

(١) صبح الاعشى .

(٢) العقد الفريد ١ / ٢١١ .

امتن على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة التي ينتقلون في ظلها ويأوون الى كنفها ، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة لأنها أرجح من كل ثمن ، وأجل من كل خطر » (١) .

وناهض كل من يدعو الى التفرقة وتصديع الشمل ، وأمر بأن يعلى وجهه بالسيف – على حد تعبيره – وقاوم العصبية التي هي من أسباب التفرقة والبغضاء بين الناس ، ودعا الى التعصب لمكارم الأخلاق يقول (ع): « فان كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ، ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ، ويعاسيب القبائل ، بالأخلاق الرغيبة ، والأحلام العظيمة ، والأخطار الجليلة والآثار المحمودة . فتعصبوا لخلال الحمد ، من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام ، والطاعة للبر ، والمعصية للكبر ، والأخذ بالفضل ، والكف عن البغي ، والاعظام للقتل ، والانصاف للخلق ، والكظم للغيظ ، واجتناب الفساد في الأرض » (٢) .

لقد عنى الامام بوحدة الأمة ، وتبنى جميع الأسباب التي تؤدي الى تماسكها واجتماع كلمتها ، وقد حافظ على هذه الوحدة في جميع أدوار حياته فقد ترك حقه وسالم الخلفاء صيانة للامة من الفرقة والاختلاف .

## التربية والتعليم :

ولم يعهد عن أحد من الخلفاء أنه عنى بالناحية التربوية أو بشؤون التعليم ، كالامام امير المؤمنين وانما عنوا بالشؤون العسكرية ، وعمليات الحروب

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٢ / ١٨٠ .

(٢) نهج البلاغة ٢ / ١٧٥ .

وتوسيع رقعة الدولة الاسلامية ، وبسط نفوذها على أنحاء العالم ، ومن ثمّ كانت حقول التربية الدينية ضعيفة للغاية الأمر الذي أدى الى انتشار القلق الديني ، وقلة الوعي الاسلامي ، وكان من نتائجه ظهور الحركات الالحادية والمبادىء الهدامة في العصر الأموي والعباسي ، كما كان من نتائجه شيوع الخلاعة والمجون في كثير من انحاء البــلاد ، أما بيوت الخلفاء والوزراء فكانت من مراكز اللهو والدعارة والتفسخ .

وقد أولى الامام أمير المؤمنين ( ع ) المزيد من اهتمامه بهذه الناحية فاتخذ جامع الكوفة معهداً يلقي فيه محاظراته الدينيــة والتوجيهية ، وكان يشغل أكثر أوقاته بالدعوة الى الله ، واظهار فلسفة التوحيد ، وبث الآداب والأخلاق الاسلامية ، مستهدفاً من ذلك نشر الوعي الديني ، وخلق جيل يؤمن بالله ايماناً عقائدياً لا تقليدياً ، وكانت مواعظه تهز أعماق النفوس خوفاً ورهبة من الله ، وقد تربى في مدرسته جماعة من خيــار المسلمين وصلحائهم أمثال حجر بن عدي ، وميثم التمار ، وكميل بن زياد وغيرهم من رجال التقوى والصلاح في الاسلام .

وكانت وصاياه الى ولديه الحسن والحسين ( ع ) وسائر تعاليمه من أهم الأسس التربوية في الاسلام ، فقد قننت أصول التربية ، ووضعت مناهجها على أسس تجريبية كانت من أثمن ما يملكه المسلمون في هذا المجال .

أما التعليم فقد كان الامام ( ع ) هو المعلم والباعث للروح العلمية ، فهو الذي فتق أبواب العلوم في الاسلام كعلم الفلسفة والكلام ، والتفسير والفقه والنحو وغيرها من العلوم التي تربو على ثلاثين علماً ، وإليه تستند ازدهار الحركة العلمية في العصور الذهبية في الاسلام حسب ما نص عليه المحققون .

لقد كان الامام المؤسس الأعلى للعلوم والمعارف في دنيا الأسلام ،

وقد بذل جميع جهوده على اشاعة العلم ونشر الآداب والثقافة بين المسلمين وكان دوماً يذيع بين أصحابه قوله :

« سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن طرق السماء فاني أبصر بها من طرق الأرض » .

ومن المؤسف والمحزن — حقاً — أنهم لم يستغلوا وجود هذا العملاق العظيم ، فيسألوا منه عن حقيقة الفضاء والمجرات التي تسبح فيه ، وغيرها من أسرار الطبيعة التي استمد معارفها من الرسول الأعظم ( ص ) لم يسألوا عن أي شيء من ذلك ، وانما راحوا يهزؤن ، وقد قال بعضهم بسخرية .

« كم طاقة في رأسي من شعر ؟ » .

لقد عاش الامام غريباً في وسط ذلك المحيط الجاهل الذي لم يع أي شيء من أهدافه ومثله ، ولم يعرف حق قيمته ، ولم يثمن عبقرياته ومواهبه .

وعلى أي حال فان الامام أقام حكومته على تطوير الحياة الفكرية والعلمية ، وبث المعارف والآداب بين جميع الأوساط .

## ولاته وعماله :

وأحتاط الامام أشد ما يكون الاحتياط في الولاة والعمال ، فلم يستعمل أحداً على قطر من الاقطار الاسلامية أو يعهد اليه بعمل إلا بعد إحراز الثقة بدينه والكفاءة بقدراته الادارية ، ولم يستعمل أحداً محاباة أو أثرة وانما استعمل خيار المسلمين وصلحاءهم أمثال مالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر وسهل بن حنيف وحبر الأمة عبد الله بن عباس ونظرائهم من الذين توفرت فيهم الخبرة التامة في شؤون الحكم والادارة ، وقد زودهم برسائل مهمة عرض فيها لشؤون الحكم وسياسة الدولة ، كما حددت من صلاحياتهم ومسؤولياتهم ، وكان من أروع تلك الوثائق السياسية عهده لمالك الاشتر

فقد حفل بتشريع ضخم لاصلاح الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وهو أرقى وثيقة سياسية تهدف الى ارتقاء المجتمع ، وتحقيق مصالحه ، ولولا الخروج عن الموضوع لوضعنا بنوده موضع التحليل .

## مراقبة الولاة :

وكان — فيما أجمع عليه المؤرخون — يتفقد شؤون ولاتــه وعماله ، ويرسل العيون لتحري أعمالهم فان رأى منهم خيانة أو تقصيراً في واجبات أحدمنهم عزله وأنزل به أقصى العقوبات ، وقد بلغه ان ابن هرمة قد خان سوق الأهواز فكتب الى عامله : « اذا قرأت كتابي فنح ابن هرمة عن السوق وأوقفه للناس ، واسجنه وناد عليه ، واكتب الى أهل عملك تعلمهم رأيي فيه ، ولا تأخذك فيه غفلة ولا تفريط فتهلك عند الله ، وأعزلك أخبث عزلة — واعيذك منه — فاذا كان يوم الجمعة فاخرجه من السجن ، واضربه خمسة وثلاثين سوطاً ، وطف به الى الأسواق ، فمن أتى عليه بشاهد فحلفه مع شاهده ، وادفع إليه من مكسبه ما شهد به عليه ، ومر به الى السجن مهاناً مقبوحاً منبوحاً » (١) .

انها صرامة العدل التي تحسم الخيانة ، وتقضي على الرشوة ، ولا تدع أي مجال للسرقة من الشعب . . . وقد تحرى كل بادرة تصدر من ولاته وقد بلغه أن عامله على البصرة قد دعي الى وليمة قوم من أهلها ، فكتب اليه يلومه على ذلك ، وقد جاء في رسالته :

« أما بعد : يابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعت اليها تستطاب لك الألوان ، وتنقل اليك الجنان، وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو ، وغنيهم مدعو ، فانظر

(١) البحار ١٦ / ٢٦ .

الى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه » (١) .

ان الانسانية على ما جربت من تجارب وبلغت من رقي وابداع في أنظمة الحكم والادارة فانها لم تستطع أن تنشأ مثل هذا النظام الذي يدعو الموظف الى الترفع ورفض كل دعوة توجه إليه خوفاً من تركه للحق واستجابته لدواعي الخيانة والغرور .

## اقصاء الانتهازيين :

ولم يقرب الإمام أحداً من الإنتهازيين الذين لا يخلصون للحق ، وانما يسعون وراء اطماعهم ومصالحهم ، ولا يفقهون المصالح العامة فانهم عون للسلطة على الباطل لا على العدل ، وكان المجتمع الكوفي يضم طائفة كبيرة منهم كالأشعث بن قيس ، وعمرو بن حريث ، وشبث بن ربعي وأمثالهم من الذين ضربت مصالحهم في عهد الامام ، فاتصلوا بحكومة دمشق ، وقاموا بدور العالة لها ، فراحوا يعقدون المؤامرات لافساد جيش الامام وشعبه مستهدفين من ذلك الاطاحة بحكومته . . وقد كانوا — فيما يقول المؤرخون — قادة الجيش الذي اقترف أبشع جريمة في التاريخ ، وهي قتل سيد الشهداء فقد أيقنوا انه اذا استتب له الأمر فانه سيدمر مصالحهم فان سياسته انما هي امتداد لسياسة أبيه التي لا ظل فيها للخونة والمجرمين .

## ابعاد الطامعين :

ويرى الامام ان الامارة وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعي لايجوز

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٣ / ٧٨ .

أن تمنح إلا للمتحرجين في دينهم الذين لا يخضعون للرغبات والأهواء ، ويجب ان تستغل لتحقيق ما ينفع الناس ، فلا يجوز ان تمنح اثرة أو محاباة يقول ( ع ) في رسالته لقاضيه رفاعة بن شداد :

« واعلم يا رفاعة ان هذه الامارة أمانة فمن جعلها خيانة فعليه لعنة الله الى يوم القيامة ومن استعمل خائناً فان محمداً ( ص ) بريء منه في الدنيا والآخرة » (١) .

وكان ( ع ) اذا شعر من أحد أن له ميلاً أو هوى في الامارة فلا يرشحه لها لأنه يتخذ الحكم وسيلة لتحقيق مآربه وأطماعه ، ولما أعلن طلحة والزبير عن رغبتهما الملحة في الولاية امتنع عن اجابتهما ، واستدعى عبد الله بن عباس فقال له :

— بلغك قول الرجلين — يعني طلحة والزبير — .

— نعم أرى انهما احبا الولاية فول البصرة الزبير ، وول طلحة الكوفة.

فانكر عليه الامام رأيه ، وقال له :

« ويحك ! ! إن العراقين — أي البصرة والكوفة — بها الرجال والأموال ، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ، ويضربا الضعيف بالبلاء ، ويقويا على القوي بالسلطان ، ولو كنت مستعملاً أحداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ولولا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية لكان لي فيها رأي . . » (٢) .

من أجل هذه النقاط الحساسة امتنع أن يوليها على العراقين . . ان الامارة وسائر المناصب في جهاز الدولة لا يجوز عند الامام ان تمنح إلا

---

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ٥ / ٣٣ .

(٢) الامامة والسياسة ١ / ٥٢ .

للذوات الزكية التي تعمل لصالح الأمة ولا تتخذ الحكم مغنماً وسلماً للثراء وسائر المنافع الشخصية .

## الصراحة والصدق :

والشيء البارز في سياسة الامام أمير المؤمنين ( ع ) هو التزام الصراحة والصدق في جميع شؤونه السياسية فلم يوارب ، ولم يخادع ، وانما سلك الطريق الواضح الذي لا التواء فيه وسار على منهاج ابن عمه رسول الله ( ص ) ولزم سمته وهديه ، ومضى على طريقته ، وواكب جميع خطواته ، ولو أنه التزم بالأعراف السياسية التي تبيح وسائل الغدر والنفاق في سبيل الوصول الى الحكم لما آلت الخلافة الى عثمان ، فقد ألح عليه عبد الرحمان بن عوف أن يبايعه شريطة أن يسير على سيرة الشيخين فامتنع من اجابتــه وصارحه أنه يسوس الأمة على ضوء كتاب الله الذي وعاه ، وعلى ضوء سنة الرسول صلى الله عليه وآله وليس غيرهما رصيد يعتمد عليه في عالم التشريع والسياسة في الاسلام ، ويقول ( ع ) :

« لو لا ان المكر والخداع في النار لكنت أمكر الناس » .

لقد أبى ضميره الحي المترع بتقوى الله وطاعتــه ان يخادع أو يمكر في سبيل الوصول الى الحكم الذي كان من أزهد الناس فيه ، وكان كثيراً ما يتنفس الصعداء من الآلام المرهقة التي كان يعانيها من خصومه وهو يقول :

« واويلاه ، يمكرون بي ، ويعلمون أني بمكرهم عالم ، واعرف منهم بوجوه المكر ، ولكني أعلم ان المكر والخديعة في النار فاصبر على مكرهم ولا ارتكب مثل ما ارتكبوا . . » (١) .

---

(١) جامع السعادات ١ / ٢٠٢ .

وأنكر على من قال فيه : إنه لا دراية له بالشؤون السياسية ، وان معاوية خبير بها ، فقال ( ع ) :

« والله ما معاوية بأدهى مني ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس » (١) .

وتحدث عليه السلام عن الوسائل المنكرة التي يعتمد عليها بعض الناس في سبيل الوصول الى أهدافهم من الغدر وما شاكله من المكر والنفاق ، وأنكر على الذين يبررون هذه الوسائل ويصفونها بحسن الحيلة فقال ( ع ) :

« ولا يغدر من علم كيف المرجع ، ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً ، ونسبهم أهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ، ما لهم قاتلهم الله !! قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها ، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين . . . » .

على هذا الخلق بنى الامام سياسته التي أضاءت في دنيـــا الاسلام ، وكانت السبب في خلوده ، واعتزاز الانسانية به في جميع الأجيال والآباد .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض المثل العليا في سياسة الامام ، وهي — من دون شك — تنشد الأهداف الأصيلة التي رفع شعارها الاسلام ، ولكن لم يفقها ذلك الجيل الذي تعود على الاثرة ، وتعود على الاستغلال فلذلك لم يكتب لها النجاح .

## مع الامام الحسين :

وامتزجت عواطف الامام أمير المؤمنين بعواطف ولـــده الحسين ،

---

(١) نهج البلاغة ٢٠ / ٢٠٦ .

وتفاعلت روحه مع روحه حتى صار صورة فذة عنه تحكي واقعه وهديه .

لقد أفاض الامام جميع ذاتياته في نفس ولده الحسين ، ومنحه حبه واخلاصه ، وزوده بأروع حكمه وآدابه ، وقد بلغ من عظيم حبه أنه لم يسمح له بالدخول في عمليـــات الحروب أيام صفين كما لم يسمح لأخيه الحسن بذلك لئلا ينقطع بموتهما نسل رسول الله (ص) ، وقد انطبعت مثل الامام وسائر اتجاهاته الفكرية في نفس الحسين فكان كأبيه في ثورته على الظلم والباطل ، ومناهضته للبغي والجور ؛ وتفانيه في سبيل الحق والعدل وتبنيه لجميع وسائل الاصلاح والخير .

لقد كان كأبيه في بسالته وصموده ، وعزة نفسه ، وأبائه ، وشممه وقد اعترف بهذه الظاهرة اعداؤه يوم الطف فانهم لما عرضوا عليه الاستسلام لابن مرجانة ، والخضوع لإرادته ، قال بعضهم : إنه لا يستجيب لكم فان نفس أبيه بين جنبيه ، لقد كانت نفس أبيه عملاق هذه الأمة ورائدها الأعلى الى العزة والكرامة ماثلة بجميع مظاهرها ومقوماتها في نفس الامام الحسين حتى كأنه لم يعد هناك تعدد في الوجود بين الأب وولده ، فكانا معاً من ألمع من تعتز بهما الانسانية في جميع الأجيال .

## إخبار الامام بمقتل الحسين :

واشاع الامام بين الناس مقتل ولده الحسين ، كما أشاع ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أدلى الامام بذلك في كثير من المناسبات ، وهذه بعضهـــا :

١ – روى عبد الله بن يحيى (١) عن ابيه انه سافر مع علي الى

(١) وفي الطبراني روى عبد الله بن نجي .

صفين ، وكان صاحب مطهرته ، فلما حاذوا نينوى ، تأثر الامام ، ورفع صوته قائلاً :

« صبراً أبا عبد الله ، صبراً أبا عبد الله ، بشط الفرات ! » .

فذهل يحيى ، وانبرى يقول : « من ذا أبو عبد الله ؟ » .

فاجابه الامام وقلبه يتقطع ألماً وحزناً قائلاً :

« دخلت على رسول الله (ص) وعيناه تفيضان ، فقلت يا نبي الله اغضبك أحد ؟ ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال : قام من عندي جبرئيل فحدثني ان الحسين يقتل بشط الفرات ، وقال : هل لك أن أشمك من تربته ؟ قال : قلت : نعم فقبض قبضة فاعطانيها ، فلم أملك عيني أن فاضتا » (1) .

٢ ـ حدث هرثمة بن سليم قال : غزونا مع علي بن أبي طالب غزوة صفين ، فلما نزلنا بكربلا صلى بنا صلاة ، فلما سلم رُفع إليه من تربتها فشمها ثم قال :

« واهاً لك أيتها التربة ، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب » .

وبهر هرثمة . وظل حديث الامام يراوده في كل فترة ، وكان منكراً له فلما رجع الى زوجته جرداء بنت سمير ، وكانت شيعة لعلي حدثها بما سمعه من الامام ، فقالت له :

« دعنا منك أيها الرجل فان أمير المؤمنين لم يقل إلا حقاً » .

ولم تمض الأيام حتى بعث ابن زياد بجيوشه لحرب ريحانة رسول الله وكان فيهم هرثمة فلما انتهى الى كربلا ورأى الحسين واصحابه تذكر قول الامام أمير المؤمنين فكره حربه ، وأقبل على الامام الحسين ، وأخبره بما

---

(1) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٥٧ ـ ٥٨ ، المعجم الكبير للطبراني رواه في ترجمته للامام الحسين .

سمعه من أبيه ، فقال له الامام :

– معنا أنت أو علينا ؟

– لا معك ، ولا عليك ، تركت أهلي وولدي ، وأخاف عليهم من ابن زياد .

فنصحه الامام ، وقال له :

« ول هارباً حتى لا ترى لنا مقتلا ، فوالذي نفس محمد بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل ، ولا يغيثنا إلا أدخله الله النار . . . » .

وانهزم هرثمة من كربلا ولم يشهد مقتل الامام الحسين (١) .

٣ – وروى أبو جعفة قال : جاء عروة البارقي الى سعيد بن وهب فسأله وأنا أسمع ، فقال : حديث حدثتنيه عن علي بن أبي طالب قال : نعم ، بعثني مخنف بن سليم الى علي فاتيته بكربلا فوجدته يشير بيده ويقول :

« هاهنا ، هاهنا » .

فبدر اليه رجل فقال له :

« ما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ » .

قال (ع) : « ثقل لآل محمد ينزل هاهنا فويل لهم منكم ، وويل لكم منهم » .

ولم يعرف الرجل معنى كلامه ، فقال :

« ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟ ! ! » .

فقال ( ع ) : « ويل لهم منكم تقتلونهم ، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار » (٢) .

٤ – روى الحسن بن كثير عن أبيه أن علياً اتى كربلاء فوقف بها فقيل له :

---

(١) وقعة صفين ( ص١٥٧ ) نهج البلاغة ٣ / ١٧٠ .

(٢) وقعة صفين ( ص١٥٨ ) .

« يا أمير المؤمنين هذه كربلاء » .

فاجاب والألم يحز في نفسه قائلاً : « ذات كرب وبلاء ، ثم أومأ بيده الى مكان فقال : هاهنا موضع رحالهم ومناخ ركابهم ، وأومأ بيده الى موضع آخر فقال : هاهنا مهراق دمائهم » (١) .

٥ - روى أبو هريمة قال : كنت مع علي بنهر كربلا فمر بشجرة تحتها بعر غزلان فأخذ من التراب قبضة فشمها ، ثم قال : « يحشر من هذا الظهر سبعون الفاً يدخلون الجنة بغير حساب » (٢) .

٦ - روى أبو خيرة قال : صحبت علياً حتى أتى الكوفة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

- كيف أنتم إذا نزل بذرية نبيكم بين ظهرانيكم ؟

- إذاً نبلي الله فيهم بلاءاً حسناً .

فاجابهم الامام :

« والذي نفسي بيده لينزلن بين ظهرانيكم ، ولتخرجن اليهم فلتقتلنهم ثم أقبل يقول :

هم أوردوه بالغرور وغردوا    اجيبوا دعاه لا نجاة ولا عذرا (٣)

٧ - روى الطبراني بسنده عن علي انه قال : « ليقتلن الحسين ، واني لأعرف التربة التي يقتل فيها بين النهرين » (٤) .

٨ - روى ثابت عن سويد بن غفلة أن علياً (ع) خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره ، فقال :

---

(١) وقعة صفين ( ص١٥٨ ) ، نهج البلاغة ٣ / ١٦٩ .

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٩١ .

(٣) مجمع الزوائد ٩ / ١٩١ معجم الكبير للطبراني .

(٤) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٠ معجم الكبير للطبراني .

يا أمير المؤمنين إني مررت بوادي القرى ، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات ، فاستغفر له فقال (ع) :

« والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة ، صاحب لوائه حبيب بن حمار » .

فقام اليه رجل ورفع عقيرته قائلاً :

« يا أمير المؤمنين ، أنا حبيب بن حمار ، واني لك شيعة ومحب » .

فقال الامام :

« أنت حبيب بن حمار ؟ » .

« نعم » .

وكرر الامام قوله : « أنت حبيب » وهو يقول : نعم ، فقال (ع) :

« اي والله إنك لحاملها ، ولتحملنها ، ولتدخلن من هذا الباب — واشار الى باب الفيل بمسجد الكوفة — . . . » .

قال ثابت : والله مامت حتى رأيت ابن زياد ، وقد بعث عمر بن سعد الى الحسين بن علي ، وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته ، وحبيب ابن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل (١) .

٩ — وخطب الامام أمير المؤمنين فكان من جملة خطابه : « سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة ، أو تهدي مائة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها ، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله ، وجميع شأنه » فانبرى إليه الوغد الخبيث تميم بن اسامة التميمي فقال ساخراً ومستهزءاً :

« كم في رأسي طاقة شعر ؟ . . » .

فرمقه الامام بطرفه وقال له :

---

(١) شرح النهج ٢ / ٢٨٦ .

« أما والله إني لأعلم ذلك ، ولكن أين برهانه لو اخبرتك به : ولقد اخبرتك بقيامك ومقالك ، وقيل لي : إن على كل شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك ، وشيطاناً يستفزك ، وآية ذلك أن في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله ( ص ) ، ويحض على قتله . . . » .

يقول ابن أبي الحديد : « فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام كان ابنه حصين – بالصاد المهملة – يومئذ طفلاً صغيراً يرضع اللبن ، ثم عاش الى ان صار على شرطة عبيد الله بن زياد ، وأخرجه عبيد الله الى عمرو بن سعد يأمره بمناجزة الحسين ويتوعده على لسانه إن أرجأ ذلك ، فقتل ( ع ) صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته » (١) .

١٠ – قال ( ع ) للبراء بن عازب : « يا براء أيقتل الحسين وأنت حي فلا تنصره ؟ ! » فقال البراء : لا كان ذلك يا أمير المؤمنين ، ولما قتل الحسين ندم البراء وتذكر مقالـة الامام أمير المؤمنين فكان يقول : « إعظم بها حسرة إذ لم أشهده وأقتل دونه » (٢) .

١١ – قال أمير المؤمنين : « كأني بالقصور وقد شيدت حول قبر الحسين ( ع ) وكأني بالأسواق وقد حفت حول قبره ، ولا تذهب الأيام والليالي حتى يسار اليه من الآفاق ، وذلك بعد انقطاع بني مروان » (٣) .

وتحقق ما أخبر به الامام أمير المؤمنين ( ع ) الذي هو باب مدينة علم النبي ( ص ) ومستودع أسراره وحكمته ، فانه لم تكد تنقرض الدولة الأموية حتى ظهر مرقد ريحانة رسول الله ( ص ) وأصبح حرم الله الأكبر الذي تهفو اليه قلوب المؤمنين ، وتتلهف على زيارته ملايين المسلمين ، وتشد

---

(١) شرح النهج ١٠ / ١٤ .

(٢) شرح النهج ١٠ / ١٥ .

(٣) مسند الامام زيد ( ص٤٧ ) .

اليه الرحال من كل فج عميق ، فالسعيد السعيد الذي يحضى بالتبرك بزيارته ويلثم أعتاب مرقده .

لقد أصبح مرقده العظيم عند المسلمين وغيرهم رمزاً للكرامة الانسانية ومناراً مشرقاً لكل تضحية تقوم على الحق والعدل ، وعنواناً فذاً لأقدس ما يشرف به هذا الحي من بين سائر الأحياء في جميع الأعصار والآباد .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الحلقة الأولى من هذا الكتاب ، ونستقبل الامام الحسين ( ع ) في الحلقة الثانية وهي تعرض للاحداث الرهيبة التي مُنيت بها الخلافة الاسلامية في عهد الامام علي(ع) ، والتي امتحن بها المسلمون امتحاناً عسيراً ، فقد ادت الى خذلانه ، واجبار الامام الحسن على التنازل عن الخلافة وتسلط الطغمة الأموية على رقاب المسلمين ، واخضاعهم للذل ، وارغامهم على ما يكرهون ، وتدميرهم للقيم العليا التي جاء هذا الدين ليقيمها في ربوع الأرض .

# مُحتويات الكتاب



# محتويات الكتاب



## غرس الرسالة

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |



## المكونات التربوية



## في ظِلال القرآن والسنة

## مأساة الاسلام الكبرى

## حكومة الشيخين

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

## حكومة عثمان

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ابن عقبة ، (٦) الحكم بن أبي العاص ، (٧) مروان ابن الحكم | |
| منحه للاعيان | ٣٥٩ |
| (١) طلحة ، (٢) الزبير ، (٣) زيد بن ثابت ، | |
| اقطاع الاراضي | ٣٦٠ |
| استئثاره بالأموال | ٣٦٢ |
| الجبهة المعارضة | ٣٦٣ |
| التنكيل بالمعارضين | ٣٦٤ |
| ١ — عمار بن ياسر | ٣٦٤ |
| ٢ — أبو ذر | ٣٦٧ |
| اعتقاله في الشام ، اعتقاله في الربذة ، كلمة الامام أمير المؤمنين ، كلمة الامام الحسن ، كلمة الامام الحسين ، كلمة عمار بن ياسر | |
| ٣ — عبد الله بن مسعود | ٣٧٧ |
| الثورة | ٣٧٩ |
| مذكرة الصحابة للامصار | ٣٨٠ |
| وفود الأمصار | ٣٨١ |
| مذكرة المصريين لعثمان | ٣٨٢ |
| استنجاد عثمان بالامام | ٣٨٣ |
| نقضه للميثاق | ٣٨٤ |
| استنجاده بمعاوية | ٣٨٦ |
| الاحاطة بعثمان | ٣٨٧ |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |


## عهد الامام أمير المؤمنين


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





